غير مخصص للبيع

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

منبر الإسلام

السنة (٦٩) العدد (١) المحرم ١٤٣١ هـ
يناير ٢٠١٠م

الخطاب الدينى وثقافة الأمل

الغرب وصناعة العداء للإسلام

الهجرة وحاجتنا إلى استلهام دروسها

العالم الإسلامى فى النظام الدولى التحديات والفرص

المواطنة والعدالة الاجتماعية

الفتوحات الإسلامية بين الحقيقة والافتراء

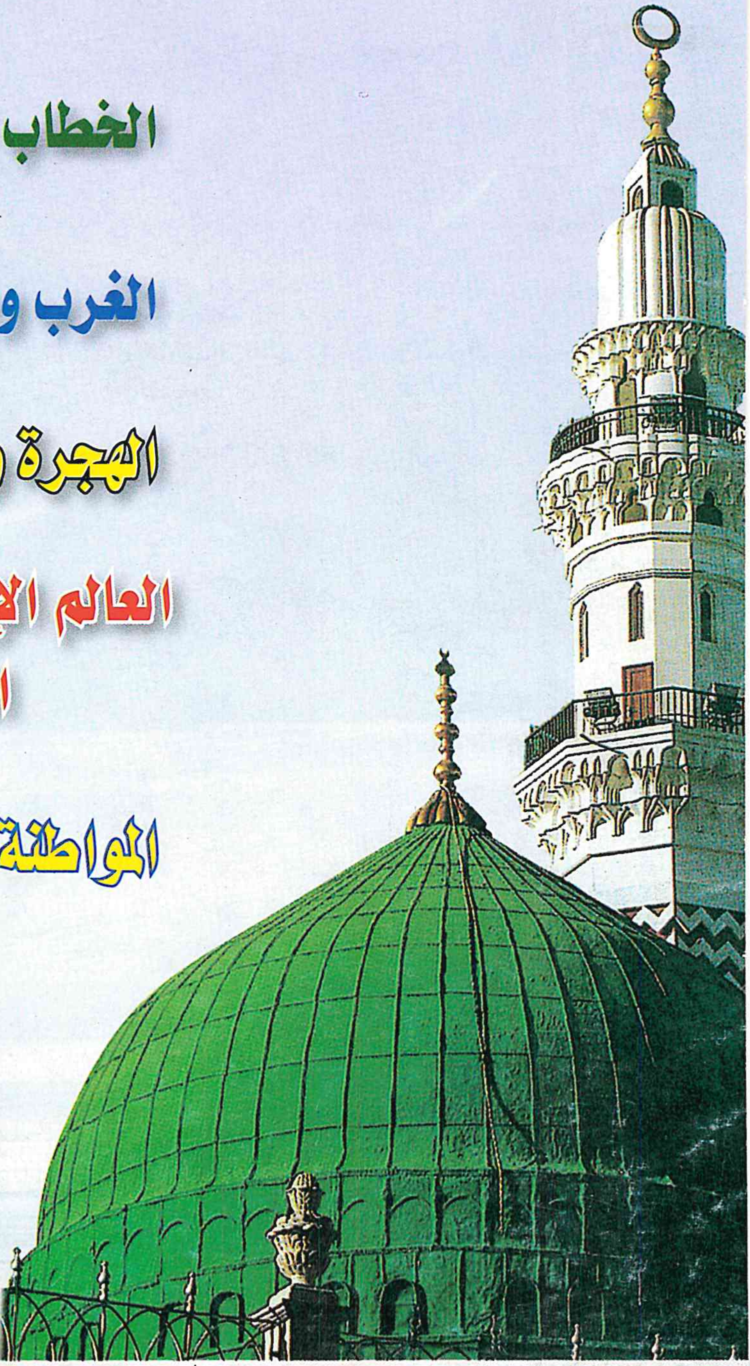

الانتماء الإسلامى والوطنى والقومى .. تكامل؟ ... أم تناقض؟؟

فى هذا العدد

اهتمامات التحرير

■ حديث الشهر:

الخطاب الدينى وثقافة الأمل — د. محمود حمدى زقزوق — ٢

■ إسلام لكل العصور:

الغرب وصناعة العداء للإسلام — د. محمد الشحات الجندى — ٦

■ على مائدة القرآن الكريم

- «تفسير سورة الكوثر — فضيلة الإمام الأكبر د/ محمد سيد طنطاوى — ١٠
- التفسير القرآنى إلى أين ؟ — د/ محمد رجب البيومى — ١٢
- من نماذج التفسير اليهودى المسيحى للقرآن الكريم — د/ جمال الحسينى أبو فرحة — ٢٢

منبر الإسلام

تصدرها وزارة الأوقاف

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

رئيس مجلس الإدارة

الدكتور: محمود حمدى زقزوق

وزير الأوقاف

رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

رئيس التحرير

الدكتور: محمد الشحات الجندى

أمين عام المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

مجلس التحرير

الدكتور: أحمد كمال أبو المجد

الدكتور: أحمد محمد الطيب

الشيخ: محمد عبد المجيد زيدان

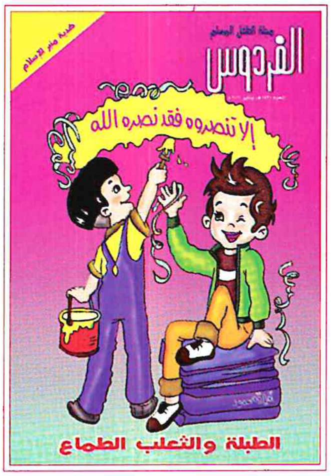

هدية منبر الإسلام

الطفل المسلم

«مجلة الفردوس»

٣٢ صفحة بالألوان

الاشتراكات

تطلب الاشتراكات من المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - ٩ شارع النباتات - جاردن سيتى - القاهرة.

الاشتراكات عن سنة كاملة: ٣٥ خمسة وثلاثون جنيها بجمهورية مصر العربية.

الاشتراكات عن سنة كاملة: ٣٥ خمسة وثلاثون دولارا أمريكيا للدول العربية والإفريقية

الاشتراكات عن سنة كاملة: ٤٠ أربعون دولارا أمريكيا للدول الأوروبية

الاشتراكات عن سنة كاملة: ٤٥ خمسة وأربعون دولارا أمريكيا فى الولايات المتحدة الأمريكية وكندا وشرق آسيا.

الاشتراكات عن سنة كاملة: ٦٥ خمسة وستون دولاراً أمريكياً لأمريكا الجنوبية واستراليا واليابان.

العنوان البريدى: ٩ شارع النباتات - جاردن سيتى - القاهرة.

رقم الهاتف: ٢٧٩٥٨٦٦٤ - ٢٧٩٥٨٦٥٩ - ٢٧٩٤١٦٢٧ (٢٠٢) - فاكس: ٢٧٩٥٨٦٦٣ - ٢٧٩٥٤٠٠٥ (٢٠٢)

أنباء وأخبار ص ١٢٣

استراحة المنبر ص ١٣١

تحقيقات صحفية ص ١١٣، ص ١١٨

من وحى المناسبة (فى رحاب الهجرة النبوية المشرفة)

- الهجرة وحاجتنا إلى استلهام دروسها — فضيلة الشيخ/ محمد عبد المجيد زيدان — ٢٨
- الهجرة وصناعة الأمل — د/ سالم محمود عبد الجليل — ٣٢
- الهجرة النبوية أهدافها ونتائجها — فضيلة الشيخ خالد الجندى — ٤٤

قضايا معاصرة

- الإسلام فى أروقة المستشرقين (٢) — د. محمد شامة — ٥٠
- الانتماء الإسلامى والوطنى والقومى .. تكامل أم تناقض؟ — د. محمد عمارة — ٥٥
- الدفاع عن الحقوق والحريات (حلول مقترحة) — د. بكر زكى عوض — ٦٠

أعلام فى الإسلام

- د/ مصطفى محمود .. عُمر من التأمل والتدبر — د. أمان عبد المؤمن قحيف — ٧٦

الدين والحياة

- الإنسان بين الخلق والبعث — د/ عبد المعبود عمارة — ٨٢

أقلام نسائية

- العالم الإسلامى فى النظام الدولى — د/ نادية محمود مصطفى — ٩٤
- الأسرة والتنشئة الصالحة — ناهد الخراشى — ٩٩

الدعوة والخطاب الدينى

- عصمة الله لرسوله ﷺ — د/ أحمد عمر هاشم — ١٠٢
- المرأة وحقوق الإنسان — د/ رشدى شحاته أبو زيد — ١٠٥
- العلاج بالصدقة — د/ أحمد عوف عبد الرحمن — ١١١

افتتاحية العدد

عزيزى قارئ المنبر

فإننا نرجو لك كل توفيق ونجاح على طريق الحياة، وأن تعيش بقلب وعقل عامر بحب الله وحب الناس، فهذا يحقق لك الراحة والسكينة، تنطلق بهما لنفع نفسك وأهلك ومحبيك، وأن تعمل لما يرضى الله وصالح الوطن، فأنت فى نفسك بالتوكل على الله تستطيع أن تصنع حياة طيبة رغم الصعاب، فكن على ثقة بذلك، فإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا.

رئيس التحرير

يسألونك فى الدين والحياة — ١٣٤
فضيلة الدكتور: على جمعة محمد

نافذة على القراء — ١٢٨

موقع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية على الشبكة الدولية

Website Addresses : www.islamic-council.org
www.islamic-council.com
E-mail Address: Islamic_council_eg@yahoo.com
Postal Address : 9, El-Nabatât St., Garden City, Cairo, A.R.E.
Tel. : (+202) 27947776 / 27958664 Fax : (+202) 27954005

الاشتراكات

لسلسلتى قضايا ودراسات إسلامية

يخاطب بشأنها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ٩ شارع النباتات - جاردن سيتى

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عدداً)

أولا: داخل مصر (٣٠ جنيها مصريا).

ثانيا: خارج مصر كالآتى: دول عربية وإفريقية (٩ دولارات أمريكية) دول أوروبية (١١ دولاراً أمريكيًا)، دول أمريكا وكندا وآسيا (١٤ دولاراً أمريكيًا) أمريكا الجنوبية وإستراليا: (٢٢ دولاراً أمريكيًا).

حديث الشهر

الخطاب الدينى وثقافة الأمل

د. محمود حمدى زقزوق

الخطاب الدينى والتراجع الحضارى

لقد درج الخطاب الدينى منذ عصور التراجع الحضارى للأمة الإسلامية على التركيز على الأمور الغيبية والانشغال بأمور الآخرة على حساب الأمور الدنيوية. واهتم اهتمامًا مبالغًا فيه بالحديث عن عذاب القبر وأهوال يوم القيامة. وانشغل الخطاب الدينى بصفة أساسية بالترهيب بدلاً من الترغيب، والتشدد فى أمور الدين بدلاً من التيسير. واهتم بالأمور الهامشية والشكلية بدلاً من الاهتمام بمقاصد الشريعة وجوهر الدين والقيم الإسلامية الدافعة لتقدم المجتمع وترقية الحياة.

وقد كان من نتيجة ذلك أن ساد التواكل بين الناس والخوف من المصير المجهول، وانتشر الفهم المغلوط للقضاء والقدر، وتلاشت المبادرات الذاتية اعتمادًا على معجزات غيبية. وعلى الرغم من التطورات المذهلة التى حدثت فى عالمنا المعاصر على جميع المستويات والتى أحدثت نقلة نوعية فى أفكار الناس وثقافتهم، فإنه لا تزال هناك آثار باقية مترسبة فى الخطاب الدينى حتى اليوم سواء من حيث الشكل أو المضمون.

وقد آن الأوان لأن يتخلى الخطاب الدينى المعاصر عن هذا التوجه الذى ورثناه من عصور التراجع الحضارى. فالأمة الإسلامية اليوم فى أشد الحاجة إلى صحوة حضارية. وعالمنا المعاصر عالم مختلف اختلافًا جذريًا عن العوالم السابقة بفضل ثورة المعلومات والاتصالات والثورة العلمية والتكنولوجية، وذلك فضلاً عن تداعيات عصر العولمة فى مختلف الاتجاهات. ولن يكون للعالم الإسلامى مكان فى هذا العالم إلا إذا نفض عن نفسه غبار التخلف، واتجه بكل ما يستطيع من جهد إلى التزود من العلوم والتنافس فيها ليبنى ويعمِّر، ويحقق إرادة الله فى استخلاف الإنسان فى الأرض لعمارتها وصنع الحضارة فيها.

الخطاب الدينى والعمل للدنيا:

وهذه الصحوة الحضارية تتطلب خطابًا دينيًا مختلفًا يبعث الأمل فى النفوس لينطلق المسلمون إلى العمل والإنتاج من أجل هذه الدنيا التى نعيش فيها. فمن لا خير له فى دنياه لا خير له فى آخرته. وقد كان من دعاء النبى ﷺ: **«اللهم**

أصلح لى دينى الذى هو عصمة أمرى، وأصلح لى دنياى التى فيها معاشى، وأصلح لى آخرتى التى إليها معادى، واجعل الحياة زيادة لى فى كل خير، واجعل الموت راحة لى من كل شر».(١)

وفى هذا الدعاء اختص النبى عليه الصلاة والسلام الدنيا بدعاءين: ركز فى أولهما على طلب إصلاح الدنيا التى فيها معاش الإنسان، وفى ثانيهما عبر عن الرجاء فى أن تكون الحياة فى الدنيا زيادة له فى كل خير. فالنبى صاحب الدعوة لم يهمل الدنيا والعمل من أجل صلاحها وزيادة الخير فيها.

والقرآن الكريم عندما طلب منا العمل من أجل الآخرة نبهنا فى الوقت نفسه إلى ضرورة العمل من أجل الدنيا والتمتع بطيباتها. وفى ذلك يقول القرآن الكريم: **﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا﴾** (سورة القصص الآية ٧٧).

ومن الآثار المروية فى هذا الصدد أيضًا: **«اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدًا».**

وطيبات الحياة ومباهجها من نعم الله على الإنسان التى تستحق الشكر عليها. وفى هذا المعنى يقول الشيخ محمد الغزالى -رحمه الله-: «أنا رجل مسلم أحب الحياة وأبتهج بطيباتها. إن الله استضافنى فى كونه، وأطعمنى خيره؛ فمن السفاهة أن أرفض الكرم المبذول، ومن السفاهة كذلك أن أضن بشكر المنعم". والنبى ﷺ يقول: **«إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده»**(٢).

إن المسلمين فى عالم اليوم فى أشد الحاجة إلى العمل من أجل الدنيا دون إهمال لأمور الآخرة بطبيعة الحال. والخطاب الدينى اليوم مطالب بالتجديد فى أسلوبه وفى موضوعاته. وبصفة

لن يكون للعالم الإسلامى مكان فى هذا العالم إلا إذا نفض عن نفسه غبار التخلف واتجه بكل ما يستطيع من جهد إلى التزود بالعلوم والتنافس فيها

خاصة فى بث روح الأمل والتفاؤل فى النفوس. فالإنسان المحبط اليائس لا ينتظر منه أن يفعل شيئًا لتغيير أوضاعه. أما النفوس المملوءة بالأمل فهى المؤهلة للانفتاح على الحياة وعلى العمل والإنتاج.

ثقافة الأمل فى الإسلام:

أ- الرحمة منبع الأمل:

ومن الأمور الجوهرية فى الإسلام - والتى تملأ القلوب بالأمل وتنعش النفوس بالتفاؤل- أن الله سبحانه وتعالى قد جعل من الرحمة الهدف الأسمى والغاية العظمى للرسالة الإسلامية، كما جاء فى القرآن الكريم فى قول الله تعالى لنبيه: **﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾** (سورة الأنبياء الآية ١٠٧).

وتمثل الرحمة أرقى درجات السمو الأخلاقى، وتأتى على قمة منظومة القيم الإسلامية وتشتمل على كل قيم الحق والخير والحب والتسامح.

وتأكيدًا لذلك وترسيخًا لهذه القيمة العظيمة فى النفوس تكرر مفهوم الرحمة ومشتقاته مئات المرات فى القرآن الكريم وفى الأحاديث النبوية وفى أول كل سورة من سور القرآن الكريم. وفضلاً عن ذلك فإن من المرغوب فيه دينيّا أن يبدأ المسلم كل عمل يقوم به بقوله: **بسم الله الرحمن الرحيم.**

وهذا التأكيد من شأنه أن يجعل قيمة الرحمة حاضرة باستمرار فى وعى الناس حتى يكون

التعامـــل فيمـــا بينهـم قائمًا على هذا الأساس . فالله هو الرحمن وهو الرحيم ، ورحمته وسعت كل شىء . والله يحب من عباده أن يكونوا على صفته وأن يتخلقوا بأخلاقه ، وما دامت الرحمة من أبرز صفاته سبحانه وتعالى فينبغى أن يكون البشر رحماء فيما بينهم . ولا يمكن لمن تخلق حقيقة بخلق الرحمـــة أن يكـون ظـالمًا أو متعصبًا أو حقـودًا أو يائسًا أو محبطًا أو متطـرفًا فى فكـره أو فـى سلوكه .وتمثل قيمة الرحمة سياجًا منيعًا لحماية الحياة من مختلف الأخطار وبخاصة أخطار اليأس والإحباط والتشاؤم والقلق ، ليحل محلها الأمل والتفاؤل والاطمئنان والثقة فى تحقيق العدل والحب والتسامح فى دنيا الناس مهما تكاثرت سحب الظلم وتضافرت قوى الشر، فالله لن يتخلى عن عباده الأخيار وفى الوقت نفسه فإنه سجانه «**يملى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته**»[٣] كما جاء فى الحديث الشريف .

ب - ارتباط الأمل بالإيمان :

والدين من شأنه أن يغرس الأمل فى النفوس. ومن هنا يرتبط الإيمـــان بالأمل ارتباطًا وثيقًا ويشكلان وحدة واحدة. فالمؤمن لا يمكن أن ييأس أو يصاب بالإحباط والقنوط أو يتسرب القلق إلى نفسه؛ لأنه يثق فى الله وفى عدله وفى رحمته، وأنه لا يضيع أجر من أحسن عملاً . فالله أرحم بعباده الذين خلقهم من الأم بولدها . ولذلك يرزق المؤمن والكافر. ولكنه يمهل الظالم ولا يهمل عقـابه إن عاجلاً أو آجلاً.

ويؤكد القرآن الكريم أن المؤمن لا يعرف اليأس: ﴿**إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ**﴾ (سورة يوسف الآية ٨٧). ومن ذلك يتضح أن الأمل يعد نتيجة طبيعية للإيمان، ومن هنا فإنه نعمة

المؤمن لا يمكن أن ييأس أو يقنط أو يتسرب القلق إلى نفسه؛ لأنه يثق فى الله وفى عدله ورحمته

كبرى ومنّة إلهية، ورحمة من عند الله لعباده. **فلولا الأمل «ما أرضعت أم ولدًا ولا غرس غارسٌ شجرًا»** كما جاء فى بعض الآثار الإسلامية المروية عن أنس ابن مالك.[٤]

جـ - الأمل والتوبة :

والله يفتح للمذنبين الذين أسرفوا على أنفسهم باب الأمل فى التوبة على مصراعيه . وهذا ما يؤكد عليه القرآن الكريم فى قوله تعالى: ﴿**قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾ (سورة الزمر الآية ٥٣).

وزيادة فى مد حبال الأمل لمن يتسرب اليأس إلى قلوبهم يعلن الرسـول صلى الله عليـه وسلم أن الإنسان من شأنه أن يخطئ . والخطأ فى حد ذاته ليس عيبًا، ولكن الإصرار على الخطأ هو الذى يبعد الإنسان عن الله، فـ «**كل بنى آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون**»[٥] . كما يقول النبى عليه الصلاة والسلام .

وتشجيعًا لهم على التوبة وعدم فقدان الأمل يخبرنا القرآن الكريم بأن الله يحب التوّابين، ويخبرنا الحديث النبوى بأن الله يفرح بتوبة عبده[٦] . وهذا كله يبين لنا - بما لا يدع مجالاً للشك - أن باب الأمل مفتوح لا يغلق أبدًا. وهذا من شأنه تأكيد الثقة فى الله وفى عدله ، وإحياء الأمل فى النفوس وإنعاشها بالرجاء فى الاستجابة.

ومن أجل ذلك يحطم الدين كل الحواجز التى تفصل بين الله والإنسان . فالله قريب من الإنسان يجيب دعوة من يدعوه، بل هو أقرب إليه من حبل الوريد، ولذلك يطلب الله من الإنسان أن يدعوه مباشرة دون وساطة : ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (سورة غافر الآية ٦٠). كما يقرر القرآن ذلك فى وضوح لا لبس فيه . ويؤكد القرآن هذا المعنى فى قوله تعالى : ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ (سورة البقرة الآية ١٨٦).

ويمتد هذا الأمل مع الإنسان المؤمن بالله إلى آخر لحظة فى حياته . ولذلك يحث النبى صلى الله عليه وسلم المؤمنين على أن يفعلوا الخير حتى آخر نفس فى حياتهم، حتى ولو قامت الساعة، ما دام الإنسان فى موقف يستطيع من خلاله أن يقدم شيئًا. ويعبر عن ذلك الحديث النبوى : «**إذا قامت الساعة وفى يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع ألاَّ يقوم حتى يغرسها فليفعل**» (٧).

د - الأمل والحياة :

إن التمسك بالأمل هو فى حد ذاته تمسك بالحياة، وهو فى الوقت نفسه ثقة تملأ جوانب النفس الإنسانية، وتشعر الإنسان بأنه يستطيع أن يتغلب على كل ما يعترضه من صعاب؛ لأن الأمل يمد الإنسان بأسباب القوة للتغلب على كل العقبات.

إننا مدعوون إلى التمسُّك بالأمل والإقبال على الحياة ، وألاَّ ننظر إليها بمنظار أسود يرى فقط نصف الكوب الفارغ ولا يرى النصف الآخر المملوء . إن حياتنا ليس لها وجه واحد ، ففيها الخير وفيها الشر أيضًا، وفيها جوانب إيجابية وأخرى سلبية . فلنغلِّب الجانب الإيجابى الذى هو دائمًا جانب الأمل حتى نستطيع بسلاح الأمل أن نتغلَّب على الجوانب السلبية فى الحياة . فبالأمل والإصرار

التمسك بالأمل هو تمسك بالحياة لأنه يمد الإنسان بأسباب القوة للتغلب على كل الصعاب

عليه وبالإرادة القوية يستطيع الإنسان أن يملى إرادته على دنيا اليأس والإحباط .

وقد عبَّر إيليا أبو ماضى فى قصيدته الشهيرة «فلسفة الحياة» عن عبثية النظرة التشاؤمية للحياة بقوله :

إن شر الجناة فى الأرض نفس
تتوقى قبل الرحيل الرحيلا
وترى الشوك فى الورود وتعمى
أن ترى الندى فوقها إكليلا
والذى نفسه بغير جمال
لا يرى فى الوجود شيئًا جميلاً

ولسنا نعدو قول الحق إذا قلنا: إن الأمل يُعدُّ شريان الحياة . فالحياة بلا أمل حياة فارغة لا معنى لها، بل يمكن القول بأنها والموت صنوان . فالأمل هو الذى يجعل الإنسان يحب الحياة ويعمل من أجلها لخير نفسه وخير مجتمعه ولترقية الحياة ذاتها وإثرائها .

الهوامش :

(١) رواه الإمام مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة رضي الله عنه.
(٢) رواه الترمذى بسند حسن.
(٣) رواه البخارى ومسلم وابن ماجه (فيض القدير رقم ١٨٠٠/ج٢ ص ٢٦٤).
(٤) انظر: جامع الأحاديث، الجزء التاسع ص ٤٦٣.
(٥) رواه ابن ماجه فى كتاب الزهد، باب ٢٠.
(٦) متفق عليه (راجع: صحيح ابن حبان جـ ٢ ص ٣٨٤).
(٧) رواه الإمام أحمد فى مسنده من حديث أنس بن مالك.

إسلام لكل العصور

الغرب وصناعة العداء للإسلام

د. محمد الشحات الجندى

يملك الإسلام من الحيوية والتأثير كدين ومنهج للحياة، قوة فى ذاته تؤهله للبقاء والقدرة على جذب الأتباع وكسب العقول والقلوب، وهو ما يجعله مستهدفا على مر العصور، ولهذه الخاصية فإنه قد يتعرض للمكائد والأخطار، وهو ما يشهد عليه تعصب الغرب وضيقه بالإسلام فى العصر الراهن.

هذه الطبيعة المتميزة للإسلام تفرض على المسلمين اليقظة الدائمة، والقدرة على التعامل الرشيد ورسم السياسات والخطط لمواجهة التحديات ومشاعر العداء، كما يظهر فى تنامى العداء من جانب أوروبا والغرب، والتى تعبر عن نفسها فى الخفاء والعلن على السواء، وتظهر آثارها فى قلب العالم الإسلامى وعلى أرضه، كما يعيش بعض فصولها الأقليات المسلمة فى العالم الغربى وما يتعرضون له من الكراهية والتحريض وإنكار الحقوق، وازدراء دينهم، والتمييز ضدهم.

وقد تتابعت فصول عداء الغرب للإسلام والمسلمين، وبات الأمر محزنا ومخزيا ومثيرًا للقلق؛ إذ كيف يتأتى للمدنية والحضارة الغربية أن تحشد من الوسائل وألوان التشكيك والإساءة للإسلام ورموزه ومقدساته بالرغم من الفوائد التى يجنيها الغرب من المسلمين، أخصها أن العالم الإسلامى هو سوق لمنتجات الغرب وأفكاره وصناعاته، يستغلها العالم الغربى لمزيد من الانطلاق على طريق التقدم والرخاء، كما أن الأقليات المسلمة تشارك فى بناء نهضته.

ومع كل ذلك، فإن عالم الغرب لا ينفك عن طلب المزيد من التبعية وإخضاع المسلمين، ويظهر من الفنون فى هجومه على الإسلام الكثير والكثير المشاهد فى الصور المأساوية المتلاحقة، فلا تكاد تنتهى إساءة حتى تبدأ أخرى، وتتركز هذه الحملات على الإسلام ذاته، فهو دين من وجهة نظر الغرب، أصبح خارج العصر وتجاوزته الأحداث، ولا ينبغى أن يكون له وجود وتأثير مع المدنية والحضارة الغربية، لأن وجوده فيه منافسة شديدة لأطماعها وطموحها فى الهيمنة والسيطرة على العالم.

ومن الصور التى يعبر بها الغرب عن ضيقه بالإسلام والمسلمين، الأقليات المسلمة التى تعيش على أرضه، فوجودها غير مرغوب فيها، لذلك فإنها تتعرض لألوان من الاضطهاد وعدم التسامح، والتمييز ضدها بما يعطى رسالة محددة هى عدم القبول والرفض للإسلام والمسلمين فى بقاع ومناطق من العالم المعاصر.

هذا المسلك غير الحضارى الذى يتزعمه العالم الغربى يؤجج نظرية الصدام بين الحضارة الغربية والحضارة الإسلامية، ويجعل منها واقعا معاشا يتمثل فى المهانة والدونية واغتيال حقوق الإنسان المسلم، لا لشىء إلا لأنه مسلم، وقمع الدين الإسلامى، وإنكار الحرية الدينية على المسلمين، باتباع معايير مزدوجة، واستعداء الرأى العام فى الغرب ضد الإسلام، والدعوة إلى حتمية الوقوف فى وجه الزحف الإسلامى خوفا من أسلمة أوروبا على حد زعمهم.

والواقف على سير الأحداث فى الآونة الأخيرة، يراها أحداثا فاجعة ومأساوية تعبر بكل المقاييس عن تراجع حضارى وتطرف صارخ ضد هذا الدين وأتباعه، وما مسلسل الرسوم الدانمركية، ونشره وتعميمه فى الصحف الأوروبية، وتصفية الشهيدة مروة فى ألمانيا، والاعتداء على علماء مسلمين كما حدث لمبعوث الأزهر فى لندن بإنجلترا، وبث فيلم فتنة الذى يصور القرآن الكريم بالإرهاب والدموية ومعاداة المدنية والحضارة الغربية، ثم الحدث المتفجر على الساحة، وهو نتيجة استفتاء الشعب السويسرى الذى وافق بأغلبية ٥٧٪ على حظر بناء المآذن فى سويسرا. وهى وقائع معبرة عن أنماط متعددة، تهدف إلى استعداء الجماهير والشعوب والمسئولين فى دول الغرب والوقوف جميعا فى وجه الإسلام. بل الدعوة إلى استنفار الشعوب والدول الأخرى للوقوف مع الغرب فى معركته ضد الرجعية والتخلف والعنف الذى يمثله دين الله إلى الناس، وإشاعة ذلك التوجه فى كل جنبات العالم.

وإزاء هذه التطورات العاصفة وتصعيد هذا النمط العدوانى الأوروبى، وتلك الحملات الظالمة تجاه الإسلام وأتباعه، لا يجد المسلمون لمواجهتها فكاكا من التخندق حول البحث والتفتيش فيما جاء به القرآن والحديث الشريف عن التصور الذى يكنه غير المسلمين المعادين للإسلام وموقفهم من المسلمين.

ومن الطبيعى فى ظل هذه المعركة المفروضة على المسلم العادى أن يقف بروية وتدبر أمام بعض النصوص الكاشفة لعلاقة هؤلاء المعادين للإسلام، فى مثل قوله تعالى: ﴿**يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**﴾ سورة التوبة الآية ٣٢.

وقوله تعالى: ﴿**وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ**﴾ سورة البقرة الآية ١٢٠.

وقوله سبحانه: ﴿**وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا**﴾ سورة البقرة الآية ٢١٧.

لكن على المسلم أن يتمثل قول الرسول صلى الله عليه وسلم: **«المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفى كل خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شىء فلا تقل: لو أنى فعلت لكان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل».**

ردود أفعال المسلمين تجاه الإهانات الغربية تتسم بالصياح والتذمر والشجب بطريقة انفعالية لا تسفر عن شىء

وليس فى إيراد هذه النماذج وسواها الدعوة إلى الصدام مع الغرب أو غيره، وإنما هى بيان كاشف لحال الإسلام والمسلمين فى ذهنية بعض هؤلاء النفر من صانعى القرار، ولدى بعض المتطرفين فى العالم الغربى الداعين إلى كبح جماح انتشار هذا الدين وقدرته الفائقة على هداية العقول والقلوب لأناس تجردوا للحقيقة، مخلصين فى البحث عن السلام النفسى والطمأنينة القلبية، والصلح مع الله خالق الوجود.

وبالمثل فإن تمدد هذه الأعمال العدوانية ضد الإسلام يفرض على المسلم أن يتأمل مليّا فى التعبير النبوى: **«يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها، قالوا: أمن قلة يا رسول الله، قال: لا، ولكنكم غثاء كغثاء السيل»** وهو تصوير للوضع القائم كاشف عن جبروت واستكبار غربى بحيث لا يكون لدى المسلمين إلا الاستسلام والرضوخ والانبطاح.

إن حالة الاستضعاف والتوهان والهوان للمسلمين فى عالم اليوم وعدم وضوح الرؤية فى التعامل مع هذه الأحداث يكمن على الدوام فى الصورة النمطية لردود الأفعال بعد كل مشكلة، وهى الاستجابة الوقتية التى تتسم بالانفعال والصياح والتذمر والشجب والإدانة، بطريقة انفعالية عاطفية لا تسفر عن شىء بما قد يصاحبه من بعض الأعمال الطائشة والعشوائية من تدمير السفارات أو القنصليات أو الاعتداء على بعض الرعايا أو التدمير أو الإحراق وغيرها؛ حيث لا تتم عن فهم صحيح لتعاليم الإسلام، ولا لرسالته إلى البشر، وهى رسالة سلام وتعايش بين الإنسان، على أساس احترام التعددية الدينية واختلاف الأجناس والألوان والثقافات والقوميات.

كما لا تخدم مثل هذه السلوكيات المصلحة الإسلامية العامة والوجود الإسلامى فى أنحاء العالم بصفة خاصة، بل تسىء إلى الإسلام وإلى صورة المسلمين، وتعطى ورقة رابحة لخصوم الإسلام فى الغرب، وذريعة للنيل من المسلمين، والمضى قدما فى مخططهم نحو تشويه الإسلام وازدرائه، واستئصال شأفة المسلمين، وطردهم من أوروبا.

والأجدر بالعالم الإسلامى أن يواجه هذا المخطط الذى رسمه الرافضون للإسلام، الحاقدون على وجود المسلمين فى أوروبا وفى كل مكان، بسلوك المسلم الإيجابى، لا المسلم العاجز - بواسطة وضع خطط وتدابير مؤثرة وفعالة تحدث أثرها فى وقف هذه الحملات المسيئة والفاشية التى تحدث تمييزا ضد المسلمين على أساس المعتقد الدينى والانتهازية السياسية بقصد إزاحة كل ما يخالف أيدولوجيتهم ومطامعهم فى الانفراد بهذا العالم، استنادا إلى التفوق المادى والتكنولوجى.

وتتطلب المواجهة الإسلامية التوحد فى الصف والكلمة إزاء القضايا المصيرية، وليس هناك أهم فى ضرورة هذا الاجتماع والاتحاد على قضية عالمية من قضية وجود الإسلام نفسه، والإبقاء على المسلمين كدين ومدنية وحضارة، ورسالة إنسانية توازن بين الروح والمادة، وكذلك الإسهام الخلاق فى المسيرة العالمية.

وفى خصوص التعامل مع أزمة حظر المآذن فى أوروبا، فمن المهم الوقوف الواعى ضد امتداد اتخاذ خطوات مشابهة لدى دول أوروبية أخرى، مثل هولندا وإيطاليا، وما صدر من تصريحات من أقطاب اليمين فيها من الدعوة إلى استفتاءات مماثلة لحظر القرآن الكريم وتشبيه فيلدرز زعيم حزب الحرية الهولندى القرآن الكريم بكتاب كفاحى لهتلر. ووقف ما أسماه بأسلمة أوروبا.

وهذا لا يتأتى إلا بفضح هذه المزاعم العنصرية، وإزالة التشويه الذى يروجه هؤلاء ضد الإسلام، وشن دعاية مضادة تكشف عن كذب هذا التزييف المتعمد ضد الإسلام ورموزه ومقدساته.

يتزعم العالم الغربى مسلكًا غير حضارى يؤجج نظرية الصراع بين الغرب والإسلام ويجعل منها واقعًا معاشًا

ولعل من المناسب كسب القوى والجماعات الأوروبية التى تؤمن بالتعايش مع المسلمين ولا ترى فى الإسلام غير دين مثل الأديان الأخرى، وكذا مع القوى الداعية إلى السلام والحياد تجاه الأديان، وهم ليسوا بالقليل، بل لعلهم الأغلبية الصامتة التى علينا أن نسارع إلى كسبها فى جانب الصف الإسلامى، باعتبار الدور الهام الذى تلعبه هذه القوى والتنظيمات، وتوظيفها فى إظهار عدالة قضية الإسلام والمسلمين، وفى السياق ذاته، ينبغى على وزارات الخارجية للدول الإسلامية والمنظمات الإسلامية مثل منظمة المؤتمر الإسلامى وجامعة الدول العربية ومنظمات المجتمع المدنى أن تتجه إلى عدم تنفيذ قرار حظر المآذن الذى جاءت به نتيجة الاستفتاء أمام المحكمة الدستورية السويسرية بإقناع مواطنين سويسريين بالاعتراض على نتيجة الاستفتاء.

وأيضا التوجه إلى مجلس حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة لوقف هذا القرار الذى ينطوى على انتهاك صارخ لكل المواثيق العالمية لحقوق الإنسان وعرض القضية على المحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان لاستصدار قرار منها برفض حظر بناء المآذن.

وقد يكون مناسبا مقاطعة الدول الإسلامية للمنتجات والبضائع السويسرية كخطوة على طريق تهديد المصالح السويسرية فى الدول الإسلامية، خاصة وأن نتيجة الاستفتاء سيتم عرضها على البرلمان السويسرى للحصول على الموافقة عليها.

بمثل هذه التحركات المحسوبة والمدروسة، يجب أن تكون معالجة القضايا المصيرية للعالم العربى والإسلامى، فى إطار أن الإسلام دين التسامح والتعارف مع كل البشر، وأن لنا مصالح مع شعوب ودول العالم، من منطلق أن رسالة الإسلام هى السلام، والتعاون مع البشر فى كل مكان وزمان لما فيه خير ومصلحة البشرية جمعاء.

على مائدة القرآن الكريم

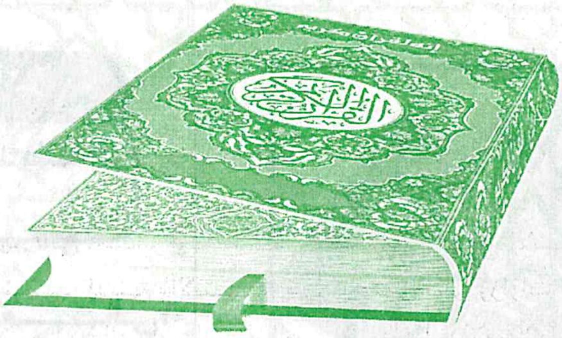

- نظرات فى كتاب الله تعالى :

تفسير «سورة الكوثر»

- التفسير القرآنى .. إلى أين ؟.
- نظرات بيانية فى الكلمة القرآنية (١٦).
- من نماذج التفسير اليهودى المسيحى للقرآن الكريم.

نظرات فى كتاب الله تعالى

تفسير سورة «الكوثر»

لفضيلة الإمام الأكبر
الأستاذ الدكتور / محمد سيد طنطاوى
شيخ الأزهر

قال تبارك وتعالى:

﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ (٢) إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ (٣) ﴾

[سورة الكوثر الآيات: ١ - ٣]

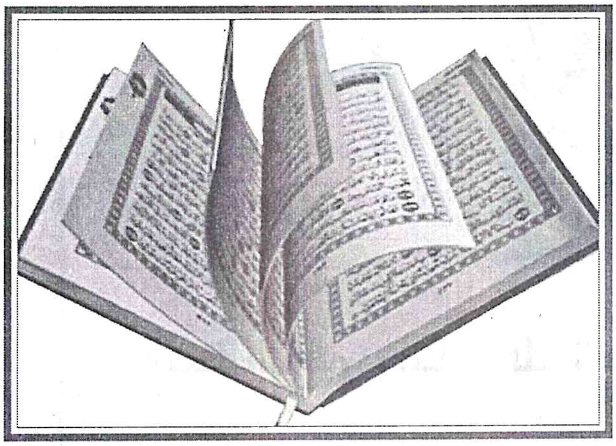

سورة «الكوثر» وتسمى - أيضًا - سورة «النحر»، تعتبر أقصر سورة فى القرآن الكريم، وهى من السور المكية عند الجمهور، وقيل مدنية.

قال بعض العلماء: والأظهر أن هذه السورة مدنية، وعلى هذا سنسير فى تفسير آياتها، وعلى القول بأنها مكية عددها الخامسة عشرة، فى عداد نزول السور، نزلت بعد سورة «العاديات»، وقبل سورة «التكاثر»، وعلى القول بأنها مدنية، فقد قيل إنها نزلت فى الحديبية. وعدد آياتها ثلاث آيات بالاتفاق(١).

والسورة الكريمة بشارة للنبى ﷺ بأن الله - تعالى - سيعطيه الخير الجزيل، والذكر الخالد.

والكوثر: فَوْعل من الكثرة، مثل النَّوْفل من النفل، ومعناه: الشىء البالغ فى الكثرة حد الإفراط، والعرب تسمى كل شىء كثر عدده، وعظم شأنه: كوثرًا، وقد قيل لأعرابية بعد رجوع ابنها من سفر: بم آب ابنك؟ قالت: آب بكوثر. أى: بشىء كثير.

قال الإمام القرطبى ما ملخصه: واختلف أهل التأويل فى الكوثر الذى أعطيه النبى ﷺ على ستة عشر قولا: **الأول:** أنه نهر فى الجنة، رواه البخارى عن أنس، ورواه الترمذى - أيضًا - عن ابن عمر... **الثانى:** أنه حوض للنبى ﷺ فى الموقف... **الثالث:** أنه النبوة والكتاب... **الرابع:** أنه القرآن... **الخامس:** الإسلام.

ثم قال رحمه الله: «قلت: أصح هذه الأقوال **الأول والثانى**، لأنه ثابت عن النبى ﷺ نص فى الكوثر.. وجميع ما قيل بعد ذلك فى تفسيره قد أعطيه ﷺ زيادة على حوضه..» (٢).

وافتتح سبحانه الكلام بحرف التأكيد، للاهتمام بالخبر، وللإشعار بأن المعطى شىء عظيم.. أى: إنا أعطيناك بفضلنا وإحساننا - أيها الرسول الكريم - الكوثر، أى: الخير الكثير الذى من جملته هذا النهر العظيم، والحوض المطهر... فأبشر بذلك أنت وأمتك، ولا تلتفت إلى ما يقوله أعداؤك فى شأنك.

والفاء فى قوله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ لترتيب ما بعدها على ما قبلها، والمراد بالصلاة: المداومة عليها.

أى: ما دمنا قد أعطيناك هذه النعم الجزيلة، فداوم على شكرك لنا، بأن تواظب على أداء الصلاة أداءً تامًا، وبأن تجعلها خالصة لربك وخالقك، وبأن تواظب - أيضًا - على نحرك الإبل تقربًا إلى ربك، كما قال سبحانه: ﴿**قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين ● لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين**﴾ سورة الأنعام الآيتان ١٦٢، ١٦٣.

ثم بشره سبحانه ببشارة أخرى فقال: ﴿**إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ**﴾ والشانئ: هو المبغض لغيره، يقال: شنَأَ فلان شنئًا، إذا أبغضه وكرهه.

والأبتر فى الأصل: هوالحيوان المقطوع الذنب، والمراد به هنا: الإنسان الذى لا يبقى له ذكر. ولا يدوم له أثر.. شبه بقاء الذكر الحسن بذنب الحيوان؛ لأنه تابع له وهو زينته، وشبه الحرمان من ذلك ببتر الذيل وقطعه.

والمعنى: إن مبغضك وكارهك - أيها الرسول الكريم - هو المقطوع عن كل خير، والمحروم من كل ذكر حسن.

قال الإمام ابن كثير: «كان العاص بن وائل إذا ذكر رسول الله ﷺ قال: دعوه فإنه رجل أبتر لا عقب له، فإذا هلك انقطع ذكره، فأنزل الله - تعالى - هذه السورة.

وقال السدى: كانوا إذا مات ذكور الرجل قالوا: بتر، فلما مات أبناء النبى ﷺ قالوا: بتر محمد، فأنزل الله هذه الآية.

وهذا يرجع إلى ما قلناه من أن الأبتر إذا مات انقطع ذكره، فتوهموا لجهلهم أنه إذا مات بنوه ينقطع ذكره، وحاشا وكلا، بل أبقى الله ذكره على رءوس الأشهاد، وأوجب شرعه على رقاب العباد، مستمرًا على دوام الآباد، إلى يوم الحشر والمعاد، صلوات الله وسلامه عليه دائمًا إلى يوم التناد..

نسأل الله - تعالى - أن يجعلنا
من أهل شفاعته يوم القيامة.
وصلى الله على سيدنا محمد
وعلى آله وصحبه وسلم.

هامش:

(١) تفسير التحرير والتنوير جـ ٢٠ ص ٥٦١ للشيخ محمد الطاهر بن عاشور.

(٢) راجع تفسير القرطبى جـ ٢٠ ص ٢١٨، وابن كثير جـ٧ ص ٥١٩.

دراسات قرآنية

التفسير القرآنى... إلى أين؟

د. محمد رجب البيومى

تزاحمت كتب التفسير القرآنى فى هذا العصر تزاحمًا شديدًا، ففى كل قطر عربىّ نجد من علمائه من يعكف على تأليف التفسير، باذلاً قصارى ما فى وسعه، وقد عددتُ أكثر من عشرين مؤلفًا توالت مطردة، وكأنها فى سباق رُصدت له الجوائز المغرية، وأكثر ما قرأتُ متشابه متقارب؛ لأن الطريق مطروق، وكتب التفسير فى مكتبة التراث على مدى أكثر من ثلاثة عشر قرنًا بعد ازدهار حركة التدوين ذائعة متداولة، فمهمة المفسر النمطى يسيرة هينة، إنه يقرأ كتابًا أو كتابيْن ثم ينسخ ما قرأ، آنًا ينسخ دون تصرّف، وآنًا يحدث تبديلاً فى الألفاظ التى تنتهى إلى مؤدى واحد، ثم يتكوّن الكتاب فى أجزاء عدّة، ويدفع به إلى القراء! هذا هو المؤلف النّمطى لا المتميّز، وهو الشائع الوفير!

وأنا لا أنكر شوق المسلم وانجذابه إلى كتاب ربّه، فهذا الشوق الصادق هو الدافع الملحّ للتأليف، لا سيما أن الذى يعيش أعوامًا فى جوّ القرآن يستشعر سموّا فى نفسه، ويحسّ بقوة دائبة الهتاف بسمعه، تدعوه إلى أن يواصل السبح، وهو سعيد بهذه القوة الدائبة الملحة، وأنا أعرف أناسا يحفظون القرآن عن ظهر قلب دون أن يدركوا معانيه، وقد ألزموا أنفسهم بقراءة عشرة أجزاء فى اليوم الواحد، وهم يتخلّصون من أعبائهم اليومية قدرًا من الزمن كى يرضوا أشواقهم الدافعة إلى التلاوة، فإذا لم يتيسّر لهم قراءة (المعلوم المتعارف) كان ذلك مصدر ضيق لا يتنفس عنهم إلا بالتعويض السريع، فكذلك من دفعته همته إلى كتابة التفسير، يجد من القوة الدافعة أضعاف ما يجد المقتصر على التلاوة، ولكن هذا النشاط المتعجل فى حاجة إلى معاودة النظر، كى لا يضيع الجهد دون غناء.

لقد كان من المعقول - قبل ظهور المطبعة - أن يكثر المفسرون فى العالم الإسلامى؛ لأن العالم فى العراق مثلاً يفسّر لبنى وطنه، وهم يتداولون التفسير نسْخًا باليد، وقلما ينزح إلى بلد آخر إلا إذا كان المفسر حجّة قد جاز صيته العلمى حدود وطنه الضيق إلى وطن الإسلام الفسيح، وقد تكوّن مما كتب هؤلاء تراث ضخم، ولكنه فى أكثره متماثل، أمّا عصر المطبعة فقد سمح بتداول الكتب - تفسيرًا وغير تفسير - على نحو سريع، ولذلك انحدرت سيول المؤلفات من كل صوب، وأكثرها محدود الطاقة، وقل أن يضيف الجديد! وفى القراء من ينشط لشراء كتب التفسير مهما تعدد مؤلفوها - وإن لم يقرأ منها جزءا واحدا، ظانّا أنه يكسب بذلك مثوبة ترفع درجاته عند ربّه، ومثل هذا القارئ فى حاجة إلى أن نعطف

عليه فلا نثقل جيبه بكتب تختلف فى الأسماء وتتفق فى الموضوع، بل نيسّر له ما يجذبه إلى القراءة من ناحية، وإلى ما لا يجد نظائره لديه من ناحية أخرى، وكان القدماء يقولون: (العلم أمانة) ومن أمانة العلم أن نقدم الطارف المفيد.

نحن نعرف أن كتاب الله هو كتاب الزمن جميعه، بمعنى أن كل عصر تجد فيه من العلوم والمعارف، وتنشأ به من الأحداث والملابسات، ما نفزع فى علاجه إلى كتاب الله، وإذن فلا بد لكل عصر من مفسّر قد استوفى شرائط العالم المنقب الجاد، ليجد فى كتاب الله ما يرشد إلى الهُدى، ثم ليكون ما جدّ من المعارف أداة لفهم جديد ينبثق عن مكنون مستتر فى كتاب الله. وقد كان إمام العصر الشيخ محمد عبده أحد الذين سنوا الطريق لاتجاه جديد فى تطبيق النص القرآنى على كثير من معاضل العصر، والشيخ رضي الله عنه لم يفسّر القرآن جميعه، ولكنّه فيما نشر من تفسيره قد ضرب المثل للاجتهاد الواعى، وخلّف بعده من نبغاء تلاميذه من حاول السير على منهجه؛ ففهمت بعض النصوص فهمًا فسيحًا، لم يأت عن تكلف فى التأويل أو تعسف فى النظر، وفى هذا المجال صدق قول الله **﴿سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد﴾** (سورة فصلت الآية: ٥٣). وهنا تكون مهمة المفسر المأمول أن يختار من الآيات الكريمة ما يعالج به مشكلات عصره، بعد أن يدرس هذه المشكلات، ويقرأ ما كتبه عنها ذو الدُّربة الواعية من ذوى الاختصاص، وبخاصة فى الأحوال الاجتماعية التى كادت أن تنقلب ظهرًا على عقب بما جدّ من محاكاة الذائع فى الدول المتقدّمة، وليس كلّ ذائع هناك مكروهًا منبوذًا، فمنه ما يعطى الثراء الحقيقى، ومنه ما ينخر فى كيان المجتمع فيرديه. وهنا يكون المفسّر الجدير بهذا الوصف، صمام أمن، وأداة

من أهم شروط التفسير العلمى ألا يطبق غير الثابت الحقيقى من النظريات التى محصت تمام التمحيص

إنقاذ، ليس المطلوب منه حينئذ أن يوالى تفسير كتاب الله وفق ترتيبه فى المصحف، ولكن المطلوب منه أن يتخذ منه دواء لما يرى من أسقام.

لقد ذاع منذ حين ما سمّى بالتفسير الموضوعى، ومعناه الحقيقى استيفاء موضوع خاص من موضوعات القرآن الكريم، يجمع كل ما ورد فيه من الآيات بحيث تشكّل موضوعًا واحدًا حين ترتب ترتيبًا دقيقًا، فيرى القارئ ما قد تناثر من الآيات فى سور شتى قد التأم فى عقد تام، وقد أحاط الباحث خبرًا بأسباب النزول فى كل نصّ، وقرأ خلاصة دقيقة لأقوال الثقات من المفسّرين وما استندوا إليه من العلل والأحاديث، فيكون من ذلك عناصر متماسكة تظهر البيان القرآنى فى منطقه الصريح، على أن يرعى كل عالم ناحية اختصاصه، فالفقيه مثلاً يقف عند آيات الأحكام، فيبوبها فصولاً فصولاً، والمؤرخ يقف عند آيات الأنبياء وأحداث الغابرين ممن تحدث عنهم القرآن حديث العظة البالغة، وأذكر أنى قرأتُ فى هذا المجال كتابًا ممتازًا تحت عنوان (الرسول فى القرآن) كان فى رأيى أصدق كتاب سطر عن محمد ﷺ؛ لأنه اعتمد على أصحّ مرجع لا يعلوه سواه، وأستاذ الأخلاق يختار آيات السلوك الإنسانى ليجعل منها فصولاً تهدى الناس فى طريق الحياة، وكذلك أتحدث عن الآيات الكونية، وما يتصل بها من التفسير العلمى، وهو ميدان اقتحمه بعض الفضلاء فاهتدى إلى خير كثير، ولكن فى أمان من مخاطره؛ لأن للتفسير العلمى شروطًا يجب أن يقف عندها المفسّر، وأهمّها ألاّ يطبق غير الثابت الحقيقى من النظريات التى محّصت تمام التمحيص، كما يجب أن

يكون المنطوق صريحًا دون اعتساف فى التأويل، فلا نجر الآية جرًّا إلى معنى لا تسفر عنه بلسان مبين، وقد رأيت بعض من اتجهوا إلى التفسير الموضوعى يتجاوزون مجالهم المحدود فى نطاق النصّ القرآنى، فيضيفون أقوال المفسّرين وقد تكون بعيدة، مع آراء للعلماء، وهى ليست فى صميم النصّ، وأذكر أنى قلت بصدد ذلك(١):

«لقد ظهرت مؤلفات تخص مسائل معينة مثل: «المرأة فى الإسلام» و«الإنسان فى الإسلام» و«المجتمع فى القرآن» لا يقتصر أصحابها على ما جاء فى كتاب الله وما يؤيده ويوضحه من حديث الرسول، بل يمتد إلى شجون مختلفة من القول تأتى الآيات خلالها وكأنها سيقت لتأييد وجهة ما، لا أنها هى المسيطرة على السياق، ثم بعد ذلك يكتب فى عنوان الدراسة وعلى الغلاف الخارجى عبارة (من التفسير الموضوعى)، وهى بعيدة عن التفسير الحقيقى للنص، وإذا جاز لنا أن نعتبر هذا المنحى من التفسير الموضوعى. فكل كتاب دينى يعتبر إذن تفسيرًا موضوعيًا لأنه يتضمن بعض آيات الكتاب!».

ولعل من الحق أن أشير إلى أن الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت رحمه الله، كان أظهر من وُفق فى التفسير الموضوعى توفيقًا يجب أن يكون موضع الاحتذاء؛ إذ كان فى كل ما عالجه من شئون الحياة فى ضوء الكتاب العزيز ملتزما بالنص القرآنى لا يخلطه بغيره، مع براعة محكمة فى الربط بين الآيات، واستشفاف دقيق لمدلولاتها، وقد جاءت بحوثه موجزة، ولكنها مستوفاة؛ لأنه لم يعمد إلى الوعظ المتدفق، أو الاستشهاد بنصوص السابقين؛ إذ سار وفق منحاه، فليت الذين يكتبون المجلّد الحافل فى موضوع قرآنى ينسبونه إلى هذا الاتجاه، يعرفون أنهم قد خلطوا كلام الله بسواه، فخرجوا عن محيط التفسير.

وقد يفهم مما ذكرتُ أنى لا أرحب بتفسير جديد على الطريقة التقليدية، فلستُ أعارض هذا الاتجاه إذا نهض به إمام يملك عدته التى اشترطتها العلماء فى المفسر، ولكنّى أرى أن هذا العهد الحافل بتياراته المختلفة لم يعد يسمح لعالمٍ ما أن ينهض وحده بتفسير يقضى حاجة المعاصرين على تباين اتجاهاتهم، فلا بد من نخبة علمية تؤلف من ذوى الاختصاصات المختلفة لتقوم بوضع تفسير يناسب التطلعات الواعية، كما لا بد أن تقرأ مجتمعة ما يكتبه كل عضو لتقرّه أو تضيف إليه، وإذا كنا فى مجال الفتوى الفقهيّة نسمع أصواتًا مخلصة تنادى بألاّ تنحصر الفتوى فى فقيه بالغ ما بلغ؛ إذ جدّت من القضايا ما تستلزم عقولاً متعاونة تفتى فى مثل مسائل الاستنساخ ونقل الأعضاء من الميت إلى الحى وغيرهما، إذا كنا نسمع ذلك فى الفتوى الشرعية فإن تفسير القرآن الكريم وهو الأصل الأول لكل فتوى دينيّة يجب أن تكون له هذه اللجنة، وأذكر أن بعض التفاسير قد خرجت عن لجان خاصة بمجمع البحوث الإسلامية، وبالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية، فسدّت حاجة القارئ العجلان، ولكننا نرجو أن تمتد إلى القارئ المطمئن ذى النظر المعاود، فنشبع رغبته بتفسير واعٍ دقيق، وذلك ممكن جدًّا، فلدينا من يجيدون.

وهناك مجالات شتى كنت أتمنى أن تُطرق فى ميدان التفسير، فيتجه إليها بعض من يشتغلون بالتفسير العام إذا أرادوا النفع الحقيقى بالعمل الجاد، لا بالتراخى الكسول، فقد ظهرت فى هذا القرن آراء جديدة لبعض الفضلاء لم تعهد من قبل، فلم لا ينهض مفسّر طُلعة فيخط كتابًا تحت عنوان (الجديد فى التفسير) يجمع فيه هذه الآراء، فيعرضها فى حيدة تامة ويصدر حكمه وفق ما يفتح الله به عليه دون تهجّم أو تزيّد، فالمجتهد مأجور وإن أخطأ، ولا أكتم القارئ أنى أشهد بعض البوارق المضيئة فى تفسير بعض الآيات الكريمة لنفر من العلماء يرسلونها فى بعض المجلاّت دون أن تجمع فى نطاق خاص، وهى فى جدتها القشيبة جديرة بالفحص

والتمحيص، ومن ذلك ما قرأته بمجلة الرسالة للأستاذ الدكتور عبد الوهاب عزام خاصًا بتفسير قول الله عز وجل: **﴿الم • غلبت الروم • فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون • فى بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون • بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم • وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾** (سورة الروم الآيات: ١ - ٦).

فهناك شبه إجماع من المفسرين على أن الروم قد هزمت على يد الفرس، وأن العرب استاءوا لهزيمة الروم؛ لأن تجار مكة من المشركين كانوا على صلة بالغساسنة خلفاء الروم، وقد رأوا أن يجعلوا هزيمة الروم بابا لمهاجمة المسلمين؛ لأن الروم أهل كتاب وقد هزموا. والفرس وثنيّون وقد انتصروا، فنزلت هذه الآيات تعد بنصر الروم، هذا هو المجمع عليه لدى المفسرين، ولكن الدكتور عبد الوهاب عزام رأى غير ذلك، وخلاصة ما اتجه إليه، أن هزيمة الروم التى اهتم بها مشركو مكة كانت سنة ٦١٥م وقد وقعت غزوة بدر فى السنة الثانية للهجرة سنة ٦٢٤م أى بعد بضع سنين، فَفَرحُ المسلمين يومئذ لا يكون لنصر الروم، وإنما لنصر المسلمين الموعودٍ به، وقد تحقق يوم بدر وهو نصر الله الذى تحدثت عنه الآية.

أما الدليل المرجح لذلك، فهو أن الروم كانوا حينئذ أرباب طغيان وجبروت، وعسفٍ بالأمم والشعوب، وتسخير الرعايا فى الأهوال والمشاق عن غطرسة مبتكرة، ونَصْر هؤلاء لا يمكن أن يكون نصر الله الذى وعد به المسلمين وعدًا لا يخلفه، إنما الوعد الربانى فهو للفئة المجاهدة فى سبيل الله، ويؤكد ذلك أن الرسول قد اضطر فى حياته إلى محاربة الروم حين أرسل الجيوش إلى مؤتة فى وقت كان فيه هرقل حاكم الدنيا المنتصر على فارس، فقول الله: **﴿وعد الله لا يخلف الله وعده﴾** إنما يعنى الوعد المبشر بنصر المسلمين.

التفسير ليس وقفًا على الكتب الخاصة به، بل يتعدى ذلك إلى كل استشهاد قام به كاتب أو خطيب

هذا رأى جديد سبق به عالم أديب لم يُعرف عنه اشتغال بالتفسير، ولكنّه أقنع به نفرًا من الباحثين لوجاهة دليله! فإذا عكف باحث على تصيّد أمثال هذه الآراء، فإنه بمؤلفه المنتظر يضيف الجديد حقّا، وهو بذلك يفيد قارئه إفادة لا يجدها منه إذا نقل النصوص من كتاب إلى كتاب!! فى تفسير غير جديد.. وليس معنى هذا أن كل رأى جديد فى التفسير صحيح يجب الاحتفال به، ولكن معناه أن بين هذه الآراء ما هو جدير بالذيوع بعد أن يثبت للنقاش.

وبقراءة ما بأيدينا من كتب التفسير، نرى التزام الكثرة بما هو مقرر دون محاولة للاعتراض عليه، ومع هذه الكثرة قلة تحاول الاستعلاء دون رصيد مؤهل من الموهبة الواعية والاطلاع المستنير؛ إذ دأب قوم على توهين ما يُعتبر من قبيل المسلمات، وكأن تخطئة السابقين هدف مقصود لذاته مع الميل المفاجئ إلى رأى لم تتهيأ أسبابه المقنعة، وقد تعجبُ حين تجد السخرية من إمام شهير لمجرد شبهات طافت بنفس الكاتب، وقد نسى هذا السّاخر أنه يعتمد اعتمادًا كبيرًا على ما سجّله المنقود فى أكثر ما نسخه من آراء، وهذا ما يفرض عليه التأدب الحذر أمام قمة عالية، هو لا يزال يقف فى السفح أمامها رافعًا رأسه على استحياء، لو عرف موضعه الصحيح! وكتاب الله عز وجل ليس قصيدة شعرية نجتهد فى فهمها كما نشاء، فنتوهّم رمزا فى عبارة صحيحة، أو كنايةً فى حقيقة سافرة، فالخطأ حينئذ مأمون العاقبة؛ إذ لا ضرر ينشأ عنه، ولكنّ الخطر يكمن فى فهم النص القرآنى على غير

وجهه، ومحاولة إيهام القارئ بصحة هذا الشطط؛ لأنّ المتكلم هو الله، والحكمُ حكمُه فيما قال، فالخشيةُ الحذرة هنا واجبة لا محالة، وقد عَدّ الباحثون صفة الإخلاص الدقيق من أول صفات المفسّر، فبهذا الإخلاص ينتهى العاجز عن مزاولة ما لا يحسن، ويُقدّر غير العاجز لكلّ خطوة يخطوها أين يكون موقعها العاصم من الزّلل، ونعرف فى تاريخ اهل العلم من امتنع عن تفسير كتاب الله مع أهليّته الكافية مخافة الخطأ غير المقصود، بل كان الكبار من الصحابة ومن تبعهم بإحسان يحيلون الإجابة على نظرائهم تحرّجا من الخطأ، وعمرُ بن الخطاب رضي الله عنه على جلالة خطره وقوة فراسته أحال سائله مرّات إلى على بن أبى طالب، وطلب أن يرجع بالإجابة إليه ليعلم ما قاله، ومن هؤلاء الكبار من رُويت عنه هذه المقالة المشتهرة «أى أرض تقلنى وأى سماء تظلّنى إذا قلت فى كتاب الله ما لا ينطبق»! فليحذر المتسرعون فهم يقفون على جُرُفٍ مهيل.

وليس التفسير وقفًا على الكتب الخاصة به وحدها، بل يتعد ذلك إلى كل استشهاد قام به كاتب أو خطيب فى مناسبة ما، حين يجىء بالنص القرآنى وكأنه ذو دلالة على ما يقول، وقد رأيت فى هذه الناحية ما يبعث العجب حقّا؛ إذ يتحمل بعض الكاتبين من المرتزقة الذين يأكلون على كل مائدة، كى يأتى بنَصّ يسعفه فى تأييد من يخطب فى حبلهم من ولاة الأمر، أو يظن أنّه يسعفه، لأنّ القارئ أزكى منه إذ يهديه الله إلى احتقار ما بين يديْه من ضلال، فإذا أراد القارئ مثلاً على ذلك، فإنى سأُسعفه بمثال شاذ قبيح يدلّ على سَفه الكاتب وعبث الناشر معا!! ففى فترة الحكم الشمولى ذى الحزب الواحد قامت قيامة الهتّافين طعنًا فى الحزبية والمتحزبين، واهتبلَ أحدهم الفُرصة فنشر فى مجلة حكومية مقالاً تحت عنوان (الأحزاب فى القرآن) ملأه بآيات لا صلة بينها وبين الحزبية السياسية بحال، فقد استشهد بقول الله عز وجل: **﴿فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم﴾** (سورة الزخرف آية: ٦٥)، وقوله تعالى: **﴿وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة أولئك الأحزاب﴾** (سورة ص آية: ١٣)، وقوله: **﴿جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب﴾** (سورة ص آية: ١١)، وقوله: **﴿ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيمانا وتسليما﴾** (سورة الأحزاب آية: ٢٢)، وأطال التعقيب على النص الأخير باعتبار أن لفظ الأحزاب قد ذُكر مقابلا للفظ المؤمنين فهم الكفار!! وأنا أعتقد اعتقادًا جازمًا أن الكاتب يكذب ويعلم أنّه يكذب؛ إذ المراد بكل ما ذكر، هم الأعداء الذين يناوئون دعوات الأنبياء، وليسوا هم رجالَ الأحزاب السياسية ذات البرامج المحددة المشتهرة، والساعية لتولية الحكم بناء على الأصول الذائعة! فالحزب هنا ذو مدلول سياسى لا يلتقى مع النص القرآنى فى حرف واحد، أمّا الحزب فى القرآن فموقعه يدل عليه السياق، ومعناه الفريق، وهو تارةً حزب الحق كما قال الله عز وجل: **﴿ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون﴾** (سورة المائدة آية: ٥٦)، وتارةً حزبُ الباطل كما قال الله عز وجل: **﴿استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون﴾** (سورة المجادلة آية: ١٩)، ولا أدرى هل نسى الكاتب حزبَ الله فى القرآن، أو أنه من الذين يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض!

إن الفكر الإسلامى بحمد الله يسير بخطوات فسيحة نحو التقدم، وما رجوته فى مجال التفسير القرآنى سهل التحقيق، فلدينا الدارسون الفاقهون مع إخلاص يدفع إلى الحق ويهدى إلى صراط العزيز الحميد.

الهامش:

(١) التفسير القرآنى. د. محمد رجب البيومى.

نظرات بيانية فى الكلمة القرآنية (١٦)

د. طه مصطفى أبو كريشة

نتابع الحديث حول استخدام صيغة الفعل المضارع مكان صيغة الفعل الماضى فى السياق القرآنى، مع أن المقام مقام حديث عن أمور وقعت ومضت، ومن ثم فإن السياق كان يقتضى أن يجئ التعبير عن الحدث بصيغة الفعل الماضى، ولكن حدث العدول عن ذلك لغرض وسر من وراء هذا العدول. وهذا هو مجال النظرة البيانية التى نحاول أن نقف على هذا السر وأن نستكشف الغاية الكامنة وراءه.

ومن المجالات التى رأينا فيها هذا العدول مجال الحديث عن الهجرة النبوية المشرفة فى القرآن الكريم، لأن الحديث عنها كان حديثا عن حدث وخبر أصبح ماضيا فى التاريخ، فقد جاء الحديث عنها مرة قرب سنتين من الهجرة ومرة ثانية بعد أربع سنوات، ومرة ثالثة بعد تسع سنوات، وقد جاءت الأفعال فى سياق الحديث عنها جامعة بين الأفعال الماضية، والأفعال المضارعة، أما الأفعال الماضية فقد جاءت على الأصل فى حكاية الحدث، أما الأفعال المضارعة فهى التى جاءت على خلاف الأصل، ومن ثم كانت موضع النظرة البيانية التى نعرض لها هنا.

(٧٠) من المواضع التى جاء الحديث فيها عن الهجرة قريبا من سنتين ما جاء فى سورة الأنفال فى قول الله عز وجل ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ (سورة الأنفال الآية ٣٠)، إن هذه الآية الكريمة فيها حديث عن المؤامرة التى كان يتآمر فيها المشركون من أجل التخلص من النبى ﷺ ومن دعوته. وقد جاءت فى سياق آيات أخرى كان فى بعضها ما يتصل بالحديث عن الهجرة أيضًا، وذلك فى قول الله تعالى ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (سورة الأنفال الآية ٢٦) إن هذه الآية الكريمة فيها أمر بتذكر ما كان عليه المسلمون قبل هجرتهم وهم فى مكة، حيث كانوا قلة مستضعفة خائفة ﴿إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ﴾ (سورة الأنفال الآية ٢٦)، وفيها كذلك أمر بتذكر ما أصبحوا فيه بعد الهجرة، حيث تبدل حالهم إلى أفضل حال، إذ تغيرت القلة إلى الكثرة،

وتغير الاستضعاف إلى القوة، وتغير الخوف إلى الأمن، والاستقرار فى رحاب المدينة، وتغير الفقر والعوز إلى الغنى والرزق من الطيبات ﴿فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ وقد لاحظنا مجئ الأفعال الماضية وهى (آوَاكُمْ - أَيَّدَكُم - رَزَقَكُم) وهذا هو الأصل الذى يعنى الحصول والوقوع، وكلها أفعال تسجل نعم الله تعالى التى أنعم بها على عباده المهاجرين المخلصين، وكل نعمة تقتضى الشكر عليها (لعلكم تشكرون).

فإذا جئنا إلى الآية ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ فإننا نجد أن التذكير جاء من خلال صيغة المضارع فى (يَمْكُرُ بِكَ - يَمْكُرُونَ - يَمْكُرُ اللَّهُ) مع أن المراد أن ذلك قد حدث وتم ووقع، وكان من الممكن أن تأتى هذه الأفعال فى صيغة الفعل الماضى (مكر) لكن رأينا العدول عن ذلك إلى الصيغة التى معنا فى الآية وهى صيغة الفعل المضارع فلماذا؟ إن الإجابة عن ذلك نقف عليها إذا عرفنا أن ليلة الهجرة كانت تمثل النقطة الفاصلة فى مسيرة الدعوة الإسلامية، ذلك لأن المشركين كانوا قد وصلوا إلى قرار نهائى وهو قتل النبى ﷺ عند خروجه من داره ليلا لأداء الصلاة، وقد وصلت كتيبة الاغتيال وأحاطت بمنزل النبى ﷺ، ثم كان ما كان حين أعمى الله تعالى الأبصار والبصائر، فلم ير أحد النبى ﷺ وهو خارج من منزله متجها إلى غار ثور الذى كان فيه أيضا ما كان من مظاهر القدرة الإلهية التى صاحبت النبى ﷺ فى كل خطواته، فلم يستطع أحد أن يناله بسوء. إن الوقوف على قدرة الله عز وجل التى كان من آثارها أن ينجو النبى ﷺ عند الحصار هو جوهر التذكر الذى تدعو إليه الآية الكريمة، والتذكر يكون أبلغ وأوقع وأظهر عندما يكون من خلال الحدث الحاضر المرئى المشاهد، وهو ما توفره صيغة الفعل المضارع، إنها الصيغة التى تسحب الحدث الماضى فتجعله حاضرا مرئيا مشاهدا كأنه يحدث وقت الأمر بالتذكر، ومن هنا يكون الوقوف على النعمة الجليلة العظيمة، التى تستدعى الشكر للمنعم الوهاب سبحانه وتعالى، ثم يصحب ذلك شعور عظيم بالثقة فى الله عز وجل الذى يكون مع عباده المتقين المخلصين، وكم كان المسلمون آنذاك فى حاجة ماسة إلى التزود الدائم بالطاقة الإيمانية المستمدة من حسن التوكل على الله عز وجل ﴿يَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾.

(٧١) أيضًا من حديث القرآن الكريم عن هجرة النبى ﷺ ما جاء فى سورة التوبة بعد تسع سنوات من الهجرة، وقد جاء فى هذا الحديث الإخبار عن النبى ﷺ حين ذهب إلى غار ثور بعد خروجه من منزله ونجاته من حصار الفتية الأشداء المسلحين بالسيوف، إن الحديث عن ذلك هو الذى جاء فى قول الله تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (سورة التوبة الآية ٤٠)، إن هذا الحديث جاء فى سياق الآيات التى جاءت بشأن أولئك النفر الذين تقاعسوا عن المشاركة فى غزوة تبوك التى كان الإعداد لها فى وقت الصيف حيث الحر الشديد، فقال من قال من

هؤلاء المتقاعسين (لا تنفروا فى الحر)، ومن ثم تثاقلوا عن الخروج للقتال، فنزل قول الله تعالى: معاتبا ومحذرا ومتوعدا ﴿يا أيُّها الَّذين آمنوا ما لَكُمْ إذا قيلَ لَكُمُ انفروا في سَبيلِ اللَّه اثَّاقَلْتُم إلَى الأَرْضِ أَرَضيتُم بالْحَيَاة الدُّنْيا من الآخرة فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاة الدُّنْيا في الآخرة إلاَّ قَليلٌ ● إلاَّ تنفروا يُعَذِّبْكُم عذابًا أليمًا وَيَسْتَبْدلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (سورة التوبة الآيتان ٣٨ و٣٩)، ومع هذا العتاب والتحذير والوعيد جاء الإخبار بأن هذا العتاب لا يعنى أن الموقف متوقف على نصرتهم ومشاركتهم فى القتال، أو أن النصر لن يكون إلا إذا خرجوا مع النبى ﷺ، إذا ظنوا ذلك فليعلموا أن الأمر على خلاف ظنهم، فالله عز وجل ناصر نبيه ﷺ ولو لم يخرج معه أحد، وهناك من شواهد تاريخ الدعوة ما يؤكد ذلك، ومن أبرز هذه الشواهد شاهد غار ثور الذى أوى إليه النبى ﷺ ومعه صاحبه ورفيق هجرته سيدنا أبو بكر رضي الله عنه، وهذا الشاهد هو الذى سجلته الآية الكريمة التى معنا فى قول الله عز وجل ﴿إلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إذْ أَخْرَجَهُ الَّذين كفروا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إذْ هُمَا فِي الْغَارِ إذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ إن تاريخ السيرة النبوية يخبرنا أن المشركين تتبعوا الأثر فى الطريق الذى سلكه النبى ﷺ بعد خروجه من بيته إلى أن انتهى بهم الأثر إلى هذا الغار الذى دخله النبى ﷺ، حيث توقفوا عنده وهم فى ثقة تامة أن النبى عليه الصلاة والسلام لابد أن يكون بداخله دون شك، لولا أنهم رأوا من الدلائل ما يؤكد أيضا أن أحدا لم يدخل فيه، فأمامهم نسيج العنكبوت يغطى مدخل الغار، ولو دخل فيه أحد لتهتك وتمزق هذا النسيج، ومن ثم كان الانصراف الذى لابد منه دون محاولة النظر خلال خيوط العنكبوت، لأنه لا ضرورة إلى هذا النظر مع إسدال العنكبوت خيوطه على فم الغار، وقد عبر سيدنا أبو بكر عن ذلك فى قوله للنبى ﷺ **(لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا يا رسول الله)** فيجيبه عليه الصلاة والسلام بقوله **(ما ظنك باثنين الله ثالثهما)** أى أن الله تعالى هو الذى حول عقولهم عن فكرة النظر فتحولت العيون ولم يعد بإمكانها النظر إلى أسفل.

إننا عندما ننظر فى هذه الآية الكريمة فإننا نراها وقد توالت فيها صيغة الفعل الماضى (نصره - أخرجه - فأنزل - أيده - جعل) وهى أفعال تتناسق مع طبيعة التذكير بحدث مضت عليه تسع سنوات، فقد تم النصر، وتم الإخراج من مكة، وتم إنزال السكينة على النبى ﷺ عندما كان فى الغار، وتم تأييده بالجنود التى لم يرها أحد، والتى كانت سببا فى أن المشركين رجعوا من حيث أتوا، يجرون أذيال الخيبة والحسرة والهزيمة النكراء.

ومع هذه الأفعال الماضية رأينا فعلا واحدا جاء على صيغة الفعل المضارع مع أنه ينقل ويذكر بشىء قد حدث، شأنه شأن تلك الأفعال الماضية، وهذا الفعل هو فعل القول الذى جاء فى قوله تعالى فى سياق الآية ﴿إذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ﴾ إن فعل القول الذى قيل هو (يقول) مع أن القول قد صدر وانتهى منذ زمن بعيد، فلماذا كان العدول عن صيغة الفعل الماضى (إذ قال) التى تسير فى نسق باقى الأفعال إلى صيغة (يقول) التى تدل على الحدث الحاضر؟ إن

النظرة البيانية هى التى تحاول أن تقف على سر هذا العدول، وذلك من خلال تذكر أن الأحداث فى الهجرة وصلت إلى قمتها حين وصل المطاردون إلى الغار، ولم يكن هناك فاصل يفصلهم عن النبى ﷺ إلا مجرد نظرة ينظر بها واحد منهم تحت قدميه، ومن ثم كان ما كان من تخوف سيدنا أبى بكر الذى لابد أن تكون قد ظهرت عليه دلائله، وهى تلك الدلائل التى أفادها القول النبوى الذى سجلته الآية ﴿لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ إن صيغة الفعل المضارع (إذ يقول) هى التى تجعل كل من يقرأ الآية الكريمة كأنه يستمع إلى النبى ﷺ وهو يقول هذا الخطاب لسيدنا أبى بكر رضي الله عنه، وكأنه أيضًا يشارك فى رؤية هذا المشهد داخل الغار. إن صيغة الفعل المضارع فى هذا القول هى التى أحيت هذا الحدث، ونقلته من الماضى إلى الحاضر، وهو الحاضر المستمر فى أى وقت تكون فيه تلاوة لهذه الآية الكريمة.

(٧٢) إن هذين الموضعين اللذين وقفنا عندهما من خلال النظرة البيانية هما موضعان خاصان بالنبى ﷺ، أحدهما خاص بليلة هجرته، والآخر خاص به عندما كان فى غار ثور. وهناك موضع ثالث يتصل بالحديث عن الهجرة، وما ترتب عليها من آثار لكنه يخص المهاجرين والأنصار، مع بيان ما كان لهما من دور مشكور ومأجور فيها، وهو الذى سجله القرآن الكريم فى قول الله عز وجل ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ● وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ● وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (سورة الحشر الآيات ٨ -١٠).

إن هذه الآيات نزلت بعد أربع سنوات من الهجرة، وفيها هذه الإشادة التى استدعاها الموقف الذى ذكرت فيه، وهو الحديث عن الفىء وعن الوجوه التى يصرف فيها، وهو ما جاء ذكره فى الآية السابقة على هذه الآيات فى قول الله تعالى ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾(سورة الحشر الآية ٧).

إن الحديث عن الفىء هو الذى استدعى الحديث عن المهاجرين الذين لهم حق فيه، والحديث عن المهاجرين استدعى الحديث عن الأنصار، والحديث عنها استدعى الحديث عمن يأتى بعدهم.

إن الحديث عن المهاجرين هو الذى جاء فى قوله تعالى ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ (سورة الحشر الآية ٨). وهو حديث يسجل عنهم ما كان من إخراج المشركين لهم من ديارهم واستيلائهم على أموالهم، وقد رضى المهاجرون بذلك ابتغاء مرضاة الله تعالى: وقصداً إلى نصرة دينه ونصرة رسوله ﷺ، ومن ثم استحقوا أن يمدحهم الله تعالى وأن يثنى عليهم بأنهم الصادقون حقا فى إيمانهم وفى تضحيتهم من أجل نصرة دينهم.

وأما الحديث عن الأنصار فهو الذى جاء فى قول الله عز وجل ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ وهو حديث يسجل للأنصار ما كان منهم من حب للمهاجرين حيث استقبلوهم بالترحاب الذى يفيض حبا ومودة وكان من مظاهر ذلك أنهم آثروهم على أنفسهم، حين دعوهم إلى المشاركة معهم فى سكناهم وفى أموالهم، مهما كانت حاجتهم إلى المساكن والأموال، ومن هنا كانوا أجوادًا أسخياء يستحقون أن يكونوا متفردين بالفوز والفلاح.

إن موقف المهاجرين والأنصار أصبح موقف يذكره التاريخ وأصبح له الأثر العظيم عند أولئك الذين لم يعايشوا حدث الهجرة ممن دخل فى الإسلام بعد ذلك، وهؤلاء هم الذين تشير إليهم الآية الكريمة فى قول الله تعالى ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (سورة الحشر الآية ١٠).

إن النظرة البيانية هى التى تقف عند جملة الحال التى جاءت بصيغة الفعل المضارع فى ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ (سورة الحشر ٨)، وكان من الممكن أن تأتى بصيغة الفعل الماضى (وقد ابتغوا ونصروا) لأن الآية تتحدث عن أمر قد وقع وانتهى. لكن جملة الحال جاءت بصيغة الفعل المضارع لتجعل الحدث مرئيا مشاهدا، وواقعا فى الحاضر كأننا نراه رأى العين فندرك منزلة المهاجرين الذين تحملوا ما تحملوه فى سبيل نصرة هذا الدين.

وأيضا فإن النظرة البيانية تقف فى الحديث عن الأنصار عند هذه الأفعال (يحبون - ولا يجدون - ويؤثرون) وهى أفعال جاءت بصيغة الفعل المضارع، وكان من الممكن أيضا أن تأتى بصيغة الفعل الماضى (أحبوا - وماوجدوا - وآثروا) لأن الآية أيضا تتحدث عن أمر قد مضى وانتهى، لكن الثناء الإلهى عنهم يجعلنا كأننا ننظر إليهم فى حاضرنا وهم يقومون بهذه الأفعال التى تعنى دوام الحب، ودوام الشعور بالرضا عن المنزلة التى وصل إليها المهاجرون بسبب هجرتهم، كما تعنى دوام الإيثار على أنفسهم مهما كانت الحاجة إلى ما يؤثرون به، إن نقل صورة الماضى إلى الحاضر المشاهد هو الذى جعل صيغة الفعل المضارع فى هذه الأفعال تحتل مكان صيغة الماضى التى كان يقتضيها السياق.

أما النظرة البيانية التى تخص الحديث عن الذين جاءوا بعد المهاجرين والأنصار فإنها تقف فقط عند الفعل (يقولون) الذى جاء فى ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ﴾ فالآية الكريمة تتحدث عن أمور رفضت تخص هؤلاء، ومن ثم كان السياق يقتضى أن يقال ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ قَالُوا﴾ بصيغة الفعل الماضى، لكن عدل عنه إلى (يقولون) إشعارا بأنهم لايزالون على هذا القول الدال على الوفاء وعلى التقدير لما قام به المهاجرون والأنصار، وما دام الفعل دالاّ على الاستمرار فإن ذلك يعطى شهادة موثقة من خلال حاضر مرئى ومسموع.

من نماذج التفسير اليهودى المسيحى للقرآن الكريم

د/ جمال الحسينى أبو فرحة

يقول تعالى: ﴿يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ (آل عمران ٥٥).

وقد كانت هذه الآية مثار كثير من الشبهات، ومنطلقًا للعديد من الادعاءات.

ففهم منها بعض القارئين أن القرآن الكريم هنا كالكتاب المقدس يقول بموته عليه السلام؛ مخالفين بفهمهم هذا قوله تعالى: **﴿وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفى شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا ● بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزًا حكيمًا﴾** (النساء ١٥٧، ١٥٨).

وفهم منها بعض المسيحيين أن القرآن يشهد على صحة دينهم إلى يوم القيامة؛ وطعنوا بها فى القول بنسخ شريعة الإسلام لشريعتهم؛ وقالوا: إن القرآن قد فرق بين أتباع عيسى - عليه السلام - والذين كفروا؛ فأتباعه بنص الآية قد تمايزوا عن الذين كفروا وتباينوا عنهم بأن جعلهم الله فوقهم إلى يوم القيامة؛ وقالوا إن الله لا يؤيد الكافر ولا الفاسق.

وفى الرد على الشبهة الأولى: قال جماعة من العلماء منهم الضحاك والفراء فى قوله **﴿إنى متوفيك ورافعك إلى﴾** إنه على التقديم والتأخير؛ لأن الواو لا توجب الرتبة، والمعنى: إنى رافعك إلى ومطهرك من الذين كفروا ومتوفيك بعد أن تنزل من السماء فى آخر الزمان؛ كقوله: **﴿ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزامًا وأجل مسمى﴾** (طه ١٢٩). والتقدير: ولولا كلمة سبقت من ربك وأجل مسمى لكان العذاب لزامًا؛ وكقول الشاعر:

ألا يا نخلة من ذات عرق
عليك ورحمة الله السلام

أى عليك السلام ورحمة الله.

وقال الحسن وابن جريج: معنى متوفيك: قابضك، ورافعك إلى السماء من غير موت؛ مثل قولنا: «توفيت مالى من فلان، أى قبضته».

وعن الربيع بن أنس: هى وفاة النوم؛ قال تعالى: **﴿وهو الذى يتوفاكم بالليل﴾** (الأنعام: ٦٠). أى: ينيمكم؛ والصحيح والذى عليه الجمهور: أن الله رفعه إلى السماء من غير وفاة النوم.

وردًا على الشبهة الثانية: قال جماعة من العلماء: إن الوقف تام عند قوله: **﴿ومطهرك من الذين كفروا﴾**؛ وقوله: **﴿وجاعل الذين اتبعوك﴾** أى

يا محمد، وقوله: ﴿**فوق الذين كفروا**﴾ أى بالحجة والبرهان.

وعلى أن المراد هو عيسى فى قوله: ﴿**وجاعل الذين اتبعوك**﴾؛ فالمسلمين لا النصارى هم الذين اتبعوا عيسى عليه السلام؛ لأن النصارى بدلوا دينهم، ولا يعرفون شيئًا عن عيسى المذكور فى الآية؛ وإنما مسيحهم الذى يؤمنون به فيسمونه «يسوع» لا «عيسى» ويعبدونه فهو عندهم الله نفسه أو ابنه لا نبيه فتعالى الله عما يقولون؛ والمسلمون هم الذين اتبعوا الهدى الذى شرعه الله لكل الأنبياء؛ يقول تعالى: ﴿**شرع لكم من الدين ما وصى به نوحًا والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه**﴾ (الشورى ١٣)، ويقول النبى ﷺ: «**إنا معاشر الأنبياء ديننا واحد، وإن أولى الناس بابن مريم لأنا؛ لأنه ليس بينى وبينه نبى**» رواه البخارى وأبو داود وأحمد.

وأرى أنه لا مانع من أن يكون المراد من قوله: «وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة»: أى الذين اتبعوك يا عيسى عند نزولك فى آخر الزمان؛ ويشهد لهذا التفسير سياق الآية الذى يتحدث عن عيسى عليه السلام ورفعه؛ فكأن الآية: «**يا عيسى إنى ...... رافعك إلىَّ ومطهرك من الذين كفروا** (ومنزلك ومتوفيك) **وجاعل الذين اتبعوك** (عند نزولك فى آخر الزمان) **فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة**».

ويشهد لهذا التفسير، وأن الآية تتحدث عن أناس من المسلمين لما يأتوا بعد، أن كل من اتبع عيسى عليه السلام، أو ادعى ذلك الاتباع بأية صورة كان، لم يجعله الله تعالى فوق أعدائه دائمًا فى العز والغلبة؛ وهذه هى شهادة التاريخ اليقينية عند كل أحد.

لقد أعلن كثير من المفكرين ورجال الدين المسيحى واليهودى إيمانهم بنبوة محمد ﷺ؛ لما يجدونه عندهم فى كتبهم من البشارة به ﷺ؛ ولما رأوا عليه من أعلام النبوة؛ إلا أنهم لم يعلنوا إسلامهم، وظلوا على دياناتهم يهودًا ونصارى.

وذلك أنهم ظنوا أحد ظنين:

● **الأول:** أن محمدًا - ﷺ - إنما بعث للعرب وحدهم دون غيرهم؛ اعتمادًا على فهم خاطئ لهم لبعض النصوص القرآنية التى تتحدث عن إرساله - ﷺ - للعرب.

● **الثانى:** أنهم ظنوا أن لهم الخيرة فى اتباع أى من شرائع السماء، ولم يعترفوا بعقيدة نسخ الشرائع.

ومن أشهر هؤلاء قديمًا: أبو عيسى بن إسحاق بن يعقوب الأصفهانى، وفرقته من اليهود المسماة بالعيسوية.

أما فى عصرنا الحديث فهؤلاء أكثر من أن يحصوا عددًا؛ فمنهم: باول شفارتزيناو: أستاذ الثيولوجيا البروتستانتية وعلوم الأديان بجامعة دور تموند بألمانيا، ومنهم كانون ماكس وارن: سكرتير جمعية التبشير الكنسية التابعة للطائفة الإنجيلية؛ ومنهم الشاعر الفرنسى لامارتين، والروائى الروسى تولستوى، وغيرهم كثير.

وهناك آخرون لم يؤمنوا بنبوته - ﷺ - ولكنهم احتجوا بنفس النصوص القرآنية التى احتج بها المقرون من غير المسلمين، وبنفس تفاسيرهم الباطلة لها؛ دحضًا للحق، وتلبيسًا علينا، وصدًا عن ديننا، وحصرًا له بين العرب.

وحقيقة الأمر أن القرآن الكريم ليس به آية واحدة تدل على اختصاصه بالعرب كما يدعى هؤلاء؛ وإنما فيه إثبات

رسالته إليهم، كما أن فيه إثبات رسالته إلى قريش، وليس هذا مناقضًا لهذا، كما فيه إثبات رسالته إلى أهل الكتاب كقوله تعالى: **﴿يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا﴾** (النساء ٤٧)، بل وفيه إثبات رسالته للعالم أجمع كقوله تعالى: **﴿قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعًا﴾** (الأعراف ١٥٨).

وليس هذا التخصيص منافيًا لذلك التعميم، وليس خطابه لطائفة ودعوته لها مناقضًا لخطابه للأخرى ودعوته لها.

فقوله تعالى لمحمد - ﷺ -: **﴿لتنذر قومًا ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون﴾** (القصص ٤٦) أو قوله: **﴿لتنذر قومًا ما أنذر آباؤهم فهم غافلون﴾** (يس ٦). لا يقتضى أنه لم يرسل إلا لهذا، بل مثل هذا مثل قوله تعالى: **﴿الله الذى خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شىء قدير وأن الله قد أحاط بكل شىء علمًا﴾** (الطلاق ١٢) فأخبر تعالى أنه خلق العالم العلوى والسفلى ليعلم العباد قدرته وعلمه، ومع هذا فلا شك أن فى ذلك كثير من الحكم الأخرى.

وكذلك مثل قوله تعالى: **﴿ولله ما فى السماوات وما فى الأرض ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى﴾** (النجم ٣١) ومعلوم أن فى ملك الله حكمًا أخرى غير جزاء المحسن والمسىء.

وأيضًا مثل قوله تعالى: **﴿وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذى بين يديه ولتنذر أم القرى ومن حولها﴾** (الأنعام ٩٢). ومعلوم أن فى إنزال القرآن حكمًا أخرى مثل تبشير من آمن به، والأمر والنهى.

وكذلك مثل قوله تعالى: **﴿فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوًا وحزنا﴾** (القصص ٨) وليست العاقبة منحصرة فى ذلك، بل فى ذلك من الحكم الأخرى كثير: كالإحسان إلى موسى، وتربيته ... إلخ.

ومثل ذلك كثير فى كلام الله عز وجل، وغير كلام الله؛ إذا ذكر حكمه لفعل لم يلزم ألاَّ تكون له حكمة أخرى، ولكن لا بد لتخصيص تلك الحكمة بالذكر فى ذلك الموضوع من مناسبة، فمثلا فى قوله تعالى: **﴿لتنذر قومًا ما أنذر آباؤهم﴾** (يس ٦) كان تخصيص هؤلاء بالذكر لا لانتفاء إنذار من سواهم، ولكن لأنهم أول المنذرين وأحقهم بالإنذار، وما زال العقلاء فى مخاطبتهم يتكلمون فيما يوجد سببه، ويسكتون عما لم يتعين سببه، وإن كان المذكور والمسكوت عنه حقين واقعين، ولما كان المقصود إظهار المنة على العرب خصوا بالذكر، ولما كان أيضًا المقصود فى موضع آخر تنبيه بنى إسرائيل وإرشادهم خصوا بالذكر، وخصصت كل فرقة من اليهود والنصارى بالذكر ولم يذكر معها غيرها فى القرآن فى تلك الآيات المتعلقة بهم وهذا شأن الخطاب أبدًا.

وأما قوله تعالى: **﴿لقد منَّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته﴾** (آل عمران ١٦٤)، وقوله تعالى: **﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم﴾** (التوبة ١٢٨)؛ فزعم هؤلاء أن المراد من قوله: **(من أنفسهم)** فى الآية الأولى، وقوله: **(من أنفسكم)** فى الآية الثانية، أى من العرب، ثم زعموا أن فى

ذلك برهانًا على اختصاص رسالته - ﷺ - بالعرب وحدهم دون غيرهم.

وقولهم باطل؛ فهذا فى عمومه نزاع؛ فإنه إما أن يكون خطابًا لجميع الناس ويكون المراد: إنا بعثنا إليكم رسولا من البشر إذ كنتم لا تطيقون أن تأخذوا عن ملك من الملائكة، فمنّ الله عليكم بأن أرسل إليكم رسولا بشريًا؛ قال تعالى: **﴿وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكًا لقضى الأمر ثم لا ينظرون ● ولو جعلناه ملكًا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون﴾** (الأنعام ٨ ، ٩)؛ وإما أن يكون الخطاب للعرب، وعلى التقديرين، فإن ما تتضمنه الآيات ذكر إنعامه على المخاطبين بإرساله رسولا من جنسهم سواء كان المخاطبون هم العرب أو البشر، وليس فى هذا ما يمنع أن يكون مرسلا إلى غيرهم أيضًا؛ فحتى وإن كان الخطاب للإنس كلهم فهو أيضًا مرسل إلى الجن وهو ليس من جنسهم، قال تعالى: **﴿قل أوحى إلىّ أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبًا ● يهدى إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدًا﴾** (الجن ١ ، ٢).

وقد تعلق بعض أهل الكتاب فى دعواهم بخصوصية الرسالة الإسلامية بالعرب بقوله تعالى: **﴿إنا أنزلناه قرآنا عربيًا لعلكم تعقلون﴾** (يوسف ٢)؛ وبقوله تعالى: **﴿ولو نزلناه على بعض الأعجمين ● فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين﴾** (الشعراء ١٩٨ ، ١٩٩)، وقوله تعالى: **﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم﴾** (إبراهيم ٤).

ودعواهم باطلة، ولا تناقض هذه الآيات دعوى عالمية الرسالة؛ فالحكمة فى أن الله تعالى إنما يبعث رسالة بألسنة قومهم هى أن يتم مقصود الرسالة من التفهيم والبيان والإرشاد، وإذا تقررت نبوة النبى فى قومه قامت الحجة على غيرهم ممن أرسل إليهم؛ فإن أقارب الإنسان ومخالطيه المطلعين على حاله والعارفين بوجوه الطعن عليه أكثر من غيرهم، إذا سلموا ووافقوا، فغيرهم أولى أن يسلم ويوافق، وفرق بين قوله تعالى: **﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه﴾** وبين أن يقول: وما أرسلنا من رسول إلا لقومه؛ فالقول الثانى هو المفيد لاختصاص الرسالة بهم لا الأول.

بل فرق بين قوله: وما أرسلنا من رسول إلا لقومه، وبين قوله: وما أرسلنا من رسول إلا مكلفًا بهداية قومه؛ فالثانى لا إشعار فيه بأنه لم يكلف بهداية غيرهم بعكس الأول؛ فمن لم يكن له معرفة بدلالات الألفاظ ومواقع المخاطبات، سوّى بين المختلفات، وفرق بين المؤتلفات.

وكذلك التوراة إنما أنزلت باللسان العبرى وحده، وموسى عليه السلام لم يكن يتكلم إلا بالعبرية؛ وكذلك المسيح عليه السلام لم يكن يتكلم إلا بالعبرية باللهجة الآرامية؛ وكذلك سائر الكتب لم ينزلها الله إلا بلسان الذى أنزلت عليه ولسان قومه الذين يخاطبهم أولا، ولا يخفى أن صحة تلك الدعوى: دعوى أن النبى لا يبعث إلا إلى قومه الذين يعرفون لغته؛ تبطل إيمان كل يهودى ومسيحى إلا أن يكون عبرانيًا يعرف العبرية، بل تبطل إيمان كل مسيحى على وجه الأرض بعد ضياع إنجيل عيسى عليه السلام الذى أنزل عليه بالعبرية.

وبالإضافة إلى ما سبق فإن كون القرآن إنما جاء باللغة العربية على وجه الخصوص فيعلله تعليلا إجماليًا قوله تعالى:

﴿إنا جعلناه قرآنا عربيًّا لعلكم تعقلون﴾ (الزخرف ٣)، وقوله: **﴿بلسان عربى مبين﴾** (الشعراء ١٩٥) فالخطاب هنا أراه ليس للعرب فقط؛ بل للعالم كله، وكأن معنى الآيات: إنا أنزلناه قرآنا عربيًا لأن العربية كما يبرهن - علم اللغة المقارن - لغة تصلح لأن تخاطب العالم أجمع؛ لأنها لغة مبينة عن أدق المعانى بأبسط الألفاظ وأجملها، ومن ثم كان حرى بنا أن نعقل ما يتنزل علينا بها من قرآن، ومن لا يعرفها يمكنه أن يتعلمها، ومن لم يستطع أو لم يرد فيمكنه أن يعتمد على من يعرفها، فالمهم أن المعنى الموحى بها يصل إلى الأرض بدقة دون لبس، وبجمال دون عيب.

وكما قلنا من قبل إن كثيرًا من المفكرين ورجال الدين المسيحى واليهودى أعلنوا إيمانهم بنبوة محمد ﷺ؛ لما يجدونه عندهم فى كتبهم من البشارة به ﷺ؛ ولما رأوا عليه من أعلام النبوة؛ إلا أنهم لم يعلنوا إسلامهم، وظلوا على دياناتهم يهودًا ونصارى.

فقد تمسك هؤلاء ببعض الآيات القرآنية وفهموها فهمًا ظاهريًّا باطلا.

ومن ذلك قوله تعالى: **﴿وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا وإليه المصير﴾** (الشورى ١٥)، ففهموا من الآية أنهم مخيرون فى اتباع أى من ديانات السماء؛ وفهمهم باطل؛ فهذه براءة من النبى - ﷺ - ممن يخاطب من المشركين وأهل الكتاب؛ كقوله تعالى: **﴿وإن كذبوك فقل لى عملى ولكم عملكم أنتم بريئون ممّا أعمل وأنا برىء ممّا تعملون﴾** (يونس ٤١)، ومثل قوله تعالى: **﴿قل يا أيها الكافرون ● لا أعبد ما تعبدون. ولا أنتم عابدون ما أعبد ● ولا أنا عابد ما عبدتم ● ولا أنتم عابدون ما أعبد ● لكم دينكم ولى دين﴾** (الكافرون ١-٦)، فقوله: **﴿لكم دينكم ولى دين﴾** لا يدل على رضاء بدينهم، بل ولا على إقرارهم عليه؛ بل يدل على براءته من دينهم؛ ولهذا قال النبى - ﷺ - عن هذه السورة: **«إنها براءة من الشرك»** رواه الدارمى والترمذى وأحمد.

ومن ذلك أيضًا قوله تعالى: **﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم والآخر وعمل صالحًا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾** (المائدة ٦٩) حيث فهموا من الآية أن الإسلام لا يفرق بين الذين آمنوا والذين هادوا وبالصابئون - وهم أتباع نبى الله يحيى عليه السلام - والنصارى، وأنه يقرر أن لكل إنسان الخيرة فى اتباع ما يشاؤه من ديانات السماء؛ وفهمهم باطل؛ فالمراد بالذين هادوا وبالنصارى والصابئين هنا هو من كان منهم على دينه قبل تبديله أو نسخه بغيره؛ فأهل الكتاب بعد النسخ والتبديل لا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق؛ ومن ثم قال الله تعالى فيهم: **﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون﴾** (التوبة ٢٩).

وهو ما يؤكده قوله تعالى: **﴿فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما هم فى شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم﴾** (البقرة ١٣٧).

من وحي المناسبة

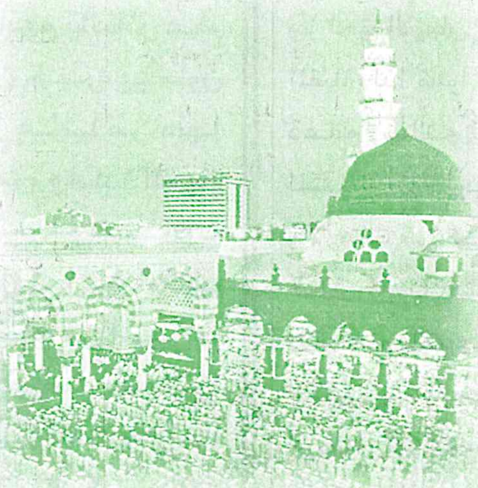

فى رحاب الهجرة النبوية المشرفة

﴿إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين إذ هما فى الغار﴾ سورة التوبة الآية ٤٠.

- الهجرة وحاجتنا إلى استلهام دروسها.
- الهجرة وصناعة الأمل.
- المرأة ودورها فى الهجرة.
- الهجرة وأصناف الناس فيها.
- الهجرة النبوية .. أهدافها ونتائجها.

الهجرة وحاجتنا إلى استلهام دروسها

فضيلة الشيخ/ محمد عبدالمجيد زيدان

مع مطالع هلال شهر المحرم يستقبل المسلمون فى كل أوطانهم بشائر عام هجرى جديد يرجون خيره ويأملون نفعه بعد أن ودعوا عاما من دنيا حياتهم ذاقوا حلوه ومره وهكذا الحياة تمضى بأيامها ولياليها وحركاتها وسكناتها. وذو العقل الراشد واللب البصير هو الذى يستفيد من التجارب ويتعلم من الحوادث فيصل حاضره بماضيه فى عمل الخير لنفسه وأهله ووطنه ودنياه وآخرته، قال تعالى: ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين﴾ (سورة العنكبوت الآية٦٩).

وإذا ما استقبلنا عامنا الهجرى الجديد ذكرنا من تاريخ الإسلام المجد فى علاه والتضحية المثلى فى سبيل المبادئ العليا، وذكرنا من تاريخ صاحب الهجرة النبوية الصبر والمصابرة والجد والمثابرة لبلوغ الهدف الأسمى والآمال العظام حتى علت كلمة الحق والدين. لقد كان فى استطاعته ﷺ أن يعيش هانئ البال هادئ الخاطر يتمتع بحياة عريضة.. ولكن كيف يرضى بهذه المتع الفانية وهو صاحب الرسالة العظمى المستهدفة خير البشرية؟ ومن ثم فعليه أن يمضى فى سبيل البلاغ وأن يجتاز ما يلقى أمامه من صعاب، وعلى المؤمنين برسالته أن يثبتوا، وليس ثباتهم لمصلحتهم الخاصة فقط، ولا لحق الإيمان عليهم وكفى، بل لمصلحة الأجيال المقبلة، لذا كانوا بصلابة يقينهم وروعة استمساكهم دعائم رسالته ﷺ وأصول امتدادها من بعده فى المشارق والمغارب. لقد أخفقت سياسة الإغراء والإرهاب فى تعويق الدعوة الإسلامية وأدركت قريش أن ما يصبون إليه بعيد المنال فاشتدت فى صب جام غضبها على المؤمنين وبذلت ما فى وسعها للتنكيل بهم ومحاولة فتنتهم عن دينهم واشتد حزن الرسول ﷺ للمآسى التى تقع لأصحابه وهو عاجز عن كفها فأوعز إلى من قل نصيره ونبا به المقام فى مكة أن يهجرها إلى الحبشة فهجروها متسللين فى الخفا حتى لا تستيقظ قريش للأمر فتحبطه، ثم كان الحصار والمقاطعة العامة للرسول ﷺ ومن معه فى شعب بنى هاشم وانحاز إليهم بنو المطلب مؤمنهم وكافرهم على السواء ماعدا أبا لهب فقد آزر قريشا فى خصومتها لقومه. ولم تفتر حدة قريش فى الحملة على الإسلام ورجاله فى تأليب العرب عليهم من كل فوج حتى أصبح الدخول فى الإسلام والبقاء عليه موضع تهمة. فجهاد الدعوة الذى حمله الرسول ﷺ على كاهله عرّضه لعواصف عاتية من البغضاء والافتراء وأتعب أصحابه فما ذاقوا منذ أن آمنوا راحة الركون إلى الأهل والمال، وكان آخر العهد بمشاق الدعوة قبل الهجرة طرد «ثقيف» للرسول ﷺ ثم دخوله مكة فى جوار مشرك هو المطعم بن عدى ثم كانت حادثة الإسراء والمعراج

التى عرف الرسول ﷺ من خلالها أن رسالته ستنساح فى الأرض وتتوطن الأودية الخصبة فى النيل والفرات وتنزع هذه البقاع من مجوسية الفرس وتثليث الروم وسيكون أهل هذه الأودية حملة الإسلام جيلا فى أعقاب جيل.

إن مشركى مكة قد حرموا من الخير منذ أن جحدوا الرسالة الإسلامية وقعدوا بكل صراط يوعدون ويصدون عن سبيل الله من آمن به ويبغونها عوجا، ونجحت دعاياتهم الكاذبة فى منع قبائل كثيرة من دخول الإسلام، وكان لابد للفجر أن يطلع فقد قيض الله للإسلام من استنقذه من البيئة التى صادرته؛ فأنس بعد وحشة واستوطن بعد غربة وأخذ يشق طريقه للحياة، وبدأ هذا التحول على أيدى الوفود القادمة من «يثرب» إلى مكة فى موسم الحج وقد تنادى المسلمون هلموا إلى يثرب فكانت طلائع الهجرة لإقامة مجتمع جديد فى بلد آمن وأصبح فرضا على كل مسلم قادر أن يسهم فى بناء هذا الوطن الجديد وأن يبذل جهده لتحصينه ورفعة شأنه، وأخذ المهاجرون يتركون مكة زرافًا ووحدانًا حتى كادت مكة تخلو من المسلمين، وخافت قريش من عواقب هذه المرحلة الخطيرة فى دعوة محمد ﷺ وهاجت فى دمائها غرائز السبع المفترس حين يخاف على حياته وكان الرسول ﷺ لا يزال فى مكة وهو لابد مدرك أصحابه الذين هاجروا اليوم أو غدا فلنعجل به قبل أن يلحق بهم، واجتمع طواغيت مكة فى دار الندوة ليتخذوا قرارا حاسما فى أمر الرسول ﷺ واستقر الرأى على الاقتراح الذى أبداه «أبوجهل» فقد قال: أرى أن تأخذوا من كل بطن من قريش شابًا نسيبًا وسطا فتيا ثم نعطى كل فتى سيفا صارما ثم يضربونه جميعا ضربة رجل واحد فإذا قتلوه تفرق دمه فى القبائل كلها، ولا أظن بنى هاشم يقوون على حرب قريش كافة؛ فإذا لم يبق

حين أذن الله لفجر الإسلام أن يطلع قيد له من استنقذه من البيئة التى صادرته فأنس بعد وحشة واستوطن بعد غربة

أمامهم إلا الدية أدناها، ورضى المؤتمرون بهذا الحل للمشكلة التى حيرتهم. وقد أشار القرآن إلى تدبير هذه الجريمة فقال: ﴿**وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين**﴾ (سورة الأنفال الآية ٣٠)، عند ذلك قام الرسول ﷺ برسم الخطة التى يذهب بها إلى يثرب وحين عزم على ترك مكة إلى المدينة ألقى الوحى فى قلبه وعلى لسانه هذا الدعاء الجميل: ﴿**وقل رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا**﴾ (سورة الإسراء الآية ٨٠) لقد كتم رسول الله أسرار مسيره فلم يطلع عليها إلا من له صلة ماسة ولم يتوسع فى اطلاعهم إلا بقدر العمل المنوط بكل واحد منهم، واتفق مع صاحبه أبى بكر على تفاصيل الخروج وتخير الغار الذى يأويان إليه جنوبا فى اتجاه اليمن لتضليل المطاردين وحدد الأشخاص الذين يتصلون بهما أثناء وجودهما فى الغار ومهمة كل شخص، وأوعز إلى على بن أبى طالب فى هذه الليلة الرهيبة بأن يرتدى برده الذى ينام فيه وأن يتسجى به على سريره، وفى هجعة من الليل وغفلة من الشباب الذين التفوا حول بيته انسل الرسول ﷺ من بيته إلى دار أبى بكر ثم خرج الرجلان من خوخة فى ظهرها إلى غار ثور للاستخفاء فيه عن أعين المشركين وهنا تنطق الشجاعة ويتجلى الإقدام؛ غار معروف لقريش ليس له باب ولا عليه حرس ولا جند يأوى إليه الرسول

ﷺ وهو يعلم أن العرب يقصون الأثر وسيبلغون الغار حتما، فهل هناك وسيلة بشرية يمكن بها دفع الشر ورد المعتدين المشركين؟ وهل هناك حيلة تنفع أو عمل ينجى؟ لم يبق إلا نصر إلهى وفتح سماوى ومعجزة ربانية مادامت لا تغنى وسيلة بشرية **﴿إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم﴾** (سورة التوبة الآية ٤٠)، وقد كان من جنود الله على باب الغار عنكبوت نسج خيوطه وحمامة باضت وشجرة مال غصنها بمدخل الغار. روى الإمام أحمد أن المشركين اقتفوا الأثر حتى إذا بلغوا جبل ثور اختلط عليهم فصعدوا الجبل فمروا بالغار فرأوا على بابه نسج العنكبوت فقالوا: لو دخل هاهنا أحد لم يكن نسج العنكبوت على بابه... نعم إن الجنود التى يخذل الله بها الباطل وينصر بها الحق ليست مقصورة على نوع معين من السلاح ولا صورة خاصة من الخوارق، إنها أعم من أن تكون مادية أو معنوية وإذا كانت مادية فإن خطرها لا يتمثل فى ضخامتها، فقد تفتك جرثومة لا ترى بالعين المجردة بجيش كبير **﴿وما يعلم جنود ربك إلا هو﴾** (سورة المدثر الآية ٣١)، ومن صنع الله أن الخط الربانى بغار ثور لم يتحطم، بل تحطمت عليه آمال المشركين فى اقتناص رسول الله ﷺ، فقد عميت عنه ﷺ عيون عداته ولم يكن ذلك محاباة من القدر لقوم فرطوا فى استكمال أسباب النجاة، بل هو مكافأة لقوم لم يدعوا وسيلة من وسائل الحذر والحيطة إلا اتخذوها وثبت جند الله وانهزم جند الشيطان ونجا نبى الإسلام **﴿حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجى من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين﴾** (سورة يوسف الآية ١١٠)

لقد كانت الهجرة انتصارا رائعا على الباطل قدم المخرج والعلاج من الفتن والاعتداء فأحس المؤمنون بالأمن والاطمئنان بعد القلق، لقد اجتازوا المحن وتغلبوا على كل ماحشده الباطل، إن هذا الانتصار الكبير قد أثبت أن بقاء الدعوة فى أرض قاحلة لا يخدمها، بل يعوق مسارها ويشل حركتها وقد يعرضها للانكماش داخل أضيق الدوائر، كما أثبت أن الهجرة لم تكن فرارا، بل كانت حفاظا على أنوار الدعوة وانطلاقا إلى بيئة خصبة تتقبلها وتستجيب لها وتذود عنها وتمنحها أنصارا يحبون من هاجر اليهم ويقدمون لهم المنزل والأهل والدعم والعون إلى جانب مجتمع جديد فى بلد آمن فكانت الهجرة بحق منطلقا لبناء الدولة الإسلامية التى تجعل من شريعة وأخلاق وعالمية الإسلام منهجًا للحياة، يقول ابن هشام:

أمر رسول الله ﷺ أصحابه بالخروج إلى المدينة والهجرة إليها واللحاق بإخوانهم من الأنصار وقال: «**إن الله عز وجل قد جعل لكم إخوانا ودارا تأمنون بها**» فخرجوا أرسالا وأقام الرسول بمكة حتى أذن له ربه بالهجرة المباركة. لقد كان للهجرة الأثر المحمود فى تطوير الدعوة الإسلامية وانتقالها من مرحلة الموادعة واحتمال الأذى إلى طور المجاهدة والمجالدة. كانت حدا فاصلا بين عهدين يغلب على أولهما طابع المصابرة وتحمل الأذى من قريش لتكون هجرة الرسول ﷺ بعد ذلك نبذًا منه لأهل الشرك وسخطا عليهم، ولتكون فى حكمة الله البالغة تنزيها للدين القويم عن البقاء بين أظهر هؤلاء المشركين المعاندين بعد أن مكث بينهم ثلاثة عشر عاما وهو يرى دعوته تتحرك فى بطء غريب، ويرى من آمن به يلقى كل إيذاء وتعذيب وقد مكث بينهم فى هذا الجو الخانق طوال هذه المدة ليسجل عليهم

جحودهم وعنادهم وصلفهم البالغ وليستنفد كل ما لديهم لمعارضته، وليسجل للمصلحين من بعده والقادة من أمته الإيمان الكامل بالحق والتفانى فى سبيل الواجب والصبر على المكاره ودفع ضريبة الإصلاح من الجسم والمال والراحة ومن العمر نفسه، فما كان الكلام وحده بموصل لحق حتى يتبعه العمل، وما كان القول وحده بمقنع أهل الطغيان حتى يلمسوا أن قائله لا يعبأ فى سبيله بعذاب ولا يحسب لما يصيبه أى حساب. لقد كان رسول الله ﷺ متعلقا بمكة ولكن أهلها حاربوا الإسلام فى مهده وناصبوه العداء والخصام فكان لابد لهذه الرسالة المباركة من أن تتهيأ لها بقعة أخرى أصلح لانتشار الدعوة لذلك قال الرسول ﷺ عند خروجه من مكة مهاجرا وهو يودع مكة وطنه بعبارات تغمرها العبرات «**والله إنك لأحب أرض الله إلىَّ وإنك أحب أرض الله لله، ولولا أن أهلك أخرجونى ما خرجت منك أبدا. اللهم أعنى على هول الدنيا وبوائق الدهر ومصائب الليالى والأيام.. اللهم اصحبنى فى سفرى واخلفنى فى أهلى وبارك لى فيما رزقتنى**» أو كما قال ﷺ.

إن أمما كثيرة فى هذا الزمان تحتفل بمناسبات عظيمة مرت بها، ومن يدرس هذه المناسبات لا يرى فيها مناسبة يتساوى فيها الحادث مع حادث الهجرة النبوية وما قاساه صاحب الهجرة وصحبه قبل الهجرة وعلى طريقها، ثم ما أقاموه بعدها من دولة ثابتة الأركان عالية البنيان هزت من الأعماق فى زمن قياسى دولتى الفرس والروم وهما حينذاك القوتان العظيمتان فى الدنيا. وبالمقاييس السياسية فى هذا الزمان المعاصر نرى الهجرة ليست عمل زعيم بعيدا عن حركة الشعب؛ فقد سبق الشعب الى الهجرة وتابعه الباقون فإذا تجاوزنا المقاييس السياسية إلى عالم النبوات وجدنا ما يبهر العقول والقلوب والأنظار فليس فى تاريخ النبوات حادث

لم تكن الهجرة فرارًا، بل كانت حفاظًا على أنوار الدعوة والخروج بها من أرض قاحلة إلى أرض خصبة تتقبلها وتستجيب لها

مثل هذا الحادث؛ فالإصرار الذى رأيناه من المهاجرين والأنصار لم نسمع عنه فى عالم النبوات وكم فى الهجرة من دروس: فيها الصبر على الأذى طوال ثلاثة عشر عاما فى العبادات والمعاملات والعلاقات إلخ، وفيها التخطيط المحكم، وفيها التضحية بالمال والولد والأهل.. فى سبيل العقيدة. هذه بعض الجوانب المادية فى الهجرة كعمل، أما جانبها المعنوى فهو ما يسميه بعض الدارسين بالمخاطرة، والمخاطرة تعنى النصر وتعنى الهزيمة ولكن النصر فى مخاطرة المهاجرين كان يقينا بعون الله لهم؛ لأن الهزيمة لا تكون عندهم إلا بانتهاء حياتهم جميعا وعندئذ سيظفرون بالجنة لأنهم شهداء وأنعم بالجنة نصرًا. نعم إن الهجرة ليست حادثا مجردا، وإنما هى بداية عمل كبير وهام، فقد غيرت مجرى التاريخ وقامت بعدها فى فترة وجيزة دولة الحق والعدل والمساواة وكان لتآخى المهاجرين والأنصار أثر بالغ فى رفع راية العروبة وإعلاء كلمة الإسلام وتوثيق روابط المسلمين، فقد أزال مشاعر الغربة وأقام قاعدة صلبة ورابطة شامخة للتعاون والتكافل والرحمة والبر والعدل والإيثار، وكان بناء المسجد ليكون مدرسة للعلم والتقوى وجامعة للآداب ومكارم الأخلاق. إن مكاسب الهجرة كانت كثيرة فقد دخل الناس فى دين الله أفواجا ودانت لهم الأرض وانسابت إليهم الغنائم.

وأخيرا أقول: لو كان هذا الحادث الفريد من نوعه على مر التاريخ فى حياة أمة من الأمم التى تحتفل بمناسباتها العظيمة فى الزمان الحالى، ماذا كانت تفعل وهى تحتفل به؟ سؤال يستطيع المسلمون بتاريخهم أن يجيبوا عنه فهل يفعلون ؟!

الهجرة وصناعة الأمل

د/ سالم عبد الجليل

١ - حاجتنا إلى صناعة الأمل فى ظل واقعنا المرير:

ما أحوجنا ونحن نعيش فى زمن الهزائم والانكسارات والجراحات إلى تعلم فن صناعة الأمل، ونحن نقف على أبواب عام هجرى جديد ونحن نعيش ذكرى حادث الهجرة ونتذاكر دروسها، فمن كان يظن أن تكون الهجرة - وهى فى ظاهرها انتصار للباطل وأهله - انتصارًا عظيمًا بتعبير القرآن الكريم، قال تعالى : ﴿**إِلا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ الله إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ الله مَعَنَا فَأَنزَلَ الله سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَالله عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾ (سورة التوبة : الآية :٤٠)، من كان يحسب أنها ستحدث هذا التغيير الذى يعد أكبر تغيير فى التاريخ البشرى كله، حيث أسست أعظم دولة وأنشأت أعظم أمة على الإطلاق، وكانت حدا فاصلاً بين عهدين، عهد الاستضعاف والتنكيل، كان من نتيجتهما التخفى والخوف من الإعلان والمجاهرة بالدين الجديد وعهد النصر والتمكين وكان من نتيجتهما إقامة دين الله عز وجل وتطبيق شرعه فى كل مناحى الحياة .

٢- النفر الستة :

فى ليلة من ليالى موسم الحج أخذ رسول الله ﷺ وصاحبه أبو بكر يطوفان ويعرضان على الحجيج بمنى الدعوة الجديدة، لقد طاف رسول الله ﷺ بمجتمعات القبائل وقصد الرؤساء وتوجه بالدعوة إلى الوجهاء وهو يرجو أن يجد عند أصحاب الجاه والمنعة نصرة وتأييدًا، كان يقول : «من يؤوينى ؟ من ينصرنى ؟ حتى أبلغ رسالة ربى» السيرة النبوية لابن كثير ج ٢ /١٩٤ ومع كل هذا لم يجد من يؤويه ولا من ينصره، بل لقد كان الرجل من أهل اليمن أو من مضر يخرج إلى مكة فيأتيه قومه فيقولون له : «احذر غلام قريشٍ لا يفتنك!» السيرة النبوية لابن كثير ج

٢ / ١٩٤، ولم تأت النصرة والحماية والتمكين من تلك القبائل العظيمة ذات المال والسلاح، وإنما جاءت من ستة نفر جاءوا على ضعف وقلة، من يثرب كلهم من الخزرج دعاهم رسول الله ﷺ إلى الإسلام ولم يكن يتوقع منهم نصرة، وإنما أراد دعوتهم فآمنوا وأسلموا، ثم تتابعت الأحداث على نسق عجيب، قال جابر بن عبد الله - وكان أحد النفر الستة - قال: بعثنا الله إليه من يثرب فآويناه وصدقناه، فيخرج الرجل منا، فيؤمن به ويقرئه القرآن فينقلب إلى أهله فيسلمون بإسلامه، حتى لم تبق من دور الأنصار إلا وفيها رهط من المسلمين يظهرون الإسلام، ثم ائتمروا جميعًا فقلنا: حتى متى نترك رسول الله ﷺ يطوف ويطرد فى جبال مكة ويخاف؟ فرحل إليه منا سبعون رجلاً حتى قدموا عليه الموسم، فواعدناه العقبة، فاجتمعنا عندها من رجل ورجلين حتى توافينا، فقلنا: يا رسول الله علام نبايعك؟ قال: «على السمع والطاعة فى النشاط والكسل، والنفقة فى العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وأن تقولوا فى الله لا تخافون لومة لائم، وعلى أن تنصرونى فتمنعونى إذا قدمت عليكم مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم وأزواجكم، ولكم الجنة»، قال جابر: فقمنا إليه فبايعناه. (مسند أحمد).

فهل يدرك هذا المعنى الغارقون فى تشاؤمهم اليائسون من فرج قريب لهذه الأمة المنكوبة المغلوبة على أمرها؟!. إن الله ليضع نصره حيث شاء وبيد من شاء، وعلينا أن نعمل وعلى الله تعالى التيسير.

أحدثت الهجرة أعظم تغيير فى تاريخ البشرية فأنشأت أكبر دولة وأنشأت أعظم أمة عرفتها الإنسانية

٣ - عام هجرى جديد يفجر الأمل فى النفوس:

ونحن على مشارف عامٍ هجرى جديد يقبل محملاً بما فيه، وعلى أعقاب عام هجرى مضى مودع بما استودعناه، نقف متذكرين هجرة المصطفى ﷺ نستلهم منها الدروس والعبر التى من أعظمها وأجلها صناعة الأمل، نعم إن الهجرة تعلم المؤمنين فن صناعة الأمل. الأمل فى موعود الله، ونصره، الأمل فى مستقبل مشرق. فعلى الرغم من أن قريشًا كانت قد عزمت على قتله وفى عتمة من الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه متى ينام فيثبون عليه.وهم لا يشكون فى قتل رسول الله ﷺ، مع ذلك نجا منهم رسول الله ﷺ وخرج هادئا وهو يتلو قوله تعالى: **﴿وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾** سورة يس، الآية ٩. يذر التراب على الرؤوس التى أرادت قتله، وكأن هذا التراب رمز الفشل والخيبة اللذين لزما المشركين. فانظر كيف انبلج فجر الأمل من قلب ظلمة سوداء. ومضى رسول الله ﷺ فى طريقه يحث الخطى حتى انتهى وصاحبه إلى جبل ثور، ومرة أخرى يصنع الأمل فى قلب المحنة، وتتغشى القلوب سكينة من الله وهى فى أتون القلق والتوجس والخوف. يصل

المطاردون إلى باب الغار، ويسمع الرجلان وقع أقدامهم، ويهمس أبو بكر: يا رسول الله، لو أن بعضهم نظر تحت قدميه لرآنا! فيقول ﷺ: «يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟!» مختصر سيرة الرسول، ج ١/١٨٤.

وإذا العنايةُ لاحظتك عيونُها

نم فالمخاوف كلهن أمانُ

ويسير الصاحبان فى طريق طويل موحش ويلحق بهما سراقة بن مالك طامعًا فى جائزة قريش مؤملاً أن ينال منهما ما عجزت عنه قريش كلها، فطفق يشتد حتى دنا منهما وأيقن أنه قابض عليهما ليقودهما أسيرين إلى قريش، ولا يلتفت رسول الله ﷺ إلى سراقة ولا يبالى به وكأن شيئًا لم يكن، يحدوه الأمل فى الله فساخت قدما فرس سراقة، فأدرك سراقة أنهم ممنوعون منه. وعاد سراقة يقول لكل من قابله فى طريقه ذاك: ارجع فقد كفيتكم ما ها هنا، فكان أول النهارِ جاهدًا عليهما وآخره حارسًا لهما. (مختصر سيرة الرسول ١ / ١٨٧).

ويبلغ أهل المدينة خبر هجرة الرسول ﷺ، الرجل الذى قدم لهم الحياة وصنع لهم الأمل، الرجل الذى أنقذهم فى الدنيا من لهيب الحروب القبلية والنزاعات الطائفية فضلاً عن إنقاذه لهم من أن يكونوا حطبًا لجهنم فى الآخرة. فيخرجون لاستقباله مستبشرين مؤملين فى حياة أسعد. قال أنس: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة لعبت الحبشة لقدومه فرحًا بذلك، لعبوا بحرابهم. (رواه أبو داود).

صناعة الأمل فى مستقبل مشرق من أروع الدروس والعبر التى نستلهمها من هجرة المصطفى ﷺ

وهكذا يصبح المطارد فى مكة مستقبلاً بحفاوة فى المدينة، ولم تمض إلا سنوات ثمان ويعود النبى ﷺ إلى مكة فاتحًا.

وتبقى الهجرة إلى الأبد صانعة الأمل، يتعلم منها أبناء الأمة كيف يترقبون ولادةَ النورِ من رحم الظلمة، وخروج الخير من قلب الشر، وانبثاق الفرج من كبد الأزمات. فما بعد اشتدادِ ألمِ المخاضِ إلا الولادة، وليس بعد ظلمة الليل إلا انبثاق الفجر، **﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾** (سورة الشرح الآيتان ٥، ٦)، ولن يغلب عسرٌ يسرين ... وصدق الله القائل: **﴿وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾** (سورة البقرة: الآية ٢١٦)؟!.

وأخيرًا: إن اليأس والقنوط ليسا من خلق المسلم، قال سبحانه: **﴿وَلاَ تَايْئَسُواْ مِن رَّوْحِ اللهِ إِنَّهُ لاَ يَايْئَسُ مِن رَّوْحِ اللهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾** (سورة يوسف: الآية ٨٧).

قال على رضي الله عنه : (أكبر الكبائر الإشراك بالله والأمن من مكر الله والقنوط من رحمة الله واليأس من روح الله) «الزواجر عن اقتراف الكبائر» ج ١ / ص ٢٢٩.

المرأة ودورها فى الهجرة

فضيلة الشيخ / منصور الرفاعى عبيد

وثب الإسلام بالمرأة إلى أبعد غاية من كمال النفس وسموّ الحياة لأنها مع الرجل تشكل الساعد الأشد - والعضد الأقوى فى نشر الإسلام بالكلمة الهادية والموعظة الحسنة. فعندما وضح نور الإسلام ظهرت المرأة فى مشرق نوره حيث وضع لها من حق موفور وفضل مأثور وصان مكانتها لانها هى التى تربى الأبطال وتعلم النشء، ومع ذلك فهى تدربهم على حب التضحية ووحى القول وروح الحمية وجمال الخيال لذلك احتملت من العبء أثقله.. ولهذا كانت المرأة أحوج ماتكون إلى دين سمح يعمد إلى تلك الفضائل المستقرة فى نفسها فيجلو صدأها وينهج بها إلى طريق الخير ويجنبها مزالق الزلل وعثرات الطريق.

لقد هيأ الإسلام للمرأة تلك الوسائل ورفعها إلى أبعد مما يطمح إليه خيالها ويصبو أملها وساق لها من آى الذكر مابهر بصرها وملك عليها نفسها وأنصتت لما وصف به الله رحمته وعزته وناره وجنته. وما أعد للصابرات والمحسنات من جزيل الأجر، فأثار بذلك عاطفتها وأنار بصيرتها، لذلك. فإن أول قلب خفق بالإسلام وتألق بنوره قلب امرأة هيأ الله لها من جلال الحكمة وبعد الرأى إلى زكاء الحسب وذكاء القلب ما عز على الأكثرين من الرجال. إن المرأة لم تأخذ الدين مشايعة ولم تقبله مجاملة، بل اعتنقته عن ظمأ إليه وتأثر به. إنها السيدة الكريمة خديجة بنت خويلد زوج النبى العظيم وأم المؤمنين أول من تأثر بهذا الدين عندما سمعت به من فم النبى يرتل آيات الإسلام الأولى على مسامعها فتنفذ إلى قلبها. وكان ذلك مبعث غبطة النبى ﷺ ثم أعقبها جمهور النساء فتأثرن بهذا الدين تأثرًا هان وراءه كل شىء. ثم كانت لقريش صولة وجولة فى أذى من آمن من أولئك النسوة حتى إن المشركين تجاوز بهم حد التعذيب والإيلام إلى الافتنان فى التمثيل والابتكار فى التنكيل. ولقد نالت من شدة العذاب وآلامه «سميّة أم عمار بن ياسر» وكانت قبيلة «بنو مخزوم» هى التى تتولى تعذيبها فكان بعض أفراد هذه القبيلة إذا اشتدت الظهيرة والتهبت الرمضاء خرجوا بها هى وابنها وزوجها إلى الصحراء وألبسوهم دروع الحديد وأهالوا عليهم الرمال المتقدة وأخذوا

يرضخونهم بالحجارة. ولقد اعتصمت المرأة بالصبر ورضيت بالعذاب وأبت أن تعطى القوم ماطلبوه من العودة إلى الكفر. وغير «سمية» كثيرات احتملن فوق ماأحتملت. لقد كانت المرأة المسلمة يضعون بين أعطافها الحديد المحمى، ويحيلون الأطفال يعبثون فى أنفها وعينيها وأذنيها وكانوا يلقونهن فى حرّ يذيب اللحم ويصهر العظم حتى يقتلهن الظمأ.. إلى هذا الحد احتمل أولئك النسوة ماوقع عليهن بسبب اعتناقهن للإسلام وكن صابرات راضيات مطمئنات ولقد استعذبن العذاب واستهن به إعلاء لكلمة الله وإعزازا لدينه فكن يتنقلن فى البيوت لدعوة من بها من النساء إلى الإسلام. وفى حديث أم شريك مايضرب لك المثل الأتم. وأم شريك بنت جابر بن حكيم القرشية العامرية ينتهى نسبها إلى عامر بن لؤى.. وهى التى وهبت نفسها للنبى ﷺ. وذلك بعد الهجرة وفى ذلك يقول الحق سبحانه **﴿يا أيها النبى إنا أحللنا لك أزواجك اللاتى آتيت أجورهن وماملكت يمينك مما أفاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتى هاجرن معك وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبى﴾** (سورة الأحزاب: الآية ٥٠) ولذلك سماها الله بالمؤمنة؛ ولكن ماهو حديث أم شريك. لقد دخلت فى الإسلام وهى بمكة .. ثم كانت تدخل على نساء قريش سرا فتدعوهن للإسلام وترغبهن فيه حتى ظهر أمرها لأهل مكة فأخذوها وقالوا لها لولا أن لقومك منزلة لفعلنا بك كما نفعل بهؤلاء ولكنا سنردك إليهم فحملوها على بعير ليس عليه شىء وتركوها بلا

كانت السيدة خديجة رضى الله عنها أول قلب خفق بالإسلام وتألق بنوره فاعتنقته عن ظمأ إليه وتأثر به

طعام ولاشراب ومضت عليها ثلاثة أيام وكان حراسها إذا نزلوا ليستريحوا تركوها فى الشمس مع توثيقها بالحبال حتى لاتهرب وقد ربطوا يديها كذلك وقد اشتد بها الظمأ وضعفت لعدم أكلها وشربها. تقول هى فبينما أنا فى الشمس إذ بأثر شىء بارد وقع علىَّ فتناولته فإذا هو دلو فيه ماء بارد فشربت قليلا. ثم نزع منى ثم عاد فشربت منه قليلا ثم نزع ثم عاد فشربت حتى رويت ثم أفضت الماء على جسدى وثيابى. فلما استيقظ الحراس إذا هم بأثر الماء علىّ ورأونى حسنة الهيئة فقالوا لى انحللت فأخذت سقاءنا فشربت منه؟ فقلت لا والله مافعلت ذلك. وذكرت لهم ماحدث فقالوا لئن صدقت فدينك خير من ديننا فنظروا إلى الأسقية فوجدوها كما تركوها. فأسلموا.. تراجع هذه القصة فى الإصابة جـ ٨ صـ ٢٤٨.

إن الإنسان ليعجب من المشركين والمعاندين الذين يصبون العذاب والأذى على الذين آمنوا بالله وأنبيائه. لكن الحقيقة أن هذه سنة الله فى خلقه ليظهر الصادق من الكاذب. فلو ترك الناس للتلفظ بألسنتهم أنهم أسلموا لله وصدقوا برسله فقط لاستوى الصادق والكاذب فكان الإبتلاء ليمحص الله الذين آمنوا بصدق ويقين

ويمحق الكافرين المنافقين الذين لم يصبروا ولم يصمدوا. وإلى هذا أشار الحق سبحانه **﴿الم • أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لايفتنون • ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين﴾** (سورة العنكبوت الآيات ١-٣) وإذا كانت هذه هى سنة الله فى عباده فلن تجد لسنة تبديلا حتى مع أنبيائه وأوليائه. لهذا أوذى رسل الله رغم عظيم فضلهم وعلو منزلتهم وجليل قدرهم عند الله.

وسيدنا محمد ﷺ لم يسلم من أذى المشركين رغم أنه نادى بالسلام ورفع شعاره وأعلن على الدنيا بأسرها بأنه يحمل دعوة الله التى تبشر بالمحبة والتسامح والإخاء وأنه لا إكراه لأحد على الدخول فى الدين وقال لهم بصريح العبارة **﴿لكم دينكم ولى دين﴾** (سورة الكافرون: الآية٦). ومع ذلك تعرض لأشد أنواع الابتلاء حتى قال الله له **﴿فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل﴾** (سورة الأحقاف: الآية ٣٥) والرسول عليه الصلاة والسلام حوصر حصارا اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا وهذه المقاطعة الظالمة أملاها الحقد ولهذا فهى تصور قمة الشدة التى لقيها رسول الله ﷺ وأصحابه طيلة ثلاثة أعوام ورسول الله ﷺ ماترك من باب يوصل إلى سياسة المفاوضات وعرض مبادئ دعوته برفق وتسامح إلا سلكه. لكن المشركين صموا آذانهم وظنوا أن سيدنا محمداً ﷺ يريد بدعوته الوصول إلى مستوى رفيع من الزعامة أو الغنى لذلك عرض المشركون على سيدنا محمد ﷺ الملك والثراء والزعامة على أن يتخلى عن دعوته فلم يقبل هذا العرض وإنما قال **«والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه»** ولهذا قال الله فيما أنزله عليه: **﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله قل ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى إن أتبع إلا ما يوحى إلى إنى أخاف إن عصيت ربى عذاب يوم عظيم • قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون﴾** (سورة يونس الآيتان: ١٥، ١٦) لكن المشركين زعموا أن الأمر لايعدو خيالات تتراءى له بسبب مرض يعانى منه. وهذه وسائل يتعرض لها الدعاة إلى الله، وهى كذلك وسائل يتذرع بها محترفو الغزو الفكرى أعداء الدين.. لقد كان رسول الله ﷺ يتخذ كل طريق سهل ليصل إلى عقول الناس وأفكارهم لأن الحق معه وإليه يدعو.. ومع كل ذلك تآمروا على قتله.. لقد بلغ الأذى مداه لهذا أمر الرسول ﷺ أصحابه أن يهاجروا إلى الحبشة وقد شاركت المرأة فى هذه الهجرة وكانت كل امرأة مع زوجها. وقد خرجت النساء وتحملن ذل الغربة وأوعار الطريق فى طاعة الله ورسوله وفرارا بدينهن وذهبن مع أزواجهن مشيرات مؤتمات ومعينات صادقات.

وكان من بين المهاجرات «أسماء بنت عميس» وقد رجعت بعد الهجرة إلى المدينة فلقيها عمر ابن الخطاب فقال لها.. ياحبشية سبقناكم إلى الهجرة. وقد قالها فاكها - فقالت له: إى لعمرى.. لقد صدقت. كنتم مع رسول الله ﷺ يطعم جائعكم ويعلم جاهلكم وكنا البعداء الطرداء. أما والله لآتين رسول الله فلأذكرن

ذلك له. فأتت النبى ﷺ فقالت يارسول الله إن رجالا يزعمون أنا لسنا من المهاجرين الأولين؟ فقال لها رسول الله ﷺ بل لكم هجرتان هاجرتم إلى أرض الحبشة ونحن مرّهنون بمكة ثم هاجرتم بعد ذلك إلىّ (طبقات ابن سعد ص٧) ألم تر إلى الذين رجعوا من الحبشة كيف قامت المرأة بحجتهم وعرضت القضية على رسول الله ﷺ ليوضح الأمر ولم تعرض ذلك على زوجها ولم تطلب الإذن منه ذلك لأن الأمر يتعلق بدينها وليس هناك إلا الرسول الأعظم الذى يبلغ عن الله فلا إمرة لأحد عليها مهما كانت منزلته.. إن الأحداث العظام تتابعت فى الإسلام وتناوبته شدائد ثقال وهى على عظمتها لم تقع بمنجاة عن المرأة ولا بمعزل عنها ذلك لأن المرأة اتخذها الله آية لطفه الخفى. وقد استخلص الله بعض النساء لدينه واصطنعها لتعمل على نشر الرسالة وبث فيها من روحه. ومن هؤلاء «رُقَيِّقَة بنت صيفى» امرأة قاربت المائة سنة من عمرها هذه المرأة أسلمت وحسن إسلامها. ورغم تقدم سنها وعوامل الزمن فيها إلا أنها كانت تهتم برسول الله ﷺ وتسارع إليه تتعلم منه وتبلغ إلى النساء ماتتعلمه. لكن المهم هذه المرأة استشفت خبر قريش وعرفت من بعض المصادر أن قريشا تتآمر وتدبر لقتل رسول الله ﷺ. فذهبت على الفور إلى بيت رسول الله ﷺ وكان الوقت ليلا ونقلت بدقة وأمانة إلى النبى ﷺ خبر القوم وحذرته من المبيت فى الدار وأشارت عليه بالابتعاد عن المنطقة وحدثته حديث الذين اجتمعوا فى دار الندوة والرأى الذى توصلوا إليه واتفقوا عليه وهو مانزل به القرآن يؤكده. وهنا

احتملت النساء المسلمات فى بدء الدعوة أشد ألوان العذاب بسبب اعتناقهن الإسلام، لكنهن بقين صابرات راضيات يستهن بالعذاب إعلاء لكلمة الله

بدأ رسول الله ﷺ يخطط لترك وطنه الأعز مدرج طفولته ومعقد ألفته ومهبط نبوته ومرتقى مناجاته وعبادته. ولك أن تتأمل فى عظمة هذه المرأة التى استطاعت أن تتعرف على أمر هذه المؤامرة التى بيت لها القوم وهم فئة قليلة العدد خطيرة الغرض وهم من أشداء فتيان قريش وقد احتجزوا خبرهم عن بقيتهم وتعاقدوا وتعاهدوا وتحالفوا ألا يذيعوه.. فئة كهذه ليس بالهين أن ينكشف أمرها والوقوف على ذوات نفوسها ومن الذى عرف سر هذه الفئة إنها امرأة مسلمة اقترب سنها من المائة ولم يمنعها ذلك فى أن تسرع بنقل الخبر الذى لم يعلم به إلا الله وحده لأنه المطلع على العباد وأحوالهم. إن هذه المرأة لم تأمن ولدها لنقل الخبر وهو من ذوى صحبة النبى العظيم وهذه دقة منها وفطانة. ولقد أتاك نبأ تلك الفتاة الحدثة «أسماء بنت أبى بكر» رضي الله عنها لتعلم أن العظائم تتنقل من يد طاهرة إلى يد طاهرة. فبعد أن أدت العجوز دورها يأتى دور الشابة أسماء وتلك مثل من تلك النفوس التى استخلصها الله لدينه واصطنعها لدعوته ونفث فيها من روحه. ولئن سلمت أسماء من عثرات الطريق. لقد محنت بالشديد المؤلم من بلاء

قريش وأذاهم وهى وادعة فى داخل بيتها. وحديث ذلك أن الصبية أسماء تركت الولدان والولائد يغدون إلى ملاعبهم ويأوون إلى صدور أمهاتهم وذهبت هى إلى حيث يعجز، أشداء الرجال وأبطالهم وأى قوة تلك التى أمدها الله بها، وأى قلب ذلك الذى أودعه الله بين ضلوعها. إن النبى ﷺ أعجل وصاحبه عن ابتغاء الزاد وشغلهما الفرض الأسمى عن العرض الأدنى. فسارا خفيفين إلى غار فى الذروة العلياء من جبل ثور إخفاء لأمرهما وكانت أسماء تُمسيّهُما كل ليلة بالزاد والماء وما قد تكون سمعته أو رأته من حديث القوم.. ثلاثة أميال إلا قليلا كانت تقطعها الصبية فى جوف الليل ووحشة الطريق. وبين أسنة الصخر ومساخات الرمال ماشية متخفية حذرة مترقبة حتى تصعد إلى هامة الجبل ثم تنحدر بعد أن تؤدى مهمتها بكفاءة واقتدار. وفى الليلة التى أزمع النبى ﷺ وصحبه مفارقة الغار إلى عرين الأمصار وموطن أنصاره ودار هجرته وافقتهما بزاد السفر ولما همت لتعلق سفرة الزاد لم تجد ماتعلق به هذا الزاد إلا نطاقها ولم تتردد وأمسكت به وشقته نصفين ربطت الزاد بالنصف ووكأت السقاء بالنصف الثانى ويالروعة الموقف وعظيم الأثر لهذا التصرف من هذه الصبية. ولقد ذهبت إلى بيتها وهى سعيدة جدا ولكن سرعان ماأحاط بها رجال قريش ليتعرفوا منها أمر أبيها فأنكرت معرفتها لأى شىء وتجاهلت حديث القوم فلما أمضوا فى أذاها واشتدوا فى محنتها لطمها أبو جهل بن هشام لطمة أطار قرطها ولكن ذلك لم يوهن من عزيمتها ولاجعلها تبوح بمكنون سرها وإنما تحملت بصدق ولم يرهبها هذا التصرف ولاذت بالصمت الذى هو أبلغ من ألف لسان يتكلم ليعبر، والرسول عليه الصلاة والسلام سمى أسماء بذات النطاقين لحسن تصرفها وسرعة بديهتها وعدم ترددها وثباتها ورباطة جأشها وهى تعلم أن أباها سيفارقها. ونحن نذكر حدثا آخر يتصل بالسيدة أسماء.. وبحادث الهجرة. فإنه لما خرج رسول ﷺ ومعه الصديق النبيل أبو بكر رضي الله عنه الذى احتمل ماله كله معه. تقول السيدة أسماء.. فدخل علينا جدى «أبو قحافة» وكان قد ذهب بصره وقال. والله إنى أراه قد فجعكم بماله مع نفسه. فرددت عليه قائلة. كلا ياأبت إنه قد ترك لنا خيرا كثيرا. قالت. فأخذت يده ووضعتها على حجارة كنت قد جمعتها فى كوة فى البيت وكان أبى يضع فيها ماله ثم قلت ياأبت ضع يدك على هذا المال فلما وضع يده ظنه مالا فعلا. وقال لابأس إذا كان قد ترك هذا فقد أحسن وفى هذا بلاغ لكم. ولا والله ماترك لنا أبى أى شىء ولكنى أردت أن أسكت الشيخ بذلك. إن ما أوردناه هنالم يكن حديث كل النساء ودورهن فى الهجرة. فهناك العدد الموفور منهن ولاننسى أن الهجرة سبقها بيعة العقبة وهى البيعة التى كانت مع رسول الله ﷺ خفية عن أعين قريش وكانت فى جنح الظلام وكان مع الرجال نساء منهن «نسيبة بنت كعب» ولها فى التاريخ خبر يذكر ولاينكر. كذلك «أم منيع أسماء بنت عمر السلّمية» إحدى ذوات المكانة والرأى من نسوة الأنصار وهى أم معاذ بن جبل رضى الله عن الجميع.

الهجرة.. وأصناف الناس فيها

د/ ربيع خليفة عبد الصادق

الهجرة عند أهل اللغة المفارقة والترك والبُعد، قال تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾ (سورة العنكبوت: الآية ٢٦)، أي: تارك لقومى ومفارقهم.

شرعًا: الخروج من أرض إلى أرض، وترك الأولى للثانية.(١)

قال الحافظ ابن حجر: الهجرة الترك، والهجرة إلى الشىء: الانتقال إليه عن غيره.

وفى الشرع: ترك ما نهى الله عنه، وقد وقعت الهجرة فى الإسلام على وجهين:

الأول: الانتقال من دار الخوف إلى دار الأمن، كما فى هجرتى الحبشة، وابتداء الهجرة من مكة إلى المدينة.

الثانى: الهجرة من دار الكفر إلى دار الإيمان وذلك بعد أن استقر النبى ﷺ بالمدينة، وهاجر إليه من أمكنه ذلك من المسلمين، وكانت الهجرة إذ ذاك تختص بالانتقال إلى المدينة إلى أن فتحت مكة فانقطع الاختصاص، وبقى عموم الانتقال من دار الكفر لمن قدر عليه باقيًا.(٢)

أنواع الهجرة وأصناف الناس:

الهجرة ضربان: ظاهرة وباطنة، أو حسية ومعنوية.

أولا: الهجرة الباطنة:

هى ترك ما تدعو إليه النفس الأمارة بالسوء والشيطان، وهذه الهجرة فى مقدور كل مسلم، وتجب عليه عند وجود ما يقتضيه حتى تحصل له السلامة من المنكرات والموبقات، وتحقق له الاستقامة فى دينه ودنياه، روى البخارى وغيره من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما ـ عن النبى ﷺ ـ قال: «**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه**». وفى رواية لابن حبان والحاكم: «**المؤمن من أمنه الناس**».

فدل ذلك على أن المهاجر: هو الذى امتثل جميع أوامر الشرع ونواهيه فى نفسه ومع غيره، فيهجر كل ما يضر بالمسلم أو يؤذيه، كما فى مسند أحمد «**الهجرة أن تهجر الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وتقيم الصلاة، وتؤتى الزكاة، ثم أنت مهاجر وإن مت بالحضر**».(٣)

ثانيًا: الهجرة ظاهرًا:

الهجرة من دار الكفر والحرب إلى دار الإسلام والأمان.

أرسل الله رسوله ﷺ وأمره أن يبلغ الدعوة للناس كافة: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ • قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ (سورة المدثر الآيتان ١، ٢)، فامتثل النبى ﷺ أمر ربه، فآمن من آمن، وكفر من كفر، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (سورة التغابن الآية ٢). وهذا التقسيم العقدى ينبنى عليه أحكام ونتائج فى الدنيا والآخرة. والمسلمون كلهم إخوة، وبلادهم واحدة، ولو صارت دولا شتى.

غير المسلمين على اختلاف طوائفهم وعقائدهم كلهم ملة واحدة، فالكفر كله ملة واحدة.

وقد رتب الفقهاء على هذا التقسيم أحكامًا شرعية، بسبب اختلاف الدارين، وقبل بيان الأحكام نشير إلى الضابط الذى يميز الدارين ويحدد كلا منهما:

دار الإسلام:

فى تحديد دار الإسلام نجد آراء للعلماء منها: كل ما دخل من البلاد فى محيط سلطان الإسلام، ونفذت فيه أحكامه، وأقيمت شعائره، قد صار من دار الإسلام.(٤)

وسكان دار الإسلام نوعان:

مسلمون: وهم كل من آمن بالدين الإسلامى.

وذميون: وهم غير المسلمين، الذين يقيمون إقامة دائمة فى دار الإسلام، بغض النظر عن معتقداتهم الدينية، وسكان دار الإسلام جميعًا مسلمون وذميون معصومو الدم والمال، لأن العصمة فى الشريعة الإسلامية تكون بأحد شيئين: بالإيمان والأمان، أى: العهد.(٥)

دار الحرب:

كل البلاد غير الإسلامية، التى لا تدخل تحت سلطان المسلمين، أو لا تظهر فيها أحكام الإسلام، أى لا سلطان للمسلمين عليها، ولا تجرى فيها الأحكام الشرعية.

وليس معنى دار الحرب ودار الإسلام أنهما فى حالة عداء خصام مستمر، وإنما المقصود هو وجود الأمن والسلام، أو عدم وجوده.

ولإمام المسلمين أن يعقد مع أهل الحرب صلحًا للمصلحة على ترك القتال بينهما مدة محددة من الزمان، كما صالح النبى ﷺ أهل مكة قبل فتحها على وضع الحرب بينهما عشر سنين، وحينئذ تسمى دار عهد.

والمسلم الذى يعيش فى دار الكفر له أحوال.

(أ) قادر على الهجرة، ولا يمكنه إظهار دينه:

المسلم الذى لم يستطع إظهار دينه خوفًا على نفسه، وباستطاعته أن يهاجر إلى بلدة آمنة لإظهار دينه، فهذا تجب عليه الهجرة، ويكون عاصيًا بتركها. قال تعالى: **﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾** (سورة العنكبوت الآية ٥٦)، وقال سبحانه: **﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾** (سورة النساء: الآية ٧٩).

هذا الوعيد الشديد لا يكون إلا فى ارتكاب المحرم وترك الواجب: **﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾** (سورة البقرة الآية ٢١٧).

روى الإمام أحمد فى مسنده بسند صحيح من حديث جرير بن عبد الله البجلى - الذى أسلم سنة عشر من الهجرة أو قبلها - أنه قال: بايعت رسول الله ﷺ على إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم، وعلى فراق المشرك».

المسلم الذى لا يمكنه إظهار دينه بين المشركين تجب عليه الهجرة اتقاء للفتنة فى دينه

وقال الله عز وجل: **﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾** (سورة النساء: الآية ١٤٠).

وهذا يدل على وجوب هجرة المسلم من بين المشركين ما دام لا يستطيع أن يظهر دينه؛ لأن فى الإقامة خطرًا كبيرًا وشرًا مستطيرًا، من ذلك:

- تشكيك المسلم فى عقيدته ودينه.
- العمل على انحراف المسلم وإضلاله.
- تشبعه بأفكار الغرب وتقليدهم.
- إفساد الأخلاق والوقوع فى الرذيلة عن طريق تهيئة أسباب الفساد وجعلها فى متناول اليد لكل شاب.

وهذه الهجرة حكمها باق فى حق كل مسلم فى دار الكفر، وقدر على الخروج منها.

روى أبو داود والنسائى والدارمى والبيهقى وأحمد والحديث صححه الألبانى فى صحيح الجامع (١٨٦/٦): **«لا تنقطع الهجرة، حتى تنقطع التوبة، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها».**

(ب) لا يقدر على إظهار دينه وهو عاجز عن الهجرة لعذر، كالشيخ الطاعن فى السن، والمريض مرضًا مزمنًا، والأسير، والمكره، أو ضعيف عن سلوك سُبل الهجرة كالنساء والأطفال، فهؤلاء ومن فى حكمهم لا تجب عليهم الهجرة، وتجوز لهم الإقامة بين المشركين.

(جـ) قادر على الهجرة ويمكنه إظهار دينه:

من كان يستطيع إظهار دينه فى دار الحرب فهذا يستحب له أن يهاجر لتقوية شوكة المسلمين ولتكثير سوادهم، فضلا عما يحصل عليه من الخير فى بقائه مع المسلمين من شهود جنائزهم، وعيادة مريضهم وإفشاء السلام بينهم، ومواساة ضعيفهم وما يتبع ذلك من أوجه النفع[٦].

قال تعالى: ﴿**وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا**﴾ (سورة النساء الآية ١٠٠)[٧].

(د) ومن كان يدعو إلى الله فى ديار الكفر، ويستطيع إظهار دينه، مع بقائه فى ديار الكفر للدعوة إلى الله ونفع العباد ولقضاء مصالح المسلمين، فهذا يستحب له البقاء فيها.

ولا شك أن المسلمين إذا فتحوا بلاد الكفار، أو صالحوا أهلها على أن تنفذ فيهم أحكام الإسلام وتطبق عليهم شرائعه، فحينئذ لا يجوز لأى مسلم أن يهاجر من تلك البلاد لكونها صارت بالفتح أو الصلح دار إسلام، دليل ذلك الحديث المتفق عليه عن عبد الله بن عباس - رضى الله عنهما - أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية، وإذا استنفرتم فانفروا**».

ثانيًا: الهجـرة هربًا:

إذا خشى المسلم على نفسه أو أهله أو ماله فى أرض ما، فقد أذن الله له فى الخروج من تلك الأرض والفرار بنفسه وبما يخاف عليه ليتخلص من ذلك المحذور، وهذه رحمة من الله بخلقه ورفقًا منه سبحانه بعباده، كما هاجر إبراهيم الخليل عليه السلام حين خاف قومه، خرج من بينهم وقال: ﴿**إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾ (سورة العنكبوت الآية: ٢٦)، وكذلك موسى عليه السلام لما قتل مصريًا دون قصد وبلا آلة تفضى إلى القتل، وتآمر عليه الملأ من قوم فرعون ليقتلوه قال: ﴿**فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ**﴾ (سورة الشعراء الآية: ٢١).

وهاجر لوط عليه السلام من القرية الظالم أهلها حين أراد الله عز وجل أن يجعل عاليها سافلها، وأرسل عليهم حجارة من سجيل: ﴿**فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ**﴾ (سورة هود الآية٨١)، وهاجر يونس عليه السلام لما رأى إصرار قومه على الباطل وتماديهم فى المنكر ﴿**وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ**﴾ (سورة الأنبياء الآية ٨٧)، وهاجر يعقوب والأسباط إلى مصر يوم جعل الله يوسف عليه السلام على خزائن الأرض، يلتمسون وطنًا صالحًا فيه الخصب ولين العيش، وقال يوسف لهم: ﴿**ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ**﴾ (سورة يوسف الآية: ٩٩).

وهاجر صالح عليه السلام من ديار قومه حين تأذن الله ليرسل عليهم العذاب الأليم، وهاجر هود عليه السلام يوم أرسل الله على قومه الريح العقيم، وخرج النبى محمد ﷺ من بيته لما عقد زعماء قريش وأشرافها اجتماعًا لوضع خطة حاسمة تكفل القضاء على محمد ﷺ وتحجب دعوته نهائيّا عن الوجود، وعندما بدأت قريش التنفيذ أمر الله نبيه بالهجرة.

ثالثا: الهجرة طلبًا لدين أو دنيا:

وهى أن يخرج المسلم مهاجرًا من مكان إلى مكان آخر لغرض دنيوى أو دينى.

(أ) الهجرة لطلب دين:

هذا السفر أحيانًا يكون واجبًا، ومن ذلك:

الحج: إذا توافرت شروط الحج وانتفت موانعه، فيجب عند ذلك على المسلم المستطيع مفارقة وطنه والمبادرة بالسفر لأداء هذا الفرض، قال تعالى: ﴿**وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ**﴾ (سورة آل عمران الآية: ٩٧).

الجهاد: إذا اعتدى الكُفار على ديار المسلمين أو احتلوا جزءًا ونحو ذلك، فعلى المسلم القادر الخروج للدفاع والمرابطة على الثغور وتكثير سواد المسلمين، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ**

انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ﴾ (سورة التوبة الآية: ٣٨).

وأحيانًا يكون هذا السفر على سبيل الاستحباب، من ذلك:

الرحلة إلى طلب العلم: قال تعالى: **﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً﴾** (سورة التوبة الآية: ١٢٢). فالآية فيها الحث على طلب العلم دون الالتزام والوجوب[٨].

الرحلة إلى الأماكن المقدسة:

ففى الحديث المتفق عليه من حديث أبى هريرة رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: **«لا تُشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجد الرسول ﷺ، والمسجد الأقصى»**، وقد خصصت هذه المساجد لأن الصلاة فيها تضاعف أضعافًا كثيرة، ولأن الأنبياء صلوا فيها.

زيارة المسلم:

روى مسلم وغيره من حديث أبى هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: **«خرج رجل يزور أخًا له فى قرية أخرى..»**.

(ب) الهجرة لطلب دنيا:

أحيانًا يتعذر على الرجل معاشه فى أرض، فيخرج منها إلى غيرها لتحصيل ما يحتاج إليه، وهذا من السعى فى الأرض والمشى فى مناكبها **﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾** (سورة الملك الآية رقم ١٥)، وروى أحمد والترمذى وصححه الشيخ أحمد شاكر: **«لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير، تغدوا خماصا وتروح بطانا»**[٩].

(جـ) السفر للتنزه وترويح النفس:

هذا السفر مباح إذا لم يهمل الفرائض والعبادات، ولم يضيع الحقوق والواجبات، وابتعد عن المحرمات، والموبقات، وسلم من الأوزار والتبعات، بل ربما يكون سفر المسلم ذلك مستحبًا ومسنونًا إذا أراد به الاعتبار والاتعاظ بعجائب الله فى خلقه، وسُننه فى عباده، والانتفاع بما فى الأرض من آثار.

اعتداء الكفار على ديار المسلمين يفرض على المسلم القادر الخروج للدفاع والمرابطة فى الثغور وتكثير سواد المسلمين

ويجب على المسلم أن يخلص النية ويُحسن العمل فى حركاته وسكناته وحله وترحاله، وصحته ومرضه وكل أحواله، ويتحرى رضا الله وموافقة شرعه، حتى يفوز بالأجر العظيم والثواب الجزيل، ففى الحديث المتفق عليه من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: **«إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى»**. وفى رواية **«إنما الأعمال بالنية وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه»** فالنية بما يصحبها من إخلاص أو رياء، أصل لقبول العمل أو رده.

نسأل الله أن يرزقنا صدق النية، وحسن العمل، والتوكل عليه والإنابة إليه، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الهوامش:

(١) لسان العرب لابن منظور، مادة: هجر: ٤٦١٧/٥١، والنهاية لابن الأثير ٢٢٤/٥.
(٢) فتح البارى بشرح صحيح البخارى للإمام ابن حجر العسقلانى ٢٣/١.
(٣) صححه الشيخ أحمد شاكر.
(٤) راجع تفسير المنار ٣١٦/١٠.
(٥) راجع بدائع الصنائع ١٠٢/٧.
(٦) راجع التسهيل لتأويل التنزيل سورة النساء ٢٢٨/٢، ٢٢٩.
(٧) راجع فتح البارى: ١٩٠/٦.
(٨) راجع أحكام القرآن لابن العربى ١٠٣١/٢.
(٩) راجع ابن كثير فى تفسيره.

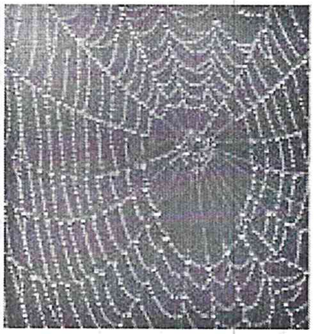

الهجرة النبوية أهدافها ونتائجها

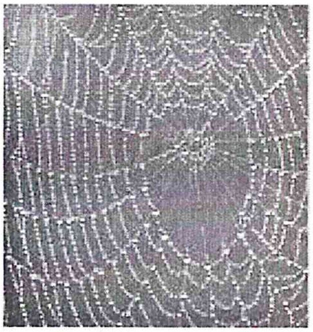

فضيلة الشيخ خالد الجندى

يعتبر حادث الهجرة حداً فاصلاً بين مرحلتين من مراحل الدعوة الإسلامية، هما: المرحلة المكية، والمرحلة المدنية، ولقد كان لهذا الحادث آثار جليلة على المسلمين، ليس فقط فى عصر رسول الله ﷺ، ولكن آثاره الخيرة قد امتدت لتشمل حياة المسلمين فى كل زمان ومكان، فالحضارة الإسلامية قامت على أساس الحق والعدل والمساواة، قدمت للبشرية أسمى القواعد التشريعية التى تنظم حياة الفرد والمجتمع.

فسيرة المصطفى ﷺ لا تحد آثارها بحدود الزمان والمكان، وعلى هذا فإن من معانى الهجرة يمكن أن يأخذ بها المسلمون فى زماننا هذا، بل إن الأخذ بها ضرورة حياتية؛ لأن الهجرة لم تكن انتقالاً ماديًا من بلد إلى آخر فحسب، ولكنها كانت انتقالاً معنويًا من حال إلى حال؛ إذ نقلت الدعوة الإسلامية من حالة

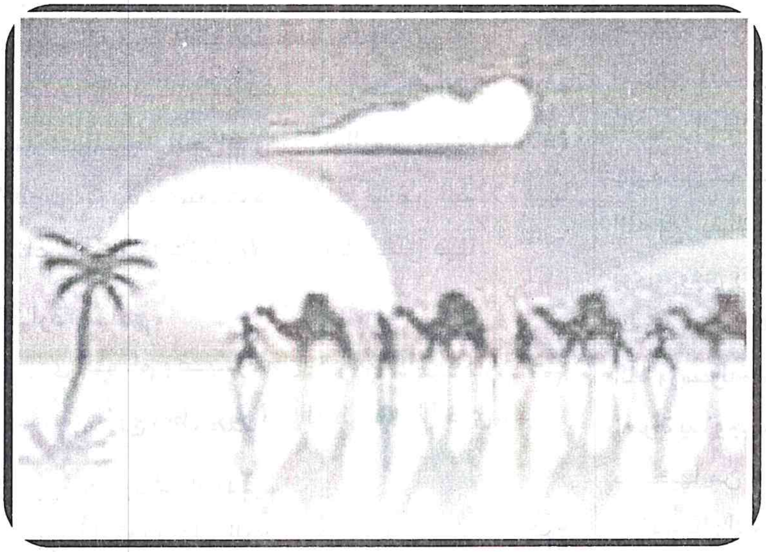

الضعف إلى القوة، ومن حالة القلة إلى الكثرة، ومن حالة التفرقة إلى الوحدة، ومن حالة الجمود إلى الحركة.

جاء فى مفردات القرآن: «الهجر والهجران: مفارقة الإنسان غيره؛ إما بالبدن؛ أو باللسان؛ أو بالقلب. قال تعالى: ﴿**واهجروهن فى المضاجع**﴾ (سورة النساء: آية ٣٤). كناية عن عدم قربهن، وقوله تعالى: ﴿**إن قومى اتخذوا هذا القرآن مهجورا**﴾ (سورة الفرقان: آية ٣٠). فهذا هجر بالقلب، أو باللسان. وقوله تعالى: ﴿**واهجرهم هجرا جميلا**﴾ (سورة المزمل: آية ١٠). يحتمل الثلاثة، ومدعو إلى أن يتحرى أى الثلاثة إن أمكنه مع تحرى المجاملة، وكذا قوله تعالى: ﴿**واهجرنى مليًا**﴾ (سورة مريم: آية ٤٦)، وقوله تعالى: ﴿**والرجز فاهجر**﴾ (سورة المدثر: آية ٥) فحث على المفارقة بالوجوه كلها»[١].

وشرعًا: الخروج فى سبيل الله من دار الكفر إلى دار الإسلام، ومن دار شديد الفتنة إلى دارٍ أقل منه فتنةً.

فالهجرة تعنى: تلمس مواطن الرضى والحظ عندها، وتلمس مواطن السخط والغضب والهروب إلى الله منها.

والهَجْر: ضد الوصل؛ وهو الترك والابتعاد عن الشىء، فإن كان هذا الشىء مذمومًا تعين هجره وحُمد، وإن كان محمودًا قد أثنى الشارع عليه خيرًا حرم هجره وتعين وصله.

أما الهجرة الشعورية فتعنى الانتقال بالنفس... الإسلامية من مرحلة إلى مرحلة أخرى بحيث تعتبر المرحلة الثانية أفضل من الأولى؛ كالانتقال من حالة التفرقة إلى حالة الوحدة، أو تعتبر مكملة لها؛ كالانتقال بالدعوة الإسلامية من مرحلة الدعوة إلى مرحلة الدولة.

فالهجرة المادية من بلد لا يحكم بالإسلام إلى بلد تحكمه شريعة القرآن ليست منسوخة، بل هى واجبة على جميع المسلمين إذا خشوا أن يفتنهم الذين كفروا فى دينهم وعقيدتهم؛ لأن هدف المسلم فى الحياة أن يعيش فى مجتمع يساعده على طاعة الله والالتزام بأوامره وأحكامه، أو على الأقل لا يحارب بعقيدته، لأن الفتنة فى الدين هى الفتنة الكبرى، فالله تبارك وتعالى يعطى الدنيا لمن يحب ولمن لا يحب، ولكن لا يعطى الدين إلا لمن أحب، فمن أعطاه الله الدين فقد أحبه.

إن الهجرة من مكان إلى مكان آخر وجدت منذ وجود الإنسان على هذه الأرض، ولها أسباب كثيرة:

منها: أنَّ الإنسان إذا أصبح المكان الذى يعيش فيه جدبًا تركه وبحث عن مكان آخر أكثر خصوبة من أجل العيش والبقاء.

لم تكن الهجرة انتقالاً ماديّا من بلد إلى آخر فحسب، ولكنها كانت انتقالاً معنويّا من حال إلى حال

ومنها: طلبًا للعلم والمعرفة إذا لم يكن ذلك متوفرًا فى البلد الذى يعيش فيه.

ومنها: بسبب الكوارث الطبيعية من فيضانات وسيول وزلازل يسلطها الله تعالى على من عصاه كما فعل بأهل سبأ.

ومنها: بسبب الحروب بين الناس فيفرُّ المهزوم إلى مكان آخر آمن.

ومنها: الخوف من عدو أو وحوش ونحو ذلك.

ومنها: السياحة.

ومنها: الفرار بالدين، وهى أعظم أنواع الهجرة، قال تعالى عن النبى إبراهيم عليه السلام لما هاجر من العراق إلى الشام: **﴿فآمن له لوط وقال إنى مُهاجر إلى ربى إنه هو العزيز الحكيم﴾** (سورة العنكبوت: آية ٢٦).

وقد توعد القرآن الكريم المسلمين الذين لم يهاجروا إلى المدينة بعد أن هاجر إليها رسول الله ﷺ كما توعد الأعراب الذين آمنوا ولم يهاجروا إلى المدينة حرصًا على أموالهم وديارهم، فقال تعالى: **﴿إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا﴾** (سورة النساء: آية ٩٩)، وكانت نتيجة ذلك أن بعض هؤلاء فتن فى دينه واضطر إلى

إظهار التقية. ولهذا نجد القرآن الكريم لا يفرض على المسلمين ولاية هؤلاء؛ لأنهم ليسوا أعضاء فى المجتمع الإسلامى، وإذا كانت تربطهم بالمسلمين رابطة العقيدة، فإن نصرتهم تكون بناء على طلب منهم، يقول الله تعالى: ﴿**والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شىء حتى يهاجروا وإن استنصروكم فى الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق**﴾ (سورة الأنفال: آية ٧٢).

ويتحتم على المسلم أن يهاجر من أرض الشرك إلى أرض الإسلام حينما تقوم الدولة الإسلامية ويتكون المجتمع الإسلامى، والهجرة هنا حسب مقتضيات الحال؛ إذ أن الهدف هنا تدعيم الدولة الإسلامية الجديدة بقوى بشرية وتقنية وعلمية، ولكن تقدير هذا كله متروك لقادة هذه الدولة؛ لأن الهجرة العشوائية قد تترك آثارًا سلبية على هذه الدولة فتصبح عقبة فى طريق قوتها وانطلاقها.

وإذا كانت الهجرة المادية تجب فى بعض الأحوال، فإن الهجرة الشعورية واجبة على كل حال وفى كل حين؛ لأنها تتعلق بهجر ما لا يرضى الله تعالى، وهى قائمة إلى أن تقوم الساعة، ورد فى صحيح مسلم أن مجاشع بن مسعود السلمى قال: جئتُ بأخى أبى معبد إلى رسول الله ﷺ بعد الفتح، فقلت: يا رسول الله، بايعه على الهجرة. فقال ﷺ: «**قد مضت الهجرةُ بأهلها**»، قال مجاشع: فبأى شىء تبايعه؟ فقال رسول الله ﷺ: «**على الإسلام والجهاد والخير**»، ويقول ﷺ: «**لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها**». أما قوله ﷺ: «**لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية**» فالمراد بها هنا أن لا هجرة واجبة بعد الفتح، وقد زاد مسلم: «**وإذا استنفرتم فانفروا**».

والمسلم مكلف بأن يهجر كل ما حرم الله، وأن يهاجر إلى ما أحل الله، لأن هذا هو الهدف من استخلافه فى الأرض لقوله تعالى: ﴿**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**﴾ (سورة الذاريات: آية ٥٦)، وهل العبادة إلا طاعة الله فيما أمر، والانتهاء عما نهى عنه وزجر.

أدت الهجرة إلى قيام دولة الإسلام فى المدينة التى أرست ركائز المجتمع الإسلامى على أساس من الوحدة والتكامل والحرية والمساواة

إن المعنى الذى حدده الرسول ﷺ للهجرة معنى عام، تمتد جذوره إلى أعماق الحياة البشرية، فتقيمها على أسس قويمة، أسس تقوم على أساس الإصلاح والصلاح للحياة الإنسانية، والأمن والاستقرار للنفس البشرية.

لقد كان الهدف من الهجرة هدفًا عظيمًا، وهو الانتقال بالرسالة الإسلامية من مرحلة الدعوة إلى مرحلة الدولة، والمؤرخون يقسمون سيرة الدعوة الإسلامية إلى مرحلتين متميزتين: **العهد المكى** الذى يمثل مرحلة الدعوة، **والعهد المدنى** الذى مثل مرحلة الدولة. وبين هاتين المرحلتين مرحلة انتقالية تمثل مرحلة الثورة؛ لأنها نقلت الدعوة الإسلامية نقلة هائلة سريعة من مؤهلة كان هدفها تربية الفرد المسلم إلى مرحلة أصبح هدفها تكوين المجتمع المسلم، ومن دعوة كانت مجرد عقيدة وفكرة إلى دعوة أصبحت شريعة ودولة،

ومن حركة محدودة الآثار إلى حركة عالمية الأهداف، ومن دعوة أتباعها قلة مستضعفون إلى دعوة أتباعها سادة فاتحون.

لقد غيرت الهجرة أحوال المسلمين تغييرًا جذريًا، فنقلتهم من الضعف إلى القوة، ومن القلة إلى الكثرة، ومن الانحصار إلى الانتشار، ومن الانحدار إلى الانتصار، ولم تقف آثارها عند هذا الحد، بل كانت ثورة على كل ما يخالف شريعة السماء وفطرة الإنسان السليمة، فشملت آثارها النواحى العقائدية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية.

لقد كان هدف الرسول ﷺ من هجرته إلى المدينة إيجاد موطئ قدم للدعوة لكى تنعم بالأمن والاستقرار حتى تستطيع أن تبنى نفسها من الداخل وتنطلق لتحقيق أهدافها فى الخارج، ولقد كان هذا الهدف أملاً يراود رسول الله ﷺ، فقال مرة لأصحابه: **«رأيتُ فى المنام أنى أهاجر من مكة إلى أرض بها نخل، فذهب ظنى إلى أنها اليمامة أو هجر، فإذا هى يثرب»**.

كما كان هدف رسول الله ﷺ من الهجرة تكثير الأنصار وإيجاد رأى عام مؤيد للدعوة؛ لأن وجود ذلك يوفر عليها الكثير من الجهود ويذلل فى طريقها الكثير من الصعاب، والمجال الخصب الذى تتحقق فيه الأهداف، والمنطلق الذى تنطلق منه الطاقات، ولهذا حرص رسول الله ﷺ أن يبعث مصعب بن عمير إلى المدينة ليعلم الأنصار الإسلام وينشر دعوة الله فيها. ولما اطمأن رسول الله ﷺ إلى وجود رأى عام مؤيد للدعوة فى المدينة حثّ أصحابه إلى الهجرة إليها، وقال لهم: **«هاجروا إلى يثرب، فقد جعل الله لكم فيها إخوانًا ودارًا تأمنون بها»**.

كما كان هدف رسول الله ﷺ من الهجرة استكمال الهيكل التنظيمى للدعوة، فقد كان وضعًا غير طبيعى أن يكون الرسول القائد فى مكة، والأنصار والمهاجرون فى المدينة، ولهذا هاجر رسول الله ﷺ ليكون بين ظهرانى أتباعه؛ لأن الجماعة بدون قائد كالجسد بلا رأس، ولأن تحقيق أهداف الإسلام الكبرى لا يتم إلا بوجود جماعة مؤمنة منظمة، تغذ السير إلى أهدافها بخطى وئيدة.

وبعد .. لقد أدت الهجرة إلى قيام دولة الإسلام فى المدينة، والتى أرست ركائز المجتمع الإسلامى على أساس من الوحدة والمحبة والتكافل والتآخى والحرية والمساواة وضمان الحقوق، وكان الرسول ﷺ هو رئيس هذه الدولة وقائد جيوشها وكبير قضاتها ومعلمها الأول. وقد طبق الرسول ﷺ شريعة الإسلام، وكان القرآن ينزل بها منجمًا، فكان الصحابة يدرسون ما ينزل ويطبقونه على أنفسهم، ويتعلمون تفسيره وبيانه من النبى ﷺ، فتكون جيل ربانى تمكن من الجمع بين عبادة الله وعمران الحياة، وعمل تحت شعار: **اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا**، وفى خلال عقد واحد توحد معظم الجزيرة العربية فى ظل الإسلام، ثم انتشر فى خلال عقود قليلة تالية ليعم منطقة واسعة امتدت من السند شرقًا إلى المحيط الأطلسى غربًا حيث آمن الناس بالإسلام، واستظلوا بشريعته العادلة، وأقاموا حضارة زاهرة أتت أكلها قرونًا طويلة فى حقول التشريع والتربية وعلوم الكون والطبيعة.

الهامش:

(١) غريب القرآن للأصفهانى - (ج١/ص ٥٣٦)، ومفردات ألفاظ القرآن الكريم (ج٣/ص ٥٣).

تداعيات من وحى الهجرة

رفعت عبد الوهاب المرصفى

أطلق ضياءك يا هلال محرم   وارم العذوبة فى الزمان العلقم
ذكر جموع الناس فالذكرى شذى   وانثر عبيرك فى القلوب وعلم
وارجع بنا لنرى سوالف مجدنا   رُب اهتدينا للطريق الأقوم
الناس قد علقت بأوهام الهوى   والمال ينخُر فى نخاع الأعظم
وتفككت أقوى الأواصر بيننا   والبعض فى حضن القطيعة يرتمى
والمسجد الأقصى أسير يصطلى   والكل يرفض بالكلام الأبكم
والقتل فى بغداد هاج أنينه   من قسوة الظلم الغبى المجرم
والجرح فى لبنان ينزف داميا   لا شىء يشفع للمدى المتألم
والذكريات العاطرات بديننا   تأتى وتذهب فى هدوء مبهم
ونظل نقذف بالكبائر بيننا   لا شىء يشفع من صلات الأرحم
ما عاد يجدى فى الزمان تواعظ   فالوعظ أخفق من بريق «الدرهم»
قلبى يئن على تفكك أمة   فازت من المولى بشتى الأنعُم
لكننا يا حسرتاه نضيعها   من فرقة تطغى وسوء تحكم
صلى عليك الله يا نبع الهداية   بالصلاة عليك يبتل الظمى
بعد الثلاثة عشر عاما فى الضنى   كنت القوى وكنت خير معلم
حتى أتاك الوحى أن قُم وارتحل   نفّذت أمر الله دون تبرم
فتركت أرضا كم عليك عزيزة   وقصدتّ قوما ينصرونك بالدم
وجنحت صوب الغار تقصد حكمةً   والله عنك يرد كيد الغاشم
ودخلت والصديق فى ستر الدجى   كان الوفى وكان نعم المغنم
سد الشقوق بجسمه من خشية   أن تُبتلى من ضر بعض الهوّم
وأتت سيوف كى تنال من السنا   لولا العناية أمكرت للظالم
وحمامة باضت هنا فى لحظة   أما العناكب شيدت من معتم
فبدا المكان كأنه مستوحش   وبدا الزمان مهيئا للقادم
حتى سراقة قد دنا من صيده   لما تقدم خطوة لم يسلم
فكبا الجواد ومن عليه لحكمة   وقعت عليه فيوض دين أعظم
وتحطمت كل الشراك تحطمًا   ومضى الضياء إلى المدينة يحتمى
فهناك أنصار الحبيب وصحبه   أنعم «بيثرب» من مكارم أكرم
وسكنت دارا لابن عوف لفترة   منها أشعّ النور فوق الأنجم
إن القرون تسير مارقة الخُطا   والكون ينهل من ضياء الخاتم
هى هجرة منها الدروس جليّة   فمتى نصير على الصراط وننتمى؟

قضايا معاصرة

- الإسلام فى أروقة المستشرقين (٢).
- الانتماء الإسلامى والوطنى والقومى.
- الدفاع عن الحقوق والحريات الدينية (حلول مقترحة).
- الثقافة الإسلامية والحضارة.
- المواطنة والعدالة الاجتماعية.
- الفتوحات الإسلامية بين الحقيقة والافتراء.

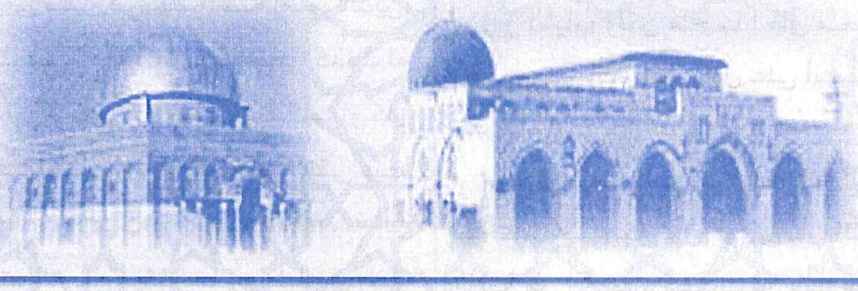

الإسلام فى أروقة المستشرقين (٢)

د/ محمد شامة

يدعى المستشرقون أن قيام السيدة خديجة بأعمال التجارة، هيأ لمحمد الوقت للتفكير فى النواحى الدينية، فهاله ماعليه القوم من عبادة الأوثان، فاتجه إلى عبادة الله وحده، وساعده على ذلك بعض العوامل التى وجدت آنذاك، منها ما كان عليه الحنفاء من انصراف عن الأوثان، ومحاولة البحث عن الحق، ومنها ما سمعه من اليهود عن التوحيد عندما كان يزور أقاربه فى يثرب (المدينة المنورة).

لم يثبت تاريخيا أن محمداً تردد على المدينة، بل زارها مرة واحدة وهو ابن ست سنوات - فى الرحلة التى ماتت فيها أمه وهى فى طريق العودة -، ولا يعقل أبداً أن يعى طفل فى السادسة أمور الدين، فضلاً عن أعقد شىء فيه، وهو التوحيد. كذلك لم يثبت أن محمداً ﷺ كانت له صلة بالحنفاء، أو كان يجلس إليهم، إنما الحادثة الوحيدة التى التقى فيها بأحدهم هى: عندما ذهبت به السيدة خديجة إلى ورقة بن نوفل لتسأله عن ماهية ما حدث له فى غار حراء، ويبدو من سؤال النبى ﷺ ورقة - عندما قال له: ليتنى حيّا إذ يخرجك قومك!- «أو مخرجى هم؟» أنه لم يكن يعرف شيئًا من سيرة الأنبياء السابقين، ولم يكن له علم بما حدث لهم من قومهم، حين دعوهم إلى عبادة الله. وهذا دليل واضح على أنه لم يسمع شيئًا عن هذا إطلاقاً، لا من اليهود، ولا من الحنفاء.

يدعى المستشرقون أن ما كان يصيب محمداً أثناء تلقيه الوحى، ما هو إلا نوبات صرع!!!

وقد رد عليهم «جوتشالك» الألمانى، فقال:

هذا خطأ من الوجهة العلمية، وذلك:

أن المصروع لا يتذكر شيئا مما حل به أثناء نوبة الصرع، لأن حركة الشعور والتفكير تتعطل فيه تمام التعطل، وقد أثبت ذلك البحث العلمى وأكده، ولم يكن ذلك يصيب محمداً أثناء الوحى، بل كانت تتنبه حواسه المدركة فى تلك الأثناء تنبهاً لا عهد للناس به، وكان يتذكر بدقة بالغة ما يتلقاه، ثم يتلوه بعد ذلك لأصحابه.

وأن الذى ينتابه الصرع بهذه الكثرة تضعف قواه بمرور الأيام، ولكن محمداً ظل محتفظًا بها حتى آخر حياته، مما يدل على أنها لم تكن نوبات صرع(١).

يدعى المستشرقون أنه حين اشتدت الوطأة بمحمد وصحبه نزل الوحى بأن الله اعترف ببنوة ثلاثة من الأصنام كبنات له، فأدخل ذلك السرور على المسلمين وهدأت ثورة المشركين ضد الدعوة، ورجع المهاجرون من الحبشة عندما وصلهم النبأ،

ولكن الوحى عاد فصحح ذلك اللبس الذى حدث، ويستدلون على ذلك بنصوص من الكتب الإسلامية.

قد يقال: إنهم لم يأتوا بدعاً من القول، فالقصة رويت فى كتب إسلامية، والمستشرقون يولونها اهتمامًا بالغًا، وعليه فمن الطبيعى أن يرددها أوروبيون، لم يدرسوا مثل هذه القصة فى معاهد إسلامية، وليست لديهم الروح الإسلامية التى تدفعهم إلى محاولة تنقية التاريخ الإسلامى مما علق به، لأن تلك الروح مصدرها المجتمع الإسلامى أو العقيدة؛ وكلاهما غير موجود فى عالم هؤلاء، فهم ليسوا مسلمين، ولا يعيشون فى مجتمع إسلامى.

والموقف يقتضينا أن نذكر ردا بسيطًا يقتنع به كل قارئ، مهما كانت درجة ثقافته، ألا وهو:

إن هذه الرواية التى ذكرت تلك القصة مشكوك فى صحتها، وإذا تطرق الشك إلى دليل فقد حُجِّيَّته.

زد على ذلك أن المرء إذا قرأ الآيات التى أوحت بهذه القصة وهى:

﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّى • وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى﴾ (سورة النجم الآيتان ١٩, ٢٠)

ثم أضاف إليها النص المزعوم الذى أحدث البلبلة، وهى: «تلك الغرانيق العلا، وإن شفاعتهن لترتجى» ما استقام المعنى؛ إذ عقب هذا مباشرة - على فرض صحة النص المزعوم - جاء قوله تعالى: ﴿أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأُنثَى • تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾ سورة النجم (الآيتان ٢١، ٢٢).

فكيف يستقيم المعنى، لو أقحم النص المفترى بين تلك الآيات؟

لا يستقيم إلا فى عقل سقيم!!!

يعلل المستشرقون رفض أهل الطائف دعوة محمد ﷺ بخوفهم على مصالحهم التجارية، فقد كانت تربطهم بأهل مكة معاملات تجارية، كانت ستتأثر، لو اتخذت قريش منهم موقفًا عدائيا إن هم أسلموا.

هذه قضية صحيحة إلى حد ما، وتحدث فى جميع المجتمعات البشرية فى كل العصور والأزمان، ولكن ليس هذا هو السبب الوحيد لرفضهم الإسلام، بدليل أنهم رفضوه بعد أن أسلمت قريش، وسلمت للنبى ﷺ، بل هناك أسباب أخرى، منها: أن الإنسان مثل النبات، مربوط فى مجتمع بعدة جذور ثقافية واجتماعية وعقدية - وهى المصطلح على تسميتها بالعادات والتقاليد -، وعند التحول فى أى ميدان من ميادين الحياة - الاجتماعية، أو الثقافية، أو الدينية - لايكون الأفراد متساوين فى القدرة على تقطيع هذه الجذور ليتحولوا إلى الاتجاه الجديد، فبعضهم يستطيع التخلص منها بسرعة، والبعض الآخر يبطئ... إلى أن يصل الأمر إلى إكراه بعض الأفراد على التحول (قد تكون وسيلة الإكراه معنوية وذلك عندما يجد المرء نفسه هو الوحيد- أو مع قلة قليلة - المتمسك بالقديم).

وموقف العرب من الإسلام لم يخرج عن هذه القاعدة: تباطأ أهل مكة والطائف فى التخلص من العقائد البالية، بينما أسرع أهل يثرب (المدينة المنورة فيما بعد) بالتحول إلى الدين الجديد، وهذا هو ما يعبر عنه قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ سورة الأنعام (آية ١٢٥).

يدعون أن المدينة أصيبت بمجاعة نتيجة لهجرة ٢٠٠ أسرة إليها، فاضطر ذلك محمداً إلى اتخاذ إجراء للخروج من هذا المأزق، فوجه المسلمين إلى التعرض لقافلة قريش التى كان يقودها أبو سفيان.

هذا الادعاء باطل من أساسه، لأن المدينة كانت غنية بخيراتها، فلم تحدثنا كتب السيرة بحدوث مثل هذه المجاعة.

فمن أين استقوا هذه المعلومة؟

لاشك أنها استنتاج من تصورات خيالية فى ذهنهم، فقد خيل لهم أن التعرض للقافلة كان الدافع إليه، هو احتياج المدينة لما تحمله. وليس هذا هو أسلوب البحث العلمى الذى يجب أن يقوم على حقائق، وليس على افتراضات متخيلة. زد على ذلك أن القرآن الكريم قد بيَّن أن الغرض من التعرض للعير ليس للاستيلاء عليها، بل الهدف منه هو إحقاق الحق، أى كسب اعتراف «دولى» بشرعية الدعوة، كى لا يتعرض لها أهل مكة، لأن إدراكهم للخطر الذى تتعرض له قوافلهم سوف يدفعهم إلى المصالحة، والتخلى عن الوقوف فى طريق الدعاة.

ومن يقرأ قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ● لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ**﴾ سورة الأنفال (الآيتان ٧، ٨).

يدرك هذا المعنى ... اللهم إلا أولئك الذين تشدهم عاداتهم وتقاليدهم إلى طريق العداوة للإسلام، حيث يكون الهجوم عليه والكيد له.

هذا بعض ما ظهر فى أبحاث المستشرقين فى أروقة البحث فى الجامعات الألمانية، وما يردده أعداء الإسلام، وينشرونه فى أبحاثهم ودورياتهم، وهو وإن كان بعيداً عن البحث العلمى النزيه، أى أنه أخف بكثير مما كان يردد آباء الكنيسة عن محمد ﷺ فى القرون الوسطى.

ويلى المستشرقين كتابُ القصص والروايات، وهؤلاء يعتمدون فى تصوير أبطالهم وشخصياتهم على ما كتبه الرحالة وآباء الكنيسة والمستشرقون،

شبهات المستشرقين لا تقوم على حقائق ثابتة، وإنما تقوم على افتراضات متخيلة

أما المصدر الأول - وهم الرحالة - فقد غلب عليهم خيال جامح، وخاصة فى القرون الوسطى، ولا ننسى رائدهم «ماركوبولو» (١٢٥٤ - ١٣٢٣م) الذى دوَّن رحلته إلى الشرق فى جزأين، حشاهما بغرائب التراث، والأخلاق، والأديان. ولا يقل عنهما ماجاء فى رحلة «شاباى» من ضلالات لا يصدقها عقل، مثل قوله: (إن للشرقيين ثمانية أنامل ورأسين).

والمصدران الأخيران لم يقدما لكتاب القصص سوى صورة مهلهلة، ممقوتة عن الإسلام، فخرجت القصص والروايات بلوحة عن الإسلام والمسلمين، طُمِسَت معالمها، وشُوِّهَت جوانب الجمال فيها، ومُحِيَت معالم الإنسانية من خطوطها وألوانها.

فإذا هيأت الظروف لواحد منهم الاطلاع على مصادر إسلامية، موثوق بها، ظهر انعكاسها باهتاً فى رواياته وقصصه؛ لأن هذا التأثير العابر، لا يمكن أن يمحو أثراً رسخ فى ذهنه منذ طفولته، وواكبه فى مراحل عمره، ولازمه فى حله وترحاله؛ إذ معرفته عن الإسلام فى طفولته من أبويه - ومصدر ثقافتهما عنه فى الغالب الأعم من كتابات آباء الكنيسة والمستشرقين-، وفى المدرسة من مدرس لم يكن أوفر حظًا فى استقاء معلوماته عن الإسلام - وفى المجتمع من الصورة المشوهة التى رسمتها عدة مصادر، تساندت كلها فى تشويه صورة الإسلام للمجتمع الأوروبى، كى تحول بينه وبين التحول إلى الإسلام.

وهناك فريق آخر، كتب عن الإسلام، ولم يكن الدافع له موقعه في الكنيسة، أو عمله كمستشرق، كما أنه ليس من هواة كتابة القصص عن الشرق الملىء بالأحداث التى تستهوى قطاعًا كبيرًا من القراء - كقصص «كارل ماى» -، ولكنه كتب عن الإسلام إشباعًا لرغبة البحث عنه، وتعبيرًا عن غريزة الكتابة لديه، ليسهم فى بناء حضارة أمته، وليصحح بعض المفاهيم الشائعة بين بنى قومه - من وجهة نظره - حتى يستقيم بناء المجتمع، ويشتد أزر الأمة، وتتجنب الزلل فى تقدمها على طريق الزمن.

ويضم هذا الفريق فلاسفة واجتماعيين، وسياسيين، واقتصاديين، ورجال أعمال. وقد تناول كثير منهم الإسلام فى بحوثه، بعضهم عالجه كجزئية ضمن عديد من قضايا بحثه، بينما احتل صفحات كثيرة عند الآخرين، غير أن عددًا من الباحثين المعاصرين كتب مؤلفات ضخمة - وصل بعضها إلى عدة مجلدات - عن الإسلام، تختلف فى طابعها ومنهجها عما كتبه المستشرقون وآباء الكنيسة، فى العصر الوسيط، إذ يغلب عليها رغبة المؤلف فى التزام الموضوعية والبعد عن المهاترات لآباء الكنيسة وترهات المستشرقين، لكن ظروفه الاجتماعية والثقافية منعته من تحقيق هذا الهدف على الوجه الأكمل، فهو - وإن تشرب بروح النهضة الحديثة ذات الطابع العلمانى، إن لم تكن أقدم من ذلك - مكبل بسلاسل إعلامية - سواء كانت إذاعية، أو صحفية، أو نشرات دورية، أو كتب ثقافية وتخصصية - تحجب الجانب الإيجابى فى الإسلام، وتصوره بصورة تنفره منه، وتبعده عنه، إذا ما اقترب يوماً من الإسلام بفعل الموجات الليبرالية التى اجتاحت أوروبا فى العصر الحديث.

لم يزل اتجاه بعض الأوروبيين فى محاولة وقف المد الإسلامى قائمًا حتى العصر الحديث، غير أنه اتخذ أسلوبًا أقل عنفًا، وأكثر هدوءًا؛ لأن طبيعة العصر حتمت على البعض منهم أن يلتزم جانب الحياد العلمى إلى حد ما، فظهر من ينصف الإسلام ويعترف بأهميته للمجتمع الإنسانى. ولم تبدأ معالم هذا الاتجاه فى الظهور إلا منذ القرن التاسع عشر، حين انتشرت الثقافة الشرقية فى أوروبا، وأخذ المستشرقون يجدون فى فتح مغاليق الشرق، وكشف ما فيه من كنوز بعد حملة نابليون التى فاقت أهميتها العلمية أهميتها السياسية.

وهكذا سنحت الفرصة أمام بعض العقلاء من الأوروبيين للوقوف فى وجه الظلم والإجحاف الذى لقيه الإسلام فى الغرب فى القرون الوسطى، فظهرت بعض المؤلفات العامة المعتدلة عن الإسلام والحضارة الإسلامية، وحل محل الآراء التى تبناها اللاهوتيون (والمستشرقون المتعصبون) آراء أخرى أقل عنفًا، وأقرب إلى الاعتدال والإنصاف للإسلام والمسلمين(٢)، يقول «كارل لايل»:

«من العار أن يصغى أى إنسان متمدين من أبناء هذا الجيل إلى وهم القائلين أن دين الإسلام كذب، وأن محمدًا لم يكن على حق...

«لقد آن لنا أن نحارب هذه الادعاءات السخيفة المخجلة، فالرسالة التى دعا إليها هذا النبى، ظلت سراجًا منيرًا أربعة عشر قرنًا من الزمان لملايين كثيرة من الناس، فهل من المعقول أن تكون هذه الرسالة التى عاشت عليها هذه الملايين وماتت أكذوبة كاذب، أو خديعة مخادع؟ ولو أن الكذب والتضليل يروجان عند الخلف هذا الرواج الكبير لأصبحت الحياة سخفاً، وكان الأجدر بها ألا توجد، هل رأيتم رجلاً كاذبًا يستطيع أن يخلق دينًا، ويتعهد بالنشر بهذه الصورة؟

«إن الرجل الكاذب لا يستطيع أن يبنى بيتًا من الطوب، لجهله بخصائص مواد البناء، وإذا بناه، فما ذاك الذى يبنيه إلا كزمة من أخلاط هذه المواد. فما بالك بالذى يبنى بيتًا دعائمه هذه القرون العديدة، وتسكنه هذه الملايين الكثيرة من الناس؟

«وعلى ذلك فمن الخطأ أن نعد محمدًا رجلاً كاذبًا متصنعًا متذرعًا بالحيل والوسائل لغاية أو مطمع ... وما الرسالة التى أداها إلا الصدق والحق، وما كلمته إلا صوت حق صادق صادر من العالم المجهول، وما هو إلا شهاب أضاء العالم أجمع، ذلك أمر الله ... وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء»(٣).

لكن كلمة الحق اختفت فى القرن العشرين وراء بعض الممارسات التى تقع من الجماعات المتشددة، الرافضة لمعطيات العصر مما جعل الأوروبيين ينظرون إلى الإسلام على أنه دين مضى زمنه، فأصبح لا يصلح للعصر الحديث.

ظل الأوروبيون يحاولون تثبيت هذه المقولة، عن طريق وسائل الإعلام الحديث فى وعى الشعوب، حتى لا تقترب من الإسلام أو تفكر فى وضعه على قائمة الأيديولوجيات المعاصرة، المتنافسة فى ساحة اختيارات الفكر البشرى، المنظم لحياة المجتمعات، ولكن لم تنفع هذه المحاولات فى إبعاد الإسلام عن مركز اهتمام المفكرين، وتطلعات الأفراد والشعوب إلى فكر ينقذها من أزماتها المتلاحقة... حتى انفجرت موجة العنف على الساحة الدولية قاطبة، واشترك فيها بعض المسلمين، فتلقفها بعض المفكرين، واستخدموها فى محاربة المد الإسلامى، مدعين أن الإرهاب خرج من رحم الإسلام، ونشره المسلمون فى كل أرجاء المعمورة، ولذا أصبح الإسلام هو العدو الأول للحضارة الحديثة بعد انهيار الشيوعية، ناسين - أو متناسين - أن الإرهاب ليس له هوية معينة، بل هو عالمى يحمل جنسية التطرف فى كل دين، ويساعد على ظهوره الجهل، وفى بعض الأحيان الكبت الناتج عن الظلم والقهر والممارسات اللا إنسانية التى تدفع إلى الإنفجار.

ولكى تُصَحَّح هذه المفاهيم ينبغى على المفكرين - مهما اختلفت عقائدهم وتباينت اتجاهاتهم الفكرية - أن يعقدوا لقاءات فكرية للتحاور، والمناقشة حول هذه الظواهر، ليصلوا إلى أسلوب يضمن التعايش السلمى بينهم، ولاشك أنهم سيصلون إلى هذا الهدف لو حرص كل واحد على الوصول إلى الحقيقة من مرجعها الأصلى، بدل أن يأخذ معلوماته - عن العقيدة ودوافع الممارسات السلبية - من المدعين والجهلة، وأنصاف العلماء.

وأمل المسلمين كبير فى أن يأتى اليوم الذى تزول فيه هذه الغشاوة، فيفهم الباحثون الإسلام، كما أراده الله، ولن يأتى هذا اليوم دون جهود علماء المسلمين فى تفنيد مزاعم المستشرقين، وبيان وجه الحق فيما يدعون، وذلك أمر لا يقدر عليه الأفراد، بل لابد من تكاتف الهيئات والمؤسسات العلمية فى العالم الإسلامى.

كما لا يخفى أن صوت الإسلام الحق لن يصل إلى آذان الشعوب إلا عبر وسائل الاتصال الحديث.

هوامش :

(١) «جوتشالك»: الإسلام فى الفكر الأوروبى، عرض ونقد: محمد شامة.

(٢) محمود زقزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى صـ ٣٢.

(٣) عبد الحليم محمود : أوروبا والإسلام صـ ٤٩ - ٥٠.

الانتماء الإسلامى والوطنى والقومى.... تكامل؟.... أم تناقض؟؟

د. محمد عمارة

الانتماء الأول والأكبر والأساسى، بالنسبة للمسلم، هو إلى الإسلام وأمته، وإلى دار الإسلام وحضارته...

وفى القرآن الكريم يخاطب الله سبحانه وتعالى المؤمنين على لسان نبيه فيقول: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ سورة التوبة: الآية ٢٤.

لكن الانتماء الأول والأكبر والأساسى، لا يعنى إنكار وجود انتماءات ثانية، وصغرى وفرعية... فتلك حقيقة تشهد عليها الفطرة السليمة لدى الإنسان... فلدى المسلم السوى الذى يمثل الانتماء الإسلامى هويته الأولى وجامعته العظمى، والجسد الواحد... لدى هذا الإنسان إحساس فطرى بأن له انتماءات وولاءات صغرى وفرعية، تلى الانتماء الإسلامى، ولا تتعارض معه... فالأمة الإسلامية كالجسد الواحد، لكن لهذا الجسد أعضاء، لا تنفى تميزها وتفاوتها وحدة هذا الجسد... **والفطرة الإنسانية تشهد على أن للإنسان منا ولاء وانتماء إلى «الأهل»، بمعنى الأسرة والعشيرة... وإلى «الشعب» فى الوطن والإقليم الذى تربى ونشأ فيه... وإلى «الأمة» - الجماعة - التى يتكلم لسانها... وهى الأمة بالمعنى القومى... وإلى «الأمة» - الجماعة - التى يشترك معها فى الاعتقاد الدينى.. ثم إلى الإنسانية التى خلقها الله وإياه من نفس واحدة..**

تشهد الفطرة السليمة لدى الإنسان السوى على ذلك.... دونما تناقض أو تعارض بين هذه «الدوائر» فى «الولاء والانتماء»... فهى أشبه ما تكون بدرجات سلم واحد، يفضى بعضها إلى بعض، ويدعم أحدها الآخر، وخاصة - **بل بشرط - أن تخلو مضامين مصطلحات دوائر الانتماء - وبالذات «الوطنية» و«القومية» - من المضامين العنصرية ونزعات الغلو فى التعصب، التى تقطع الروابط بين هذه الدوائر للانتماء... فلا مشكلة فى تعدد دوائر الانتماء، طالما قام وربط بينها الانتماء الأكبر وهو الانتماء إلى الإسلام...**

وهذه الحقيقة التى تشهد عليها الفطرة يشير إليها القرآن الكريم عندما يقول: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ سورة الأحزاب: الآية ٦،

فالرسول ﷺ - باعتبار الرسالة الإسلامية - أولى بالمؤمنين حتى من أنفسهم... وهذا هو معنى الولاء والانتماء - حتى درجة الفناء - فى الإسلام - لتحقيق الحياة والإحياء بهذا الإسلام؟!... وفى داخل هذا الانتماء الأعظم والأول هناك الانتماء إلى أولى الأرحام - وما يترتب عليه من أولويات فى المواريث وغيرها - فهم أولى ببعض... ولا تناقض بين الولاء الخاص وبين الولاء العام..

وكذلك الحال - مع هذه الشواهد على تعدد دوائر الانتماء دونما تناقضات بينها - إذا عاد الإنسان إلى فطرته السليمة... فإنه سيجد حنينا خاصًا إلى المكان الذى ولد فيه... وولاء للوطن الذى ضمن له الرعاية والحماية والخدمات.. وانتماء الوطن الأكبر، الذى كونت ذكريات انتصاراته وطموحاته وآماله وآلامه مخزون التاريخ، والتراث اللذين شكلا ويشكلان تميز هوية هذا الإنسان... فهى ولاءات متداخلة تنتمى إلى الولاء الأكبر، وانتماء الفروع المتعددة إلى الشجرة الواحدة..

وإذا كانت دار الإسلام هى الوطن الأكبر بالنسبة للمسلم، فإن هذا لا يعنى انتفاء حب المسلم لوطنه الأصغر الذى نشأ فيه... **فالجهاد فى سبيل الوطن الأصغر فرض عين، بينما هو فيما وراء ذلك من أقاليم الوطن الأكبر من فروض الكفايات... والأقربون أولى بالمعروف... والزكوات والصدقات لا تخرج من القرية أو الإقليم أو الوطن إلا بعد كفاية ساكنيه**... وتلك شواهد على اتساق الأحكام الشرعية والتكاليف الإسلامية مع توالى وتدرج وترابط دوائر الانتماء الإسلامى فى إطار دار الإسلام...

ولا يحسبن البعض أن حب الوطن الصغير - الإقليم - مرهون بسيادة كامل الإسلام فى دولته ومؤسساته وحياته... ذلك **أننا إذا لم نحب الأوطان التى تشوب الشوائب إسلامية نظمها، والتى خلطت دولها عملاً صالحًا بآخر سيئا، فلن نخلص الجهاد فى سبيل تحريرها من هذا الذى طرأ على الإسلام فيها... وإلا فكيف أجاهد فى سبيل وطن لا أحبه؟!**

إن رسول الله ﷺ هو القدوة والأسوة فى هذا المقام... فمكة، قلعة الشرك، التى حاصر أهلها دعوة الإسلام... واستفزوه من الأرض إخراجًا... وهموا ليثبتوه ويسجنوه... بل دبروا لقتله.. مكة هذه، وهى على هذا الحال، ظل القلب النبوى جياشا بحبها... حتى لقد ناجاها لحظة الإخراج منها يوم الهجرة فقال: «**والله إنك لأحب البلاد إلى الله... وأحب البلاد إلىّ، ولولا أن أهلك أخرجونى منك ما خرجت**»!.. بل وظل قلبه ﷺ جياشًا بحب مكة وهو فى المدينة، حتى لقد كان يدعو ربه أن يحبب إليه المدينة كحبه لمكة... وكان حريصًا فى المدينة على أن يسمع من القادمين من مكة وصف معالمها والتذكير بمشاهدها. وعندما كانت الأوصاف تؤجج المشاعر، كان يطلب من الواصفين التوقف «لتقَرّ القلوب»؟!..

وكذلك الحال مع الدائرة التالية «للوطن الإقليمى».. أى «الوطن القومى».. إن «القوم» الذى اشتقت منه «القومية» هو مصطلح «عربى - قرآنى»، وفى القرآن الكريم حديث عن العرب، قوم الرسول ﷺ: ﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ سورة الزخرف: الآية ٤٤..

فقوم الإنسان هم دائمو الإقامة معه، والذين تربطهم به الروابط التى اصطلح على تسميتها «سمات القومية»، وهى التى تحدد اللغة دائرتها وخريطتها... **فالقومية، فى الرؤية الإسلامية، هى الدائرة اللغوية فى إطار الانتماء الإسلامى الأكبر... وعالمية الإسلام لا بد وأن تشمل أقوامًا تميزها اللغات والألسنة**: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ﴾

سورة الروم: الآية ٢٢.. فإذا كان اختلاف اللغات سنة وآية من سنن الله وآياته، فلا بد وأن تشمل عالمية الإسلام أقواما وقوميات تتمايز لغويًا - أى قوميًا - فى إطار محيط ودائرة الانتماء الإسلامى الأول...

وإذا كان الغلو فى العصبية الوطنية هو الذى يجعل «الوطنية» قطيعة مع ما يليها من دوائر الانتماء القومى والإسلامى، ومن ثم يخرجها عن أن تكون انتماء فرعيًا فى إطار الانتماء الأكبر، ويجعلها نهاية المطاف وغاية الأفق، بدلا من أن تكون درجة فى سلم الانتماء المتعدد الدرجات - وهذا اللون من «الوطنية» هو المرفوض إسلاميًا - فإن «القومية» إذا خرجت مضامينها عن دائرة «اللغة»، وأصبحت عرقًا وعنصرًا يعزل القوم عن الدائرة الإسلامية، أو يـضعهم فى تناقض مع الملة، فإنها تخرج بهذا المفهوم والمضمون عن أن تكون حلقة وصل بين «الوطنية» وبين «الجامعة الإسلامية»، وتتحول من درجة فى سلم انتماء أكبر إلى «عازل»، بل ونقيض «للوطنية» و«للإسلامية» معًا... وهذا هو المعنى والمضمون المرفوض إسلاميًا...

ولقد حدد رسول الله ﷺ هذا المضمون اللغوى للعروبة، عندما استنكر أن تكون العصبية العرقية والنسبية - وهى عصبية الجاهلية التى أسقطها الإسلام - هى معيار التحديد لمن هو «العربى»... فقال: **«ليست العربية بأحدكم من أب أو أم، وإنما هى اللسان، فمن تكلم العربية فهو عربى»**![1]

ففى دائرة الأمة الإسلامية، ودار الإسلام، والانتماء الإسلامى «دوائر لغوية»، أى «قوميات».. وإذا نحن نزعنا المضامين.. عنصرية تجعل القوميات عوامل تشرذم للانتماء الإسلامى، فإن هذا الانتماء الإسلامى سيحتضن محيط «الجزر القومية» فى عالم الإسلام... وهذه الحقيقة أشد وضوحًا مع «القومية العربية»؟ لأن اعتماد «العربية» - كلغة - معيار التحديد «العربى» و«القوم العرب» سيدخل العروبة فى النسيج الإسلامى إدخالاً عضوياً، لأن العربية - التى هى معيار القومية العربية وراسمة حدود القوم العرب - هى فى ذات الوقت، لسان الإسلام، وخاصية الإعجاز القرآنى، وسبيل الاجتهاد واستنباط الأحكام من المصادر الأصلية للإسلام...

وكذلك الحال مع «الدائرة الإسلامية» و«الجامعة الإسلامية» - وهى دائرة الانتماء الأكبر... فعلينا أن نراها محتضنة ومستوعبة لدوائر الانتماء الأكبر الفرعية... وطنية... وقومية... بل وأحيانًا قبليَّة وعشائرية... وأن نرفض التناقض الذى يفتعله البعض بينها وبين الولاءات والانتماءات الفرعية والصغرى...

إن الوقوف عند الدائرة «الوطنية - القطرية - الإقليمية»، هو مفهوم عنصرى ضيق الأفق لمصطلح «الوطنية».. وكذلك الحال مع الوقوف عند الدائرة «القومية - عربية أو غير عربية» - مع إسقاط الدائرة الإسلامية.. هو الآخر مفهوم عنصرى ضيق الأفق لمصطلح «القومية» - طرأ على فكرنا من المفاهيم القومية الغربية - التى تشابه «العصبية الجاهلية الأولى»!...

وإذا نحن اكتشفنا وأخذنا علاقة الأخص بالخاص والعام بالأعم لدوائر «الوطنية» و«القومية» و«الجامعة الإسلامية» و«الإنسانية»، انتفت هذه التناقضات المفتعلة، وذلك بإحلال منهاج الفطرة الإنسانية السليمة محل المفاهيم العنصرية الطارئة على حياتنا الفكرية العربية الإسلامية.

❖ ❖ ❖

ولقد كانت اليقظة الإسلامية المعاصرة على وعى بالمنهاج الإسلامى فى هذا الموضوع، فصاغت الموقف الفكرى الإسلامى فيه... ومارست عملها عبر الدوائر الثلاث.. الوطنية.. والقومية.. والإسلامية، دونما اعتبار للعصبيات والتشرذم الإقليمى والعنصرية القومية..

فالإمام محمد عبده، عندما سئل - وهو «مفتى الديار المصرية» - عن موقف الإسلام من «الجنسيات» التى تمزق «الوطن الحضارى».. وهل لها مكان فى الإسلام... وعن حكم «المسلم، إذا دخل بمملكة إسلامية، هل يُعَدّ من رعيتها؟ له ما لهم وعليه ما عليهم، على الوجه المطلق؟ وهل يكون تحت شرعها فيما لها وعليه، عموما وخصوصًا؟ وما هى الجنسية عندنا؟ و هل حقوق الامتيازات المعبر عنها عند غير المسلمين «بالكابيتولاسيون» (Capitulations) - موجودة بين ممالك الإسلام مع بعضهم بعضًا؟؟..»

جاء فى فتواه:

«إن وطن المسلم من البلاد الإسلامية هو المحل الذى ينوى الإقامة فيه، ويتخذ فيه طريقة كسبه لعيشه، ويقر فيه مع أهله، إن كان له أهل. ولا ينظر إلى مولده، ولا إلى البلد الذى نشأ فيه، ولا يلتفت إلى عادات أهل بلده الأول، ولا إلى ما يتعارفون عليه من الأحكام والمعاملات، وإنما بلده ووطنه الذى يجرى عليه عرفه وينفذ فيه حكمه هو البلد الذى انتقل إليه واستقر فيه، فهو رعية الحاكم الذى يقيم تحت ولايته، دون سواه من سائر الحكام، وله من حقوق رعية ذلك الحاكم ما لهم وعليه ما عليهم، ولا يميزه عنهم شىء، لا خاص ولا عام.

أما الجنسية فليست معروفة عند المسلمين، ولا لها أحكام تجرى عليهم، لا فى خاصتهم ولا عامتهم، وإنما الجنسية عند الأمم الأوروبية تشبه ما كان يسمى عند العرب عصبية، وهو ارتباط أهل قبيلة واحدة أو عدة قبائل بنسب أو حلف يكون من حق ذلك الارتباط أن ينصر كل منتسب إليه من يشاركه فيه، وقد كان لأهل العصبية ذات القوة والشوكة حقوق يمتازون بها عن سواهم.

جاء الإسلام فألغى تلك العصبية، ومحا آثارها، وسوى بين الناس فى الحقوق، فلم يبق للنسب ولا لما

الغلو فى العصبية الوطنية يجعل الوطنية قطيعة مع ما يليها من دوائر الانتماء القومى والإسلامى فتتحول إلى عازل ونقيض للوطنية والإسلامية معًا.

يتصل به أثر فى الحقوق ولا فى الأحكام. فالجنسية لا أثر لها عند المسلمين قاطبة، فقد قال ﷺ: «**إن الله أذهب عنكم عُبِّية الجاهلية - (أى عظمتها) - وفخرها بالآباء، وإنما هو مؤمن تقى وفاجر شقى، الناس كلهم بنو آدم، وآدم خلق من تراب**»[٢]، وروى كذلك عنه: «**ليس منا من دعا إلى عصبية**»[٣].

وبالجملة، فالاختلاف فى أصناف البشرية، كالعربى والهندى والرومى والشامى والمصرى والتونسى والمراكشى، مما لا دخل له فى اختلاف الأحكام والمعاملات بوجه من الوجوه. ومن كان مصريّا وسكن فى بلاد المغرب وأقام بها جرت عليه أحكام بلاد المغرب، ولا ينظر إلى أصله المصرى بوجه من الوجوه.

وأما حقوق الامتيازات، المعبر عنها «بالكابيتولاسيون»، فلا يوجد شىء منها بين الحكومات الإسلامية قاطبة. هذا ما تقضى به الشريعة الإسلامية على اختلاف مذاهبها، لا جنسية فى الإسلام، ولا امتياز فى الحقوق بين مسلم ومسلم، والبلد الذى يقيم فيه المسلم من بلاد المسلمين هو بلده، ولأحكامه عليه السلطان دون أحكام غيره. والله أعلم»[٤].

ففى دار الإسلام تتمايز الألسنة والقوميات

والأوطان والأقاليم وفروع الأحكام... ويظل الإسلام الانتماء الأول والأكبر والأساسى بالنسبة لأمة الإسلام.

ثم جاء الإمام حسن البنا فصاغ قضية الانتماء على النحو الذى لا زيادة بعده لمستزيد... ومما قاله فيها:

«إن الإخوان المسلمين يحبون وطنهم، ويحرصون على وحدته، ولا يجدون غضاضة على أى إنسان أن يخلص لبلده، وأن يفنى فى سبيل قومه، وأن يتمنى لوطنه كل مجد وفخار.. وأن يقدم فى ذلك الأقرب فالأقرب رحمًا وجوارًا.. إننا مع دعاة الوطنية، بل مع غلاتهم فى كل معانيها الصالحة التى تعود بالخير على البلاد والعباد.. فالوطنية لم تخرج عن أنها جزء من تعاليم الإسلام. أما وجه الخلاف بيننا وبينهم فهو أننا نعتبر حدود الوطنية بالعقيدة، وهم يعتبرونها بالتخوم الأرضية والحدود الجغرافية..

ثم إن هذا الإسلام الحنيف نشأ عربيًا، ووصل إلى الأمم عن طريق العرب، وجاء كتابه الكريم بلسان عربى مبين، وتوحدت الأمم باسمه على هذا اللسان يوم كان المسلمون مسلمين، وقد جاء فى الأثر: إذا زال العرب ذل الإسلام. وقد تحقق هذا المعنى حين زال سلطان العرب السياسى، وانتقل الأمر من أيديهم إلى غيرهم من الأعاجم والديلم ومن إليهم، فالعرب هم عصبة الإسلام وحراسه... والعروبة هى كما عرّفها النبى ﷺ، فيما يرويه ابن كثير عن معاذ بن جبل، رضى الله عنه: **«ألا إن العربية اللسان، ألا إن العربية اللسان»**.

ومن هنا كانت وحدة العرب أمرًا لا بد منه لإعادة مجد الإسلام وإقامة دولته وإعزاز سلطانه، ومن هنا وجب على كل مسلم أن يعمل لإحياء الوحدة العربية وتأييدها ومناصرتها..

ثم إن الإسلام، كما هو عقيدة وعبادة، هو وطن وجنسية.. قضى على الفوارق النسبية بين الناس... فهو لا يعترف بالحدود الجغرافية. لا يعتبر الفوارق الجنسية الدموية، ويعتبر المسلمين جميعًا أمة واحدة، ويعتبر الوطن الإسلامى وطنًا واحدًا مهما تباعدت أقطاره وتناءت حدوده..

فالقومية الخاصة هى الأساس الأول للنهوض المنشود.. والوحدة العربية هى الحلقة الثانية فى النهوض.. والجامعة الإسلامية هى النسيج الكامل للوطن الإسلامى العام... ثم إننا نريد الخير للعالم كله.. فلا تعارض بين هذه الوحدات بهذا الاعتبار، فكل منها تشد أزر الأخرى وتحقق الغاية منها»[٥].

ذلك منهاج الفطرة الإسلامية - الذى هو منهاج الفطرة الإنسانية السليمة - **﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾** سورة الروم: الآية ٣٠.. تعددية، وتكامل فى دوائر الانتماء..

الهوامش:

١- رواه ابن كثير عن معاذ بن جبل (تهذيب تاريخ ابن عساكر) جـ٢ ص ١٩٨. طبعة دمشق.

٢- رواه أبو داود.

٣- وفى البخارى ومسلم والترمذى والنسائى وابن ماجة والإمام أحمد: «ليس منا من دعا بدعوى الجاهلية».

٤- تاريخ هذه الفتوى ٩ رمضان سنة ١٣٢٢هـ ١٧ نوفمبر سنة ١٩٠٤م. انظرها فى (الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده) جـ٢ ص ٥٠٥ - ٥٠٨. دراسة وتحقيق: د. محمد عمارة. طبعة القاهرة سنة ١٩٩٣م.

٥- مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا - رسالة المؤتمر الخامس - ورسالة: دعوتنا - ص ١٧٦، ١٧٨، ١٩ طبعة دار الشهاب القاهرة.

الدفاع عن الحقوق والحريات الدينية

حلول مقترحة (٢)

د. بكر زكى إبراهيم عوض

إن الإسلام دعوة عالمية توافرت البراهين النقلية والعقلية على عالميته، ومما يكسبه ذلك قبوله الآخر ضمنًا، مع الإضافة إلى معتقده عنصر تصحيح المعتقد ومحو ما ران عليه عبر الزمان والمكان والأفكار.

إن من يدين بهذا الدين مطالب بالإيمان بموسى وداود وعيسى وسائر أنبياء بنى إسرائيل الذين توفر العلم بهم عندنا فى القرآن كإيمانه بمحمد على قدم سواء، فلا تفرقة فى أصل الإيمان بهم أو تفاوت، وأما التفاضل فمقبول، كما أن إيمانه بالتوراة والزبور والإنجيل لا يقل عن إيمانه بالقرآن وما كلف به من عقيدة وشريعة وأخلاق يضاف إليها الإيمان باليوم الآخر عند من لا يؤمن به، وكذلك القضاء والقدر.

وفى نفس الوقت يصحح الاعتقاد بحق الإيمان بالله والملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر. وبهذا يعد الإسلام إضافة إلى معتقد الآخر.

وأما منع الإسلام معتنقيه من تركه إلى معتقد آخر فمرده إلى الآتى :

أولاً : التارك للإسلام أو الراغب فى تركه إما أن يتركه إلى لا دين أو يتركه لدين آخر.

والترك إلى لا دين أى المادية أو الدهرية أو الإلحاد من الأمور المرفوضة عند ذوى العقائد أجمع، فليس الإسلام بدعًا فى هذا الأمر.

وأما الترك إلى دين، فإما أن يكون الترك إلى دين وضعى أو دين سماوى.

والترك إلى دين وضعى خروج عن دائرة الفطرة ورد على الله حقه، وحرص الإسلام على المنع هو من باب منع الابن أو الأخ أو القريب من الانتحار؛ لأن أساس الراحة النفسية حال الاعتقاد أن تجد كلامًا لمن تؤمن به يرسم لها السبيل لاتباعه وتشعر حال المناجاة أنه يخاطبها وعند الشدائد تجد كلامه معها ﴿وبشر الصابرين﴾ (سورة البقرة الآية ١٥٥). ﴿ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين﴾ (سورة محمد الآية ٣١). ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ﴾(سورة العنكبوت الآية٢). ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلاَ إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ (سورة البقرة الآية ٢١٤).

وهناك الكثير من الآيات التى هى لسان حال الإسلام تخاطب متبعيه عند السراء والضراء وعند الفرج والشدة، كما ترسم له السبيل لتصور عقدى صحيح.

لهذا كان المنع من ترك الإسلام إلى دين وضعى أو وثنى لا يعرف له مؤسس ولا يردّ المعبود فيه على عابده، وأتباعه حيرى فى عبادتهم لا يعرفون الذى يغضبه من الذى يرضيه، فكان الشقاء بهذا الاعتقاد

أكثر من النعيم، وكان الألم أكبر من الأمل، ولهذا كان تحريك العقل بحق هذه الآلهة المزعومة ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ • أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ﴾ (سورة الشعراء: الآيتان ٧٢ ، ٧٣)، ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ (سورة الأعراف: الآية ١٩٥)، ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ (سورة الحج : الآية ٧٣).

وأما الخروج إلى ديانات سماوية أو كتابية، فهو خروج من الكل إلى الجزء، فاليهودية لا تؤمن بنبوة عيسى أو محمد، والنصرانية لا تؤمن بنبوة محمد، فكأن التارك للإسلام قد عدل عن الكثير إلى القليل وعن الكمال إلى النقصان.

إن الثواب والعقاب إن توقفا على الإيمان بموسى - عليه السلام - فالمسلم مؤمن به وبهذا يكون من الناجين، وإن توقف على الإيمان بموسى وعيسى، فالمسلم فى عداد الناجين، وعلى اليهودى أن يسأل نفسه ماذا يفعل؟، وإن توقف على الإيمان بنبوة موسى وعيسى ومحمد، فهو فى عداد الناجين، وعلى من اقتصر على الإيمان بموسى أو الإيمان بموسى وعيسى أن يسأل نفسه : أين أنا؟

أسباب منع الردة عن الإسلام وترتيب العقوبة عليها:

السبب الأول : منع الاستهزاء بالدين والاستخفاف به، فقد اتفقت طوائف معينة على أن تعلن إسلامها أول النهار وأن تكفر آخره، وكان الهدف من هذا هو تشكيك المسلمين فى هذا الدين وهذه الدعوة. قال تعالى حاكيًا حالهم وواصفًا أمرهم : ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (سورة آل عمران : الآية ٢٧).

وقد سئل بعض هؤلاء عن سبب إسلامهم وسبب ردتهم، فقالوا : عرضنا ما سمعناه من محمد على ما عندنا فوجدناه يخالفه، إذن الغاية هى التشكيك فى الداعى والتشكيك فى الدعوة وإحداث بلبلة فى الرأى العام، وبخاصة أن الذين سلكوا هذا المسلك، كانوا من أهل الكتاب، وكان لهم اعتبار دينى قبل ظهور الإسلام، فكان الحكم بقتل من يفعل ذلك حتى لا يتخذ الدين هزوًا يستخف به. وفى الحديث: **«من بدل دينه فاقتلوه»**[(١)]، وفى حديث آخر : **«لا يحل دم امرىء مسلم إلا بإحدى ثلاث : كفر بعد إيمان، وزنى بعد إحصان، وقتل نفس بغير حق»**[(٢)].

السبب الثانى : أن لكل دولة قانون سيادة، ينزل عليه المقيم فيها سواء أرضى عن هذه القوانين أم لم يرض، وقانون السيادة عندنا فى الإسلام، أن الخروج عن الإسلام محرم، ومن يقدم على ذلك يتحمل تبعة قراره.

السبب الثالث : فى المنع حجب لكل صور الفتنة فى الدين، فلم يحدث أن كانت الردة ناتج قناعة بالمعتقدات الأخرى، بقدر ما كانت ناتج شراء بالمال أو تضليل فى الأفكار، أو إشباع للتقاليد الجاهلية، كعمر الفزارى وغيره، والذى تبين له أن الإسلام يسوى بين سائر معتنقيه بلا استثناء، فأبى قبول ذلك وارتد عن الإسلام، وقد أحسن خصوم الإسلام توظيف الحدث.

السبب الرابع : أن المجاهرة بالردة هى دعوة مضادة لدعوة الإسلام يستتاب صاحبها وتصحح له الصورة، ويستبقى أيامًا عدة لإزالة الشبهة، فإن قبل فبها ونعمت، وإن لم يقبل فمثله كمثل العضو الذى لا سلامة للجسد إلا ببتره.

فإما أن يبتر طلبًا لسلامة الجسد، وإما أن يبقى ليكون الهلاك للجسد أجمع.

السبب الخامس : إن قتل المرتد ليس بدعًا من القول فى الإسلام، فأكثر العقائد على هذا الحال، واليهودية قد أوجبت قتل المرتد وإبادة القرى المرتدة جمعاء، ومما ورد فى سفر التثنية: «وإذا أغواك سرًّا أخوك ابن أمك أو ابنك أو ابنتك أو امرأة أو صاحبك الذى مثل نفسك قائلاً تذهب ونعبد آلهة أخرى لم تعرفها أنت ولا آباؤك من آلهة الشعوب الذين حولك القريبين منك أو البعيدين عنك من أقصاء الأرض إلى أقصائها فلا ترضى منه ولا تسمع له ولا تشفق عينك عليه ولا ترق له ولا تستره» (تثنية ١٣/٦ - ٩). وعقوبة فاعل ذلك كما ورد: «بل قتلا تقتله. يدك تكون عليه أولاً لقتله. ثم أيدى جميع الشعب أخيرًا. ترجمه بالحجارة حتى يموت لأنه التمس أن يطوحك عن الرب إلهك الذى أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية، فيسمع جميع إسرائيل ويخافون ولا يعودون يعملون مثل هذا الأمر الشرير فى وسطك» (تثنية ١٣/٩ - ١١).

وفى سفر التثنية ورد: «إذا قام فى وسطك نبى أو حالم وأعطاك آية أو أعجوبة ولو حدثت الآية أو الأعجوبة التى كلمك عنها قائلاً : لتذهب وراء آلهة أخرى لم تعرفها وتعبدها فلا تسمع لكلام ذلك النبى أو الحالم ذلك الحلم؛ لأن الرب إلهكم يمتحنكم لكى يعلم هل تحبون الرب إلهكم من كل قلوبكم ومن كل أنفسكم، ووراء الرب إلهكم تسيرون. وإياه تتقون. ووصاياه تحفظون، وصوته تسمعون، وإياه تعبدون. وبه تلتصقون. وذلك النبى أو الحالم ذلك الحلم يقتل لأنه تكلم بالزيغ من وراء الرب إلهكم الذى أخرجكم من أرض مصر وفداكم من

الخروج عن الإسلام انتهاك لقانونه السيادى ومن يقدم على ذلك يتحمل تبعة قراره

بيت العبودية لكى يطوحكم عن الطريق التى أمركم الرب إلهكم أن تسلكوا فيها فتنزعون الشر من بينكم» (تثنية ١/٥ - ١٣) وبهذا يقتل كل من :

- النبى الكاذب.
- المشتغل بالإغواء والتضليل.
- كل سكان المدن الوثنيين.

وقد وصى الأنبياء التابعون لموسى - عليه السلام - أتباعهم برعاية التوحيد والقيام به وعدم العدول عنه إلى غيره، وبخاصة معتقدات الأمم المجاورة لهم من الوثنيين، ومن وصايا يشوع لقومه: «فتشددوا جدًّا لتحفظوا وتعملوا كل المكتوب فى سفر شريعة موسى حتى لا تحيدوا عنها يمينًا أو شمالاً، حتى لا تدخلوا إلى هؤلاء الشعوب أولئك الباقين معكم، ولا تذكروا اسم آلهتكم ولا تحلفوا بها ولا تعبدوها ولا تسجدوا لها ولكن الصقوا بالرب إلهكم كما فعلتم إلى هذا اليوم. قد طرد الرب من أمامكم شعوبًا عظيمة وقوية، وأما أنتم فلم يقف أحد قدامكم إلى هذا اليوم» (يشوع ٢٣/٦ - ١١).

«وإذا تركتم الرب وعبدتم آلهة غريبة يرجع فيسيئ إليكم ويفنيكم بعد أن أحسن إليكم.... فالآن انزعوا الآلهة الغريبة من وسطكم وأميلوا قلوبكم إلى الرب إله إسرائيل» (يشوع ٢٤/٢٠).

السبب السادس : أن الإسلام دين ودولة، والمعتقد له يعرف من أسرار المسلمين ما يخشى

نشره، كما أنه قد يصل إلى درجة ما يكون بخروجه عن الإسلام بعد ذلك قد صار معول هدم. فكان المنع من الردة.

السبب السابع : أن الإسلام لا يتعطش إلى الدماء ولا يتعجل إراقتها، ولهذا أسقط حد الردة عن:

١ - من أقلع عن الردة بعد الوقوع فيها، وفى السنة وعمل الصحابة ما يدل على هذا، وعليه إجماع الفقهاء، ويكتفى فى هذا بالنطق بالشهادتين.

٢ - إذا كانت الردة ناتج الإكراه، قال تعالى : **﴿إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان﴾** (سورة النحل: الآية ١٠٦)، وفى الحديث لعمار بن ياسر : **«إن عادوا فعد»** (البيهقى ٢٠٩/٨)، والمستدرك ٣٥٧/٢).

أى إن أكرهك المشركون على النطق بالكفر فانطق حتى ترفع الأذى عن نفسك، وفيه نزلت الآية: **﴿إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان﴾**، وأما من استمرأ ذلك ودأب عليه فهو محل المساءلة، قال تعالى: **﴿ولقد أُوحىَ إليكَ وإلى الذين من قَبلكَ لئن أشركتَ لَيَحبطَنَّ عَملُكَ﴾** (سورة الزمر الآية : ٦) وقال تعالى : **﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾** (سورة البقرة الآية : ٢١٧)، فثبتت العقوبة الأخروية بالنص القرآنى والعقوبة الدنيوية بالحديث النبوى الصحيح، فضلاً عن عمل الصحابة.

٣ - بطلان شهادة الشهود سواء تبين كذبهم أو كذب بعضهم بما أسقط معه الشهادة.

حفظ الدين عن طريق حد الردة قصد به فى الأصل الدخلاء على العقيدة الذين حاولوا هدم الدين وتشكيك المسلمين

أثر حد الردة فى حفظ الدين واستقرار المجتمع:

إن عقوبة الردة غايتها حفظ الدين، ولسنا فى حاجة إلى بيان أن المجتمع الإسلامى يقوم على أساس الدين، فذلك أمر لاشك فيه، ولذا كان هدم الدين فى المجتمع هو هدم للمجتمع كله، وهذا ما حاوله المخالفون للإسلام، فإنهم عندما حاولوا هدم الجماعة المسلمة، حاولوا ذلك عن طريق تشكيكهم فى الدين، وهذا ما قرره القرآن فى قول الحق سبحانه : **﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾** (سورة آل عمران الآية : ٧٢).

فحفظ الدين عن طريق حد الردة كان مقصوداً به فى الأصل هؤلاء الدخلاء على العقيدة الذين حاولوا هدم الدين والتشكيك للمسلمين (النظام العقابى فى الإسلام ٢٩٣). وبجانب ذلك فإن حفظ الدين هو حفظ للمجتمع كله؛ إذ إن الشريعة الإسلامية بكل ما اشتملت عليه من الأحكام التكليفية، إنما هى أثر من آثار العقيدة، كلما قويت العقيدة تأكد هذا الجانب التشريعى فى التطبيق الواقعى، ولهذا فإن تأكيد حفظ الدين عن طريق حد الردة هو فى الحقيقة حفظ للمجتمع الإسلامى ككل وليس حفظاً للجانب العقائدى فقط.

والإسلام بتشريعاته هذه إنما يشرع لدولته الإسلامية، والدول غير الإسلامية تضع عقوبة

للخائنين أقسى من عقوبة المرتد، فقد يكون التعذيب لدرجة الموت صبرًا، وقد تكون المثلة، وقد تقطع الأوصال من شدة التعذيب بما يتمنى الفرد معه أن تكون النهاية العاجلة فضلاً عن الألم الدائم المستمر الذى لا يعلم متى ينتهى.

إننا فى هذا الزمان نرى القتل لتوقع الخطر، ونرى تدمير أمم وهدم بلدان تحسبًا لخطر متوقع، والردة إن تمت خطر واقع؛ ومع هذا فالإنساء والاستتابة قبل العقوبة مطلوبان، ولا يؤخذ بهذا الخطر إلا فاعله، ومن كتمه ما كان لنا أن ننبش عما فى صدره ومرده إلى ربه.

الحلول المقترحة لبيان منهج الإسلام فى كفالة الحرية الدينية:

أولاً : جعل الإقناع هو الوسيلة للاختيار العقدى، وتنزيه العقائد عن البيع والشراء وتحريم وتجريم استغلال الفقر والعوز والحاجة، وعدم ضم اللقطاء واليتامى والمشردين فى الحروب إلى هذه العقيدة أو تلك على أساس من الحاجة.

ثانيًا : تحرير جميع المنظمات الإنسانية من استغلال الحادث الواقع أو المتوقع لشراء الذمم وتغيير العقائد وعدم ربط العمل الإنسانى بالنزعة الدينية.

ثالثًا : مطالبة الآخر بكفالة نفس الحقوق للمسلمين التى كفلها الإسلام لغير المسلمين، فماذا عن دور العبادة الإسلامية وأحقيتها فى الصيانة والعمارة، وعدم هدمها على رءوس من فيها فى كثير من الأحيان.

هل يأذن الذين خربوا المساجد بعمارتها والذين حولوها إلى مسارح بعودتها والذين جعلوها مزارات سياحية أن تعود ثانية كدور عبادة.

رابعًا : تحرير التراث مما علق به من شوائب تزدرى بالآخر أو تجرمه، فضلاً عن كون ذلك لونًا من الاعتقاد.

خامسًا : إشاعة ثقافة التغاير للتقدم، والاختلاف للنهوض والترقى، وليس التغاير للحرب ولا الاختلاف للحرب، ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾ (سورة الحجرات الآية : ١٣).

سادسًا : الكف عن تشويه صورة الآخر عقديّا واحترام الكتب والرسل والدعوة إلى القاسم المشترك بين ذوى العقائد.

سابعًا : تصحيح المفاهيم لدى القائمين على أمر الدعوة على اختلاف معتقدهم، مع دعوتهم إلى الحرص على تصحيح مفهوم الاعتقاد، وحرصهم على نشر روح التسامح.

ثامنًا : التفرقة بين الدراسات النقدية والازدراء بالأديان، فليس بالإمكان أن تتوقف الدراسات النقدية وليتها تتحلى بالموضوعية والتجرد، وإنما الازدراء فى السب والطعن المباشر ونشر ذلك على الملأ، واعتبار ذلك لونًا من الحرية فى التعبير عن الرأى دون اعتبار لمشاعر الآخرين.

تاسعًا : علينا ألا ننظر فى تراث الآخر بحثًا عن وسائل لتشويهه، وإنما نحسن الحسن ونقبح القبيح، وهذا منهج القرآن والسنة، دون أن يكون التشويه هو الغاية ونحن نبحث له عن وسائل.

الهوامش :

(١) البخارى رقم ٦٤١١ ، ٢٧٩٤ .

(٢) البخارى ٦/١، ومسلم ك القسامة، وأبو داود، ك الحدود.

الثقافة الإسلامية والحضارة

د. أحمد عبد الرحيم السايح

إن كلمة «الحضارة» كلمة لها شأنها واعتبارها ودلائلها.

وللوصول إلى معرفة ما بينها وبين الثقافة من وشائج القربى والاتصال، يجدر بنا أن نعرض لمعنى الحضارة لغة واصطلاحا فإن معرفة ذلك يجعلنا على وعى تام بما بين الثقافة والحضارة من روابط.

والحضارة فى اللغة: ضد البداوة، وقد تطلق على العاصمة من كل بلد، والحضارة ـ بكسر الحاء وبفتحها ـ : الإقامة فى الحضر.

والمفهوم الأصيل لكلمة "الحضارة" فى اللغة العربية: أنها تعنى حياة الحضر، والإقامة الثابتة فى المدن والقرى، وعكسها البداوة، وهى: حياة التنقل فى البادية. ولقد عرف العرب الفارق بين حياة البادية، وحياة الحضر منذ كانت بادية، ومنذ كان حضر.

ولقد كان المفكر والمؤرخ الاجتماعى "عبد الرحمن بن خلدون" صاحب سبق علمى فى البحث عن الحضارة وتعريفها، تبعا لمدركات عصره وبيئته.

لقد أبان أنها : "ذلك النمط من الحياة المستقرة الذى يناقض البداوة فينشىء القرى والأمصار، ويضفى على حياة أصحابه فنونا منتظمة من العيش، والعمل، والاجتماع، والعمل، والصناعة، وإدارة شئون الحياة والحكم.

وقد عبر عنها ببراعة فى كلمتين صغيرتين، يمكن اعتبارهما أكثر تعاريف الحضارة قصرا واختصارا مع دلالة واضحة. قال: «الحضارة غاية العمران».

والحضارة عند ابن خلدون: طور طبيعى، أو جيل من أجيال طبيعية فى حياة المجتمعات المختلفة وهكذا البداوة، ولكن البداوة أقدم. «والبداوة أصل الحضارة والحضارة غاية البداوة.

ولا بأس أن نذكر عبارات جاءت فى الموضوع عن ابن خلدون.

يقول: «إن الحضارة هى أحوال عادية زائدة على الضرورى من أحوال العمران زيادة تتفاوت بتفاوت الرفه، وتفاوت الأمم فى القلة والكثرة تفاوتا غير منحصر، وتقع فيها عند كثرة التفنن فى أنواعها وأصنافها فتكون بمنزلة الصنائع، ويحتاج كل صنف منها إلى القومة عليه والمهرة فيه».

على أنه إذا كان ابن خلدون قد بلور مفهوم الحضارة عند العرب. على أنها ذلك النمط من الحياة المستقرة، والذى يناقض البداوة، فتنشىء القرى والأمصار.

وإذا كان ابن خلدون قد بلور هذا المعنى التاريخى، وعد الحضارة غاية العمران، فإن مفهوم الحضارة فى عصرنا قد أمتد إلى ألوان من المعنى هى أبعد وأوسع مما رآه ابن خلدون فى عصره، وفى بيئته العربية، فى انتقالها الاجتماعى والسياسى والثقافى والمدنى من البادية إلى الحضر.

وبعض العلماء: يعرف الحضارة بأنها: "مظاهر الرقى العلمى والفنى والأدبى والاجتماعى فى الحضر".

وهناك من يقول: "إن الحضارة هى الحصيلة الشاملة للمدنية وللثقافة فهى مجموع الحياة فى صورها وأنماطها المادية والمعنوية".

ولهذا كانت الحضارة هى الخطة العريضة - كما وكيفا - التى يسير فيها تاريخ كل أمة من الأمم، ومنها الحضارات القديمة والحضارات الحديثة والمعاصرة ومنها الأطوار الحضارية الكبرى التى تصور انتقال الإنسان أو الجماعات من مرحلة إلى مرحلة.

والحضارة باختصار شديد هى: "جملة المظاهر المعنوية التى يخلفها التاريخ والتى تبقى فى المجتمع على مر الأيام دليلا على القدرات الذهنية المميزة وتعبيرا عن روح هذا المجتمع، والشعب الذى يمثله.

ولاشك أن المظاهر المعنوية تأخذ قوالب مادية مختلفة، تتجسم فيها تلك المعنويات وتشكل المظاهر المعنوية فى صور مختلفة كالفنون والآداب، والعلوم والمعارف، ومجموع ما ينتج عن ذلك كله من تسجيلات ومشاهد فى الآثار والعمائر وأسلوب الحياة، وآداب المعاش اليومى، وتقاليد المجتمع فى التقارب والتفاهم والتعايش.

الحضارة الإسلامية ليست نتاج تقاليد متوارثة وإنما هى انبعاث ذاتى مباشر من القرآن الكريم والسُّنة المطهرة

وإذا كان هناك من يعرف الحضارة بأنها: "الحصيلة الشاملة للمدنية وللثقافة" كان علينا أن نجلى هذه الحصيلة التى تجعل الثقافة أصلا فيها.

ويذكر بعض العلماء: أن المدنية هى الوسائل، والأدوات المادية التى يستعين بها الإنسان على تحقيق حضارته. وهى العديد من الأشياء والأدوات المادية التى تعين الإنسان على التقدم فى مضمار الحضارة.

وإذا كانت الحضارة هى الإبداع فى مجالات الفنون، والمعارف، والعلوم المدنية، فالمدنية هى السبيل إلى تذليل الصعاب الحضارية والأدوات المادية التى تبلغ بها الحضارة مستوى الإبداع والتقدم.

وكلما سيطرت الحضارة على وسائلها المادية أمكنها أن تحقق ألوانا من الفن والإبداع الذى تسجله الحضارة فى جملة مظاهرها المعنوية.

وقد تؤدى الماديات المختلفة إلى رفع مستوى التقدم الحضارى، وقد تؤدى إلى تخلفه وانحداره. والذكاء الإنسانى فى مجال استخدام الماديات هو:

الحكم فى توجيه الماديات. فإما أن يسير بها سيرا حثيثا نحو الإبداع والتألق والتقدم. أو أن يهبط بها إلى مجال العبث والفساد والتدهور، وإما أن تسيطر القيم الروحية

العالية على هذا الذكاء، فتحدد مساره بأهداف إنسانية عالية.

وأكثر الباحثين - ولاسيما العرب - يخصص مدلول الثقافة لمظاهر الرقى فى الجوانب الروحية والأدبية من دين، وأخلاق، وفلسفة، وفنون، ولغة، ومدلول المدنية لمظاهر الرقى فى الجوانب المادية من: علوم طبيعية، واختراع واكتشاف، مما يتصل بتنظيم مرافق الحياة وهكذا تتكون الحضارة من الثقافة والمدنية معا.

ويذكر أحد رجال الفكر: "وكذلك الأمر عندنا بصفة عامة فنحن حين نتحدث عن الثقافة الإسلامية، نقصد بها فى الغالب: تراثنا الروحى والتاريخى والفلسفى واللغوى والأدبى والفنى. وحين نتحدث عن الحضارة، أو المدنية الإسلامية، لا نقصد بها مجرد تاريخ العالم الإسلامى، وإن كان التاريخ إطار الحضارة ووعاءها، ولا نقصد الثقافة وحدها، وإن كانت هى العنصر الجوهرى فى الحضارة، ولا نقصد مجرد النظم والنظريات العلمية والمخترعات وإن كانت من مظاهر الحضارة المهمة.

ولكن نقصد من كل ذلك: مجتمعا متكاملا مؤلفا من شخصية متميزة بين الحضارات الكبرى للإنسانية".

فأنت ترى من كل هذا: أن الثقافة جزء أصيل من مكونات الحضارة الإنسانية، ولا توجد حضارة فى الأرض تقوم بدون ثقافة، ويمكن أن نقول: إن كل حضارة فى التاريخ عبرت عن نفسها من خلال ثقافة معينة، ونستطيع فى هذه الحالة أن نطلق لفظ «المدنية» على الآلية الصماء. أو على مظاهر التقدم التقنى والآلى فحسب، فيكون الربط فى نهاية المطاف - وباختصار شديد - بين الثقافة والحضارة من جهة، وبين العلم التجريبى والمدنية من وجه آخر.

والأصل فى جميع ذلك هو: الثقافة التى تصوغ الإنسان بوصفه العنصر الفاعل فى جميع مظاهر التقدم على كل حال.

ولعل هذا هو ما قصد إليه الأستاذ المفكر «مالك بن نبى» رحمه الله حين قال: "إن كل تفكير فى مشكلة الإنسان هو تفكير فى مشكلة الحضارة، وإن كل تفكير فى مشكلة الحضارة هو فى جوهره تفكير فى مشكلة الثقافة".

"وبذلك تكون الحضارة فى جوهرها عبارة عن: مجموعة من القيم الثقافية المحققة، ويكون مصير الإنسان رهنا بثقافته".

ويمكن أن يقال: "إن بعض العلماء يفرق بين الثقافة والحضارة على أساس أن الثقافة ذات طابع فردى، وتنصب أساسا على الجوانب الروحية، فى حين أن الحضارة ذات طابع اجتماعى ومادى.

بينما يكاد الاستعمال المعاصر يسوى بين المصطلحين، بحيث تكون الحضارة مساوية للثقافة فى المفهوم.

وحجة المعاصرين فى التسوية، هى:

أن التفريق بين المصطلحين يصطدم بالواقع الملموس لأن الحضارة المادية لا تنفصل عن الجانب المعنوى الذى يمثل التراث العلمى بقسميه: النظرى والعملى. وبعض الباحثين يرى أنه لا يوجد أدنى فرق أو تعارض بين الثقافة والحضارة والمدنية. وجميعها مظاهر للرقى

الإنسانى، وكل ما يغذى رقى الحياة من روافد هو ثقافة وحضارة ومدنية،والخلاف بين الحضارة والثقافة هو خلاف فى الدرجة، لا فى النوع.

وخلاصة القول: إن هناك عدة اتجاهات لتحديد الصلة بين مفهومى الثقافة والحضارة، يمكن حصرها على الوجه التالى:

١- اتجاه يرى أن الحضارة تشمل الثقافة والمدنية، الثقافة تمثل الجانب العقلى والروحى والفكرى، والمدنية تمثل الجانب المادى، فالحضارة بناء على هذا الاتجاه أعم من الثقافة والمدنية.

٢- اتجاه يرى أن الفرق بين الثقافة والحضارة هو فرق فى الدرجة لا فى النوع.

٣- اتجاه يسوى بين الثقافة والحضارة فى المفهوم، ويرادف بينهما من جانب، وبين العلم والمدنية من جانب آخر.

٤- اتجاه يقصر الثقافة على الجانب العقلى والفكرى والروحى، ويقصر الحضارة على المظاهر المادية والاجتماعية.

ولكل اتجاه ما يؤيده من المرجحات، ونحن نرى أن الحضارة تشمل الثقافة والمدنية.

وتقوم الثقافة فى التصور الإسلامى على قاعدة أساس: هى: إفراد الله سبحانه وتعالى بالعبودية، ومن ثم إفراده بالحاكمية.

وإفراد الله بالعبودية يتمثل فى اتخاذ الله وحده إلها، وإفراده سبحانه بالحاكمية يعنى: تحكيم شريعة الله فى كل مجالات الحياة.

وانطلاقا من هذه القاعدة: فإن الثقافة الإسلامية فى التصور الإسلامى ذات شقين:

الشق الأول: الشق المعيارى، ويتمثل فى شريعة الله، أى: كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ.

الشق الثانى: الشق التطبيقى، ويتمثل فى التطبيق العملى الواقعى الصحيح للشق المعيارى.

وعندما يكون الجانب التطبيقى فى الثقافة الإسلامية ترجمة عملية، وواقعية صحيحة للجانب المعيارى فيها، مع استخدام كل معطيات الإنسان والزمان والمكان، تكون الحضارة.

إذن: فالحضارة هى: عمارة الأرض، وترقية الحياة على ظهرها: إنسانيا وخلقيا، وعلميا، وأدبيا، وفنيا، واجتماعيا وفق منهج الله وشريعته.

وبناء على هذا المفهوم: فإن المجتمع الإسلامى - وهو المجتمع الذى يطبق قيم الفضائل فى كل جوانب الحياة - هو وحده المجتمع المتحضر.

ومن أبرز سمات الحضارة فى التصور الإسلامى: هى كما يقول الأستاذ محمد أسد: "ذاتية الحضارة الإسلامية".

فالحضارة الإسلامية ليست ثمرة تقاليد متوارثة، ولا نتيجة تطورات وتيارات فكرية آتية من الماضى، وإنما هى انبعاث ذاتى مباشر من القرآن الكريم، ومن سنة الرسول عليه الصلاة والسلام ومن تطبيقها تطبيقا عمليا صحيحا فى واقع الحياة.

والخلاصة: أن الثقافة والحضارة فى التصور الإسلامى مرتبطتان ارتباطا عضويا.

فعندما يكون الجانب العملى للثقافة تطبيقًا واقعيًا وعمليًا صحيحًا للجانب المعيارى فيها، مع استخدام كل معطيات الإنسان. تكون الحضارة.

المواطنة... والعدالة الاجتماعية (١)

بدوى طه

ستظل الوحدة الوطنية حصنًا للوطن، تحميه من الفتن، وتحفظه من التشرذم والوهن.

ولقد نصت المادة الأولى من الدستور المصرى على تعزيز مبدأ المواطنة؛ نظرًا لأهميتها فى حفظ المجتمع وتماسكه وتقدمه، وقبل إقرار الدستور المصرى بأكثر من ألف عام دعا الإسلام إلى احترام الآخر والاعتراف بهويته، والتقارب معه وحواره وقبوله، وذلك ليقينه بأن هذه المبادئ تسهم فى تطوير ثقافة المجتمع وترسيخ المواطنة فى وجدانه.

وفيما يلى توضيح لمعنى المواطنة والعدالة الاجتماعية والسلام الاجتماعى وحقوق الإنسان فى الإسلام وغيرها من القضايا التى تهدف إلى تثقيف الشباب بتلك الأمور المهمة.

تعريف السلام الاجتماعى

السلام الاجتماعى يتطلب حل المسألة الاجتماعية على صورة تُمحى معها المظالم ويُشاد - يُبنى - على أنقاضها صرح العدل الاجتماعى، فلا تكون سعادة طائفة منتزعة من شقاء الآخرين، ولا يكون الرخاء المادى لقوم مشتقًا من بؤس أقوام، ولا يكون جماعة وكأنهم ولدوا للنعيم، وجماعات وكأنهم ولدوا للعذاب، وقلة وكأن أفرادها قد قُضى لهم بأن يكونوا سادة، وكثرة قضى عليهم بأن يظلوا عبيدا، بل تكفل الدولة لكل فرد حدًا أدنى للمعيشة، وتضمن تكافؤ الفرص لجميع المستظلين برايتها(١).

والسلام الاجتماعى إذن يعنى أن تكون الجبهة الداخلية قوية، وحدة واحدة، متماسكة، صامدة فى مواجهة أى تيارات أو فتنة بما تشكل حصانة للمجتمع، توقظ همته وتحفزه على العمل والإنتاج والتنافس العلمى والمعرفى النافع، وكذلك التحصين الحقيقى للنشء، وغرس الانتماء فى نفوس الشباب الذى يعود خيره على المجتمع كله ويحميه من التطرف والإرهاب، ويحفظ وحدته. وهذا يتطلب تضافر الجهود فى المجتمع كله بوسائل الإعلام المرئية

والمسموعة والمقروءة والمدرسة والجامعة والمسجد والكنيسة ومراكز الشباب والنوادى ووزارة الثقافة، والأحزاب والجمعيات الأهلية، كل فى مجاله يركز على تأصيل الانتماء لكل أبناء الوطن وغرس روح المحبة والتعاون والإخاء وكل معانى المواطنة فى نفوس الشباب والطلبة، وغرس روح الوحدة والتماسك بين أبناء الشعب كله بمختلف انتماءاته بما يحقق الخير والسلام والأمن والأمان والرخاء ويحصّن المجتمع ويحفظه.

الإسلام يحمى دماء وكرامة وأموال وممتلكات جميع أبناء الوطن لأنهم شركاء فى المواطنة

التضامن الاجتماعى

الفرد للمجموع والمجموع للفرد، عبارة طبقت فى الماضى وتطبق فى الحاضر، والشرائع السماوية تدعو إليها؛ إذ تدعو الإنسان لأن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، وتهديه إلى أن المجتمع الإنسانى كالجسم إذا شكا منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى، وأن الإنسان للإنسان كالبنيان يشد بعضه بعضا.

والأخلاق تفيض بالتحدث عن مزايا التضامن لتحقيق السلام الاجتماعى، والتضامن الاجتماعى أساس النهضة والرخاء ومبعث السلام والرقى والعدل الاجتماعى.

تأصيل الانتماء لكل أبناء الوطن.. وغرس روح المحبة والتعاون والإخاء والتماسك يحصن المجتمع ويحفظه

والفرد عليه واجبات للمجتمع، تفرض عليه التضامن فى الخير والشر والمنحة والمحنة، كما أن له حقوقا عند المجتمع، والدولة هى التى تحدد تلك الواجبات والحقوق تحديدًا صحيحًا وتحمل الفرد والمجتمع على احترامها والعمل بها لتحقيق التوازن الاجتماعى(٢).

والمجتمع المصرى بحمد الله، مجتمع يقوم على التضامن الوثيق بين الإنتاج الفكرى والإنتاج المادى دون تفرقة بين جنس أو لون أو عقيدة، وهذا هو سر الارتقاء وتعميق الانتماء للوصول إلى الرقى والتقدم بالعمل الدءوب لكل المصريين الذين ينعمون بالسلام الاجتماعى والتضامن بين الطبقات، فالشعب وحدة واحدة، ولذلك يبذل الجميع كل ما بوسعه للإصلاح والبناء للوصول بالبلد إلى أحسن الأحوال اقتصاديّا وعلميّا وثقافيّا واجتماعيّا وسياسيّا، والتقدم على كل المستويات لمسايرة التطور الإنسانى وتحقيق الرخاء.

الوحدة الوطنية

الوحدة الوطنية قضية أساسية، وتتطلب من كل المجتمع الإنسانى أن يكون وحدة واحدة.

والوحدة الوطنية قائمة وموجودة فى التراث الموجود فى التاريخ، وتاريخنا عبر سنوات طويلة جدًا ارتبط بوحدتنا الوطنية، والوحدة الوطنية فى مصر ليست مجرد خطب واجتماعات رغم أهميتها، لكنها موجودة فى طبيعة تكوينات المجتمع المصرى.

السلام الاجتماعى يعنى أن تكون الجبهة الداخلية قوية ومتماسكة فى مواجهة تيارات الفتنة

والوحدة الوطنية مهمة لأنها تعطى توعية، تصنع رنينا أو صدى مقابل الأصوات العالية التى تُسمع.. وتوضح للمجتمع المصرى حقيقة أن التطرف غير حقيقى وأنه غير قائم، وتساعد المجتمع المصرى أن يلتقى مع بعضه البعض وأن يتعاون.

فالوحدة الوطنية حقيقة من الحقائق الأساسية لنمو البنية المصرية وتقدم الإنتاج المصرى(٣).

التعاون والدفء الاجتماعى

إن الروح السائدة فى المجتمع المصرى تعبر عن سماحة الإسلام وسماحة الأديان بما تنعكس على الناس فى تعاملاتهم وعلاقة الصداقة الطيبة بين المسلمين والمسيحيين باعتبارهم شركاء فى الوطن والعمل والمدرسة والجامعة، وتجعل الناس بعيدين عن التطرف والتشدد والمغالاة، وتساعد على التعاون الصادق بين أبناء الوطن وتقوية روابط المحبة والمودة والأخوة الصادقة والخير والأمان والاطمئنان.

أيضًا من عوامل السلام الاجتماعى والتعايش السلمى اشتراك رجال الدين الإسلامى والمسيحى فى الندوات التثقيفية التى تؤكد الوحدة الوطنية وتنبذ التطرف وتحاربه وتدعو إلى مكارم الأخلاق وخدمة المجتمع وما يعود على الأمة بالخير ويعم الأمن والأمان والدفء الاجتماعى.

والأديان السماوية كلها تدعو الناس إلى إقامة علاقة فيما بينهم قوامها المحبة وحسن التعامل والتعاون والتآخى واحترام مشاعر الآخرين، وتبادل المنافع.

السلام الاجتماعى يعنى أن يكون البلد نسيجًا واحدًا، يجمعهم ترابط وطنى وأخوى وأهداف وطنية، يتزاورون، ويهنئون بعضهم بعضا فى المناسبات السعيدة، ويعزون بعضهم بعضا فى الأحزان، ويقفون بجوار بعضهم فى وقت الشدة وعند الحاجة إليهم، ويزور الصحيح المريض، وكل ذلك

لا يمكن فصل جهود الإصلاح السياسى عن الإصلاح الاقتصادى والاجتماعى

بروح المحبة والفهم الصحيح لعلاقة المسلم بغيره وكلها قيم طيبة تحث عليها كل الأديان، وهى متوافرة وموجودة فى بلدنا مصر العزيزة حماها الله.

المساواة بين المواطنين فى الحقوق والواجبات بغض النظر عن الدين أو الجنس

نسيج واحد

بمحبة وسلام ورحمة وتكافؤ واحترام متبادل يتمتع الشعب المصرى بمسلميه ومسيحييه، نسيج واحد، أبناء وطن واحد، مصريون متساوون فى الحقوق والواجبات، لا فرق بين أى منهم فى جو من التواؤم والوحدة الوطنية والسلام الاجتماعى.

والمجتمع الذى يتمتع بالحرية والديمقراطية لا يعانى فتنة طائفية، وإنما يتمتع بالوحدة الوطنية والسلام الاجتماعى والأمان النفسى وعدم التعصب ونبذ التطرف، وهذا ما يتمتع به المجتمع المصرى بفضل الله، والسياسة الحكيمة للرئيس مبارك وازدهار الديمقراطية فى عهده.

إن أمن المجتمع ليس مسئولية الأجهزة الأمنية فقط - رغم أهميتها وفاعليتها - وإنما مسئولية المجتمع كله لمواجهة التطرف الدينى بشرح صحيح الدين، والتصدى للإرهاب وخطره على المجتمع، وبهذا الحس المجتمعى يتحقق السلام الاجتماعى والأمان النفسى والتعايش السلمى بين الناس على اختلاف دياناتهم، وأن النظام السياسى والاجتماعى والاقتصادى السليم لا تزعزعه الأعاصير.

الإسلام يعترف بالأديان السابقة ويعتبر أهل الذمة جزءًا من الرعية الإسلامية

المسيحيون فى مصر ليسوا أقلية - كما يدَّعى البعض أو كما يدَّعى بعض أقباط المهجر ممن يريدون إشعال الفتنة - ولكنهم أصحاب بلد ينتمون إليه مثلهم مثل إخوانهم من المسلمين، هم جميعًا شركاء فى المواطنة، شركاء فى الحياة، يتمتعون بكل الحقوق السياسية، ومشاركون فى صنع التاريخ الوطنى دون إحساس بأى غضاضة، ولهم مواقفهم التى لا تنسى فى الدفاع عن قضايا الوطن على مر العصور والأيام منذ قديم الزمان وحتى الآن.

الهوامش :

(١) انظر : كتاب السلام الاجتماعى تأليف عبد المجيد نافع المحامى ص (٧).

(٢) انظر: كتاب السلام الاجتماعى للأستاذ عبد المجيد نافع المحامى بتصرف من ص ٣٠ - ٣٢ .

(٣) انظر: الإسلام والمسيحية فى مواجهة الإرهاب والتطرف للأستاذ أنور محمد بتصرف من ص ١٣١ - ١٣٣ .

الفتوحات الإسلامية بين الحقيقة والافتراء

د/ محمد عادل عبد العزيز

تباينت آراء الباحثين فى العصر الحديث حول حركة الفتوحات الإسلامية، فبينما دار رأى فريق من المستشرقين فى أنها كانت بدافع اقتصادى استهدف الاستيلاء على خيرات البلاد المفتوحة مبررًا بذلك حركة الاستعمار التى شنها الغرب على أرض الإسلام، دار رأى فريق من المسلمين فى أن الفتوحات الإسلامية كانت اندفاعة دينية استهدفت نشر الإسلام ولو بحد السيف وليس بدافع اقتصادى، وقد كان طبيعيًا أن يصعد الغرب اتهاماته للإسلام نتيجة هذا الدفاع الخاطئ من بعض المسلمين فادعى أن الإسلام دين عنف وإرهاب، وللأسف أن معظم من كتبوا فى هذه القضية لم يعتمدوا على النصوص أو الوثائق التاريخية بقدر ما اعتمدوا على الظن، والظن لا يغنى من الحق شيئًا، ولهذا افتقرت كتابات الفريقين إلى الدليل العلمى.

ونحن حينما نحاول دراسة كتابات فريق المسلمين والذى لا يرى فى الفتوحات الإسلامية إلا أنها اندفاعة دينية استهدفت نشر الإسلام ولو بحد السيف، نجد أنفسنا مضطرين إلى أن نحتكم إلى الشريعة الإسلامية لنقف على حقيقة الأمر فنجد:

أولاً: يحصر القرآن الكريم أسباب القتال فى الإسلام فى أمرين فقط ليس من بينهما نشر الإسلام، فيقول سبحانه فى سورة البقرة: **﴿وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين﴾** (سورة البقرة الآية ١٩٠).

بل أكثر من هذا، ينهانا القرآن الكريم صراحة إكراه الناس على الإسلام، فيقول سبحانه: **﴿لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى﴾** (سورة البقرة الآية ٢٥٦).

ويقول سبحانه : **﴿أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾** (سورة يونس الآية ٩٩).

ثانيا: لا نجد فى السنة الشريفة أى نص يدعو إلى قتال الكفار لكفرهم، أما قوله ﷺ **«أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله»** فالمراد منه مشركوا العرب لعدوانهم على المسلمين، وإلا تعارض نص الحديث مع النص القرآنى **﴿لا إكراه فى الدين﴾**، كما أنه عمليًا لم يخرج رسول الله من الجزيرة العربية لقتال الناس، فهل تكاسل الرسول ﷺ عن تنفيذ الأمر

الإلهى وهو رسول الله؟! ثم إذا كانت الفتوحات الإسلامية من أجل نشر الدعوة، فلماذا قبل المسلمون الجزية ممن رفض الإسلام؟!، كما أننا لم نجد فى غزوات رسول الله ﷺ غزوة واحدة رفع فيها السيف من أجل نشر الدعوة الإسلامية، بل كانت كلها ردًا على عدوان المشركين، حتى فتح مكة، والذى كان يمكن أن نبرر له بوجود قبلة المسلمين فى تلك المدينة المكرمة، ولكننا لا نجد شيئًا من هذا، بل كان فتح مكة أيضًا ردًا للعدوان بعد أن نقضت قريش العهد، واعتدت على خزاعة حليفة المسلمين.

لذلك حاول البعض من تخفيف لهجتهم وادعوا أن الفتوحات الإسلامية كانت من أجل إقرار الحق ونشر العدل، أو من أجل كسر الحواجز التى وقفت عائقًا أمام حركة الدعاة، وهنا نقول لهؤلاء: هل انحصرت هذه الادعاءات فى المنطقة التى فتحها المسلمون فقط، وأن البلاد التى لم يمتد إليها الفتح الإسلامى كانت تنعم بإقرار الحق ونشر العدل وعدم وجود الحواجز أمام الدعاة ؟!

أما المستشرقون الذين لم يروا فى الفتوحات الإسلامية إلا الاستيلاء على خيرات البلاد المفتوحة، وقد اعتمدوا فيما قالوا على الهجرات التى خرجت من شبه الجزيرة العربية منذ العصور القديمة وربطوا بينها

وبين حركة الفتوحات الإسلامية والتى اعتبروها حلقة فى سلسلة طويلة من الهجرات، لكنهم لم يفسروا لنا لماذا فى هذه المرة استولوا على الحكم فى تلك البلاد؟!

فى الواقع أن النصوص التاريخية التى استند عليها أصحاب نظرية الدافع الاقتصادى لا تدعم هذه النظرية بقدر ما تؤكد أن حركة الفتوحات الإسلامية ليست هجرة جماعية طلبًا لسعة العيش وإنما كانت ردّا لعدوان المعتدين.

والتفسير التاريخى لحركة الفتوح الإسلامية يبدأ من صلح الحديبية فى العام السادس من الهجرة وما ترتب عليه بعد أن أصبح رسول الله ﷺ شخصية اعتبارية فى الحجاز، لذلك رأى الرسول ﷺ أنه قد حان الوقت ليخرج بالدعوة الإسلامية خارج الحجاز تحقيقًا لمبدأ عالمية الدعوة الإسلامية.

ولم يترتب على كتب الرسول ﷺ إلى ملوك ورؤساء الدول أى مشاكل تستحق من الرسول وقفة حاسمة إلا ما حدث فى منطقة الشام. فقد أشفق النبى ﷺ على عاقبة السكوت على كلتا الفعلتين التى قتل فيهما رسله إلى الشام ورأى أن يقتص لأصحابه، وحتى لا تضعف هيبة الإسلام.

لذلك وقع اختيار الرسول على مولاه زيد بن حارثة الكلبى ليكون أمير الجيش، وأوصى فى حالة موته أن يخلفه جعفر بن أبى طالب، وإذا قتل جعفر حل محله عبد الله بن رواحة الأنصارى، وإن أصيب عبد الله بسوء، فليتفق المسلمون على إسناد إمارة الجيش لرجل منهم، فخرج هؤلاء الأمراء إلى مؤتة فى جمادى الأولى من السنة الثامنة للهجرة، على رأس جيش بلغت عدته ثلاثة آلاف، وشيعهم رسول الله إلى ثنية الوداع.

ودار القتال بين الفريقين، فأخذ زيد بن حارثة اللواء وظل يقاتل حتى قتل، فخلفه جعفر بن أبى طالب فى الإمارة، غير أنه لم يلبث أن استشهد فى ميدان القتال، فخلفه عبد الله بن رواحة فقتل، ثم ولى المسلمون عليهم خالد بن الوليد، فبذل جهده فى إنقاذ بقية جند المسلمين وعاد بهم إلى المدينة فقابلهم أهلها بشىء من السخط. غير أن الرسول لم ينظر إلى حادث انهزامهم هذه النظرة، بل أظهر أمله فى عودتهم لمهاجمة العدو وإحراز النصر عليه.

ولما بويع أبو بكر الصديق بالخلافة، بدأ عمله بإنفاذ بعث أسامة بن زيد لغزو أطراف الشام الجنوبية تحقيقًا لما أمر به الرسول ﷺ، فخرج أسامة فى أول ربيع الثانى سنة إحدى عشرة على رأس الحملة التى أعدت فى حياة الرسول ﷺ، ولم يتخلف عنه سوى عمر بن الخطاب الذى رأى أبو بكر إبقاءه بجواره، لكن هرقل قد سير لمهاجمتهم عدة جيوش كثيفة، فتبادل القواد الرأى، وأشار عليهم عمرو بن العاص بجمع قواتهم، كما أرسل إليهم أبو بكر كتابًا قال فيه: «اجتمعوا عسكرًا واحدًا والقوا زحف المشركين بزحفكم فأنتم أعوان الله، والله ناصر من نصره وخاذل من كفره».

وقد شطر انتصار المسلمين على الروم فى الشام الإمبراطورية الرومانية إلى شطرين: الإمبراطورية الأم فى آسيا الصغرى وما وراءها، والولايات التابعة لها: مصر وما وراءها فى إفريقية. ولم يعد هناك ما يصل شطرى الإمبراطورية إلا البحر. لذلك كان على الدولة الرومانية أن تحاول استنقاذ إمبراطوريتها عن طريق البحر، وبالفعل أبحرت القوات البيزنطية من الإسكندرية ١٧هـ بقيادة قسطنطين بن هرقل - مما يدل على الأهمية الكبرى التى علقها هرقل على تلك الحملة - وألقت هذه الحملة مرساها فى أنطاكية ونجحت فى الاستيلاء عليها، وانضمت إلى القبائل العربية المتمردة من أهل الجزيرة.

لذلك انتهز عمرو بن العاص فرصة المؤتمر الحربى الذى عقده عمر بن الخطاب فى الجابية (وهى مرتفعات الجولان الحالية) فى ١٨هـ أثناء حضور عمر بن الخطاب إلى الشام ليستلم بيت المقدس من بطريركها صفرونيوس، وعرض عمرو بن العاص على المؤتمر الدور الذى ساهمت به قوات الروم فى مصر فى خلق المتاعب التى واجهت المسلمين بالشام، وأنه يجب على المسلمين ألا يضيعوا الوقت، بل يوقعوا بالروم قبل أن يستفحل الأمر، خاصة وأن المسلمين كانوا حتى هذا الوقت لا يملكون سفينة واحدة، وكان لابد أن يجبروا عدوهم على أن تكون حربًا برية وليست بحرية.

كما كان فتح مصر بعد الشام ضرورة، فقد أدرك قادة المسلمين بالشام أن مصر ليست قاعدة يمكن أن تقضى على الفتوحات فى الشام فحسب، بل انها ذات مركز استراتيجى يهيئ موقعه الجغرافى للبيزنطيين القيام بحملة انتقامية على المدينة المنورة.

وهكذا كانت الفتوحات الإسلامية سلسلة من المعارك اضطر إليها المسلمون اضطرارًا، وكانت كلها ردّا لعدوان المعتدين.

أعلام فى الإسلام

● د. مصطفى محمود..

عمر من التأمل والتدبر.

الدكتور مصطفى محمود

عمر من التأمل والتدبر

د. أمان عبد المؤمن قحيف

للدكتور مصطفى محمود فى أذهاننا صورة تختلف عن صورة بقية الباحثين والدارسين والكتاب، فلا يأتى اسم الرجل إلا وتقفز إلى أذهان الناس صورة الإنسان الذى قضى حياته كلها مفكرًا، متأملاً، متدبرًا فى أمر الحياة والكون بما يشتمل عليه من شجر وحجر وانسان وحيوان ونبات وطيور وحشرات.. إلخ من سائر المخلوقات التى يمكن للعقل البشرى تدبرها وتأملها بهدف الوصول إلى إدراك أو معرفة وجوه الإعجاز الإلهى فيها.. من ثم يختلف العالم الفكرى للدكتور مصطفى محمود عن غيره من عوالم الأدباء والمفكرين. فهو عالم شديد الخصوصية من جهة الموضوعات التى تناولها وعنى بدراستها والتفكير فيها، وكذلك من جهة المفردات اللغوية التى تعامل معها وكتب بها، وأيضًا من جهة اعتماده فى كثير من أطروحاته على التأمل الخاص والإبداع الذاتى.. لذا يعد كاتبنا من طراز المفكرين الذين إذا قرأت رأيهم فى موضوع ما تخرج بنتائج ومعارف حول الموضوع الذى قرأته لم تكن متاحة لك من قبل؛ ذلك لأن كتاباته تعتمد - فى أغلب الأحيان - على تشغيل العقل واعمال الذهن أكثر من اعتمادها على النقل عن السابقين أو الاتكاء على أقوال المتقدمين.

وعندى أن ثقافتنا المعاصرة مدينة للدكتور مصطفى محمود بدين من نوع خاص؛ إذ يذكر له أنه كان من أكثر الكتاب المعاصرين جرأة على طرح كل آلامه الفكرية وتصوراته الذهنية والعقلية، فكتب فى العديد من المسائل التى يتردد معظم الباحثين عند الكتابة فيها أو التحدث عنها، فلا نجد فى ثقافتنا المعاصرة من كتب عن شكوكه العقلية وأوجاعه الذهنية مثله، ولا نجد من بين باحثينا المعاصرين من تفرغ لدراسة قضية الإيمان والإلحاد تفرغًا يكاد يكون كاملاً من أجل معالجتها بصورة دقيقة سوى هذا الرجل.. ولا نجد من تطور فكره عبر عدة مراحل فاصلة مثله، وكان يخرج فى كل مراحله الفكرية على الناس بنتائجه التى توصل إليها ويعلنها - فى جرأة يحسده عليها كبار كتاب عصره - مع علمه اليقينى بأن ذلك سيجر عليه من المشاكل ما لا قبل له به.. لكنه تحمل كل ذلك ولم يتردد لحظة فى أن يكتب تجربته - أو قل أزمته - الفكرية بشكل لا نجده فى ثقافتنا المعاصرة، بل إن كاتب السطور يكاد يجزم أن أزمة أو تجربة الدكتور مصطفى محمود هذه لا يوازيها فى تراثنا القديم والجديد سوى تجربة الإمام «أبو حامد الغزالى» - ت ٥٠٥هـ/ ١١١١م - رحمه الله.. فلقد كتب الغزالى كتابه ذائع الصيت «المنقذ من الضلال» ليطلعنا على تجربته الإيمانية ومراحله الفكرية، وكتب الدكتور «مصطفى محمود» كتابه المسمى «رحلتى من الشك إلى الإيمان» ليطلعنا على ما مر به من أفكار وما ساوره من شكوك وما طرحه

ذهنه من تساؤلات، غير أن اللافت للنظر أن الغزالى - رحمه الله تعالى - لم يكتب تجربته إلا بعد أن خلص منها وانتهى من تداعياتها، بينما الدكتور مصطفى كان يكتب ما يشعره وينتهى إليه أولاً بأول، الأمر الذى أتاح لقرائه ومتابعيه الوقوف على تطوره الفكرى لحظة بلحظة.. فلم يتهيب مفكرنا فى الإعلان عن أزمته دونما إقامة حساب لما يمكن أن يتهمه به بعض المتشددين من إلحاد أو زندقة.. إلخ من قائمة الاتهامات الجاهزة فى ذهن هؤلاء، والتى ما أسرع أن يتم إلصاقها بكل من يعمل فكره أو يستخدم عقله فى فهم واستيعاب التجربة الدينية.

ومما يُذكر للدكتور مصطفى محمود أيضا أنه كان من أوائل المفكرين العرب المعاصرين الذين تراجعوا عن الانتماء للفكر الماركسى بعد أن زار الدول التى طبقت الفكر الشيوعى وتواصل بشكل مباشر مع مجتمعاتها، وبعد أن درس الماركسية وتعرف مواقف قادتها أمثال: «لينين» و«ستالين» و«خرشوف» فى العديد من القضايا والأحداث، ودرس هذه المواقف وحللها واستغرق ذلك منه ردحًا من الزمن، بل درس الماركسية فى أصولها التى كتبها مبدعو النظرية ذاتها بعمق، فتبينت له مسائل لم يتطرق إليها آخرون، ولما أدرك أن ماركس قد وقع فى مجموعة من الأخطاء لم يتردد ولم يتهيب لحظة فى أن يعلن تراجعه عن الماركسية وأن يؤكد انخلاعه من الإيمان بأفكارها وتصوراتها غير هيَّاب من تطاولات الماركسيين العرب وجبروتهم، ولقد حدث ذلك فى وقت كان يكفى المرء الانتماء إلى الماركسية كى ما يصنف ضمن كبار المثقفين والتقدميين! غير أن ذلك كله لم يكن يعنيه فى شىء.. ولم يكتف الرجل بهذا الموقف فحسب، بل ذهب يوجه انتقاداته للبنية الفكرية للنظرية الماركسية - إذا كانت نظرية - ذاتها، فأعلن أن ماركس وقع فى العديد من الأخطاء القاتلة التى كانت كفيلة فى النهاية بالقضاء على نظريته.. ولنا أن نشير فى هذا السياق - بإيجاز - إلى مجموعة الانتقادات التى وجهها الدكتور مصطفى محمود إلى أخطاء ماركس على النحو التالى:

أولاً: اعتمد ماركس فى استنباط نظريته عن التاريخ على بعض مراحل تاريخية دون أخرى.. فكان ينتقى من التاريخ ما يوافق هواه ويهمل ما يناقض فكره.. ومن هنا لا يصح أن تكون للقوانين التى استخرجها صفة الإطلاق على التاريخ كله، ولا تصدق عليها صفة القوانين، وإنما هى فى الحقيقة تلفيقات.. وأقوى البراهين على ذلك هى نشأة الإسلام، فلم يكن الإسلام قط من إفراز النظام الطبقى فى قريش، ولم يكن دينًا رجعيًّا يحفظ للظالمين المستبدين أموالهم وامتيازاتهم، ولم يكن مخدرًا للفقراء دافعًا لهم على قبول فقرهم، فقد دعا الإسلام إلى التمتع بالحياة فى اعتدال ودعا إلى قتال الظالمين المستغلين.

ثانيًا: وقع الفكر الماركسى فى تناقض أساسى بين كونه فكرًا يدعو إلى التضحية والبذل من أجل الآخرين وبين كونه فكرًا محرومًا من الحافز الدينى والمبدأ الروحى.. والدين كما هو معلوم يمد الإنسان بأعظم طاقة ليضحى ويبذل بلا حدود عن طيب خاطر.

ثالثًا: ذلك العامل الاقتصادى الواحد الذى جعل منه ماركس إلهًا تصدر عنه الأشياء وسببًا وحيدًا تتداعى من ورائه كل التغيرات التاريخية والحضارية فيما يسميه بالتفسير المادى للتاريخ.. هذه الفكرة سقطت علميًّا، والرأى السائد الآن أنه فى ميدان الظواهر الاجتماعية لا يوجد سبب واحد مستقل منفصل وفاعل يولد النتائج والظواهر الثانوية، وإنما هناك عوامل متعددة تؤثر فى بعضها تأثيرات متقابلة.. فالعامل الجوهرى اليوم يمكن أن يصبح عاملاً ثانويًّا فى الغد.

رابعًا: كانت ديكتاتورية البروليتاريا انتقالاً بالمجتمع من ظلم طبقى إلى ظلم طبقى آخر.. وكانت استبدالاً للاستغلال الموجود باستغلال آخر أشمل وأسوأ وأعم.. فقد جاء الحزب الحاكم الجديد وجاء معه زبانية مراكز القوى ليسجنوا ويعتقلوا ويظلموا ويستبدوا للحفاظ على امتياز الذين تميزوا وسلطان الذين تسلطوا.. وهكذا نقلوا المجتمع من طغيان إلى طغيان أفدح وأشاعوا مناخًا من الرعب والصمت الرهيب والخرس الذى قُطعت فيه الألسن وكسرت الأقلام وكممت الأفواه.. فالصحف جميعًا ملك للسادة الجالسين فى مراكز القوى، وسياط الرقابة مسلطة على الجميع.. وقد أقام ماركس نظريته على ظروف القرن التاسع عشر الصناعية المتخلفة حيث العامل يدوى كادح مطحون مسحوق لا يكاد يجد لقمته.. ولم يتصور ما ستحدث ثورة العلم والتكنولوجيا فى القرن العشرين - والواحد والعشرين - حيث العامل رجل مرفه يجلس أمام أزرار وآلات إلكترونية ومن ورائه نقابات عمالية وقوانين للتأمين ضد العجز والشيخوخة والمرض تحفظ له حقه.

خامسًا: هذا التعسف المنهجى الذى اتسمت به الماركسية وإصرارها على أن تكون فكرًا شموليًا يجيب عن كل شىء ويبتكر الحل لكل معضلة ويفتح كل باب ويجاوب على كل سؤال، ثم ادعاؤها لحتمية قوانينها.. مع أنه من الأمور المعلومة أنه لا حتميًا فى الأمور الإنسانية.. لأن الناس ليسوا جمادات مثل كرات البلياردو ولا هم آلات صماء كتروس الساعات يمكن حساب حركاتها والقول بحتميتها والتنبؤ بها.. ولهذا أخطأ ماركس فى جميع تنبؤاته.

سادسًا: أدى التأميم الشامل حيثما طبق وفى أى بلد إلى هبوط فى الإنتاج وإلى كارثة اقتصادية.. وقال خرشوف: إن البقرة التى يملكها صاحبها تدر من اللبن أكثر من البقرة التى تملكها الدولة.. هادمًا بذلك كل فلسفة ماركس فى التأميم والملكية الاشتراكية. وكان التأميم يجر وراءه اللامبالاة والإهمال والكسل والبيروقراطية وسوء الإنتاج(١).

كان الدكتور مصطفى محمود من أكثر الكتّاب المعاصرين جرأة على طرح آلامه الفكرية وتصوراته الذهنية والعقلية

إن انطلاق فكر مصطفى محمود من حالة التدبر والوعى الذاتى هو الذى جعله لا يتردد فى مناقشة كل ما يُطرح عليه بالمنطق والحجة والبرهان والعقل، فكان يقبل ما يقبله عقله ويرفض ما هو غير ذلك كلية.. لذا رفض الماركسية بعد أن كان من أنصارها؛ لأنها لم تصمد أمام تحليلاته الفكرية واجتهاداته العقلية، فانطلق يوجه إليها سهام نقده على النحو الذى أشرنا إليه.

هل كان مصطفى محمود فيلسوفًا؟

الفلسفة لفظ يدل «فى الأصل اليونانى على محبة الحكمة، واصطلاحًا: أطلق قديمًا على دراسة المبادئ الأولى وتفسير المعرفة عقليًا»(٢).. وورد فى تعريفها أيضًا أنها: «شكل من أشكال الوعى الاجتماعى، يمثل نسقًا من المفاهيم العامة عن العالم ومكانة الإنسان فيه..»(٣). والفلسفة العامة تدرس «طبيعة المعرفة، ومسائل تتعلق بالكون والله والروح وعلاقة المادة بالحياة والشعور»(٤). فالفلسفة بهذا الشكل هى محاولة لفهم قضايا الكون والوجود البشرى فهما ينطلق من وعى الإنسان بوجوده وبقدرته على التفاعل مع الموجودات التى تشاركه الوجود.. ومن الفلاسفة من أقام أنساقًا فلسفية متكاملة فقام بدراسة المعرفة والوجود والقيم وأدلى برأى فى المسائل التى تتعلق بتلك المباحث الثلاثة على النحو الذى ورد فى كتب الأقدمين من الفلاسفة، ومنهم من فلسف الحياة ومشكلاتها المعيشية الوجودية على النحو الذى فعله مفكرو الفلسفة الوجودية، ويضاف إليهم الفيلسوف الألمانى الشهير «نيتشه».

ويعد الدكتور مصطفى محمود من نوع المفكرين الذين حاولوا فهم الحياة ودرسوا موقف الإنسان من القضايا الكبرى للكون والوجود، مستخدمًا كل ملكاته التى وهبه الله تعالى إياها.. وقدم فى سبيل تحقيق ذلك العديد من المؤلفات التى عالج فيها تلك القضايا، ونذكر من هذه المؤلفات «الوجود والعدم»، و«الروح والجسد»، و«رأيت الله»، و«الله والإنسان»، و«حوار مع صديقى الملحد».. إلخ، ففى هذه المؤلفات وغيرها نرى الدكتور مصطفى محمود يبذل جهداً كبيرًا لحل طلاسم الوجود البشرى ويجسد رغبة العقل الإنسانى فى البحث عن خالقه الأعظم، وهنا نكتشف مصطفى محمود المتفلسف أى الذى يحاول إعمال ملكاته العقلية والقلبية فى سبيل فهم طبيعة الوجود الإنسانى وعلاقة هذا الموجود الواعى بمختلف الموجودات التى تقاسمه الوجود وتشاركه الكينونة.. ونقف فى النهاية على أن مفكرنا الذى اجتهد فى دراسة أغلب الأطروحات الإنسانية فى هذا السياق لا يجد طرحًا نظريًا قادرًا على حل كل هذه المشكلات ومعالجة كل تلك القضايا بشكل يستوعبه العقل البشرى وتنسجم معه الملكات الإنسانية إلا الطرح الذى يقدمه الدين والوحى الإلهى. من ثم فقد ذهب ينتقد الأطروحات النظرية التى قدمها الفكر المادى سواء كان هذا الفكر شيوعى التوجه أم رأسمالى الاتجاه.. وهنا نكتشف مرة أخرى مصطفى محمود المفكر والفيلسوف الذى يستخدم المنهج النقدى فيقوم بتفكيك أطروحات المذاهب المادية المغايرة للفكر الدينى، الأمر الذى أتاح له بل فرض عليه الاطلاع على معظم تيارات الفكر الغربى المعاصر، ومن ثم تدوين رؤاه وتصوراته لكل تلك الأفكار والنظريات، ونلمس هذه المسائل فى مؤلفاته: «لماذا رفضت الماركسية؟»، و«حوار مع صديقى الملحد»، و«أكذوبة اليسار الإسلامى»، و«الوجود والعدم»، و«رأيت الله» إلخ. من المؤلفات التى تأخذ نفس الاتجاه.. وعلى أية حال، فإنه يمكننا القول بأن مصطفى محمود فلسف حياته وهمومه ومشكلاته، وهذا النمط من التفلسف نقف عليه عند العديد من مفكرى الغرب وفلاسفته من أمثال: «شوبنهور» و«نيتشه» و«الفيلسوف الفرنسى جان بول سارتر» الذى يعد من أكبر فلاسفة الوجودية إن لم يكن أكبرهم على الإطلاق.. ومن هذا المنطلق نستطيع الانتهاء إلى أن الدكتور مصطفى محمود يعد فيلسوفًا بالمعنى الذى يندرج من خلاله الفلاسفة الوجوديون فى عداد الفلاسفة.

خصوبة الإنتاج وتنوعه

أثرت الطبيعة التأملية للدكتور مصطفى محمود على إنتاجه الفكرى، فجاء فى معظمه إنتاجًا إبداعيًا تأمليًا يكاد يتصف بالذاتية إلى حد كبير؛ لأن الرجل كما قلنا فلسف حياته وهمومه الفكرية.. ولقد أثرت هذه الحالة على مجالات الإنتاج، بالإضافة إلى تأثيرها كما ذكرنا على طبيعته، فجاءت كتاباته متنوعة بين الفلسفة والأدب والاجتماعيات والسِّيَر، ونشير إليها على النحو التالى:

أولاً: فى مجال التأمل فى القرآن الكريم: عاش الدكتور مصطفى محمود مع القرآن متأملاً فى آياته ومتفاعلاً مع قضاياه وأحكامه، وقدم لنا فى هذا السياق عدة مؤلفات ضمّنها حصاد تأمله ونتاج معايشته لآيات الذكر الحكيم، هذه المؤلفات منها: «من أسرار القرآن»، و«القرآن كائن حى»، و«القرآن محاولة لفهم عصرى»، ولقد أثار هذا الكتاب جدلاً كبيرًا فى أوساط الفكر الإسلامى وقت صدوره؛ لأنه يمثل نقلة فى الفهم والوعى بقضايا القرآن الكريم.. وإذا كنا نخص هذه المؤلفات بالذكر هنا فإنه تجدر الإشارة إلى أن معظم مؤلفات الدكتور مصطفى محمود تدخل فى نطاق التأمل الذاتى لآيات الكتاب الكريم.

ثانيًا: فى مجال الفلسفة: ولمفكرنا العديد من المؤلفات التى تدخل فى نطاق الدراسات الفلسفية غير منازع، ونذكر منها: «الله والإنسان»، و«الروح

والجسد»، و«الله»، و«الوجود والعدم»، و«لماذا رفضت الماركسية؟».. إلخ.

ثالثًا: فى مجال التصوف: لقد غطت المسحة الصوفية العديد من مؤلفات الدكتور مصطفى محمود غير أن بروز الروح الصوفية كان عاليًا فى كتابيه «رأيت الله»، و«السر الأعظم».

رابعًا: علم الكلام المعاصر: إذا كان ابن خلدون قد عرَّف علم الكلام بأنه علم «يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية.. إلخ»، فإن للدكتور مصطفى محمود جهودًا بارزة فى الدفاع عن الإسلام بالمنطق العقلى والبرهانى منتهجًا فى ذلك منهج علماء الأمة القدامى فى عصورهم الذهبية، غير أن مؤلفات الرجل جاءت تناقش الشبهات التى يحاول أبناء هذا العصر من خصوم ديننا الحنيف إلصاقها به ظلمًا أو بغير دليل.. من ثم تدخل مجموعة من الأعمال التى أبدعها مفكرنا ضمن ما يُطلق عليه «علم الكلام المعاصر»، ونذكر منها: «الماركسية والإسلام»، و«حوار مع صديقى الملحد»، و«لماذا رفضت الماركسية؟»، و«أكذوبة اليسار الإسلامى»، و«سقوط اليسار».. إلى غيرها من المؤلفات التى دافع فيها مصطفى محمود عن دينه الذى آمن به وارتضاه بعد كثير من التأمل والبحث والتدقيق.

خامسًا: فى مجال السيّر: لم يكتب الدكتور مصطفى محمود مؤلفات بعينها فى مجال السيّر سوى عن الرسول محمد ﷺ، وعن أينشتين والنسبية.. ولم يعمد إلى التأريخ فى كتابته عن الرسول ﷺ قدر ما كان يهدف إلى البرهنة على صدق نبوته وعظمة رسالته، ولم يعمد كذلك أثناء الكتابة عن أينشتين إلى الحديث عن حياته الخاصة أو تربيته، بل كان كل تركيزه يدور حول النظرية النسبية، الأمر الذى يؤكد إحساسه بأهمية هذه النظرية للعلم الحديث، ومن ثم لتقدم الحياة البشرية وتطورها.

سادسًا: فى الإبداع الأدبى: تعددت الأعمال الأدبية للدكتور مصطفى محمود، فلقد كتب أكثر من عشر روايات، غير أن أكثرها شهرة هى روايته «رجل تحت الصفر» التى فازت بجائزة الدولة فى مصر سنة ١٩٧٠م، ورواية «الأفيون» التى كتب لها سيناريو.. وتدخل معظم روايات الدكتور مصطفى محمود تحت إطار ما يسمى بالأدب الإسلامى لكونها تدعو إلى فضائل الأخلاق وتؤكد فى مجملها على القيم النبيلة.

سابعًا: فى مجال الاجتماعيات: كتب الدكتور مصطفى محمود فى بدايات حياته الفكرية كتابًا بعنوان «٥٥ مشكلة حب»، وكتابًا بعنوان «اعترفوا لى»، ولعله أنتج هذه الأعمال أثناء انغماسه فى الكتابة الصحفية.. وكلها أعمال تدخل فى نطاق القضايا الاجتماعية ودراستها وتحليلها.

ويخلص المدقق فى كتابات الدكتور مصطفى إلى أنها عالجت العديد من التخصصات، وذلك راجع إلى طبيعته التأملية التى سمحت له بالتوقف مع العديد من القضايا والأحداث، يتأملها ويكتب فيها بما يمليه عليه فكره وتدبره.. من ثم فقد تميزت كتاباته بالقدرة على إقناع العقلانيين من المؤمنين، وتميزت كذلك بقدرتها على الدخول المباشر إلى قلوب المؤمنين بالفطرة غير المحتاجين إلى البرهنة أو التدليل على صحة الدين.

الهوامش:

(١) ينظر فى تفصيل ذلك، دكتور مصطفى محمود. لماذا رفضت الماركسية؟ دار المعارف القاهرة من دون تاريخ. الطبعة الثالثة. ص ٨ - ٢٠.

(٢) المعجم الفلسفى. مجمع اللغة العربية. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة. ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م. ص ١٣٨.

(٣) المعجم الفلسفى المختصر. دار التقدم. موسكو. ١٩٨٦م. ص ٣٢٨.

(٤) انظر: المعجم الفلسفى. يوسف كرم، ويوسف شلالة، ومراد وهبة. دار الثقافة الجديدة. ط٣ القاهرة. ١٩٧٩م. ص ٣١٦.

(٥) ابن خلدون. المقدمة. دار ابن خلدون. الإسكندرية. مصر. من دون تاريخ. ص ٣٢١.

الدين والحياة

- الإنسان بين الخلق والبعث.
- ما بعد أداء فريضة الحج.
- نظرات جادة فى منبر الإسلام.

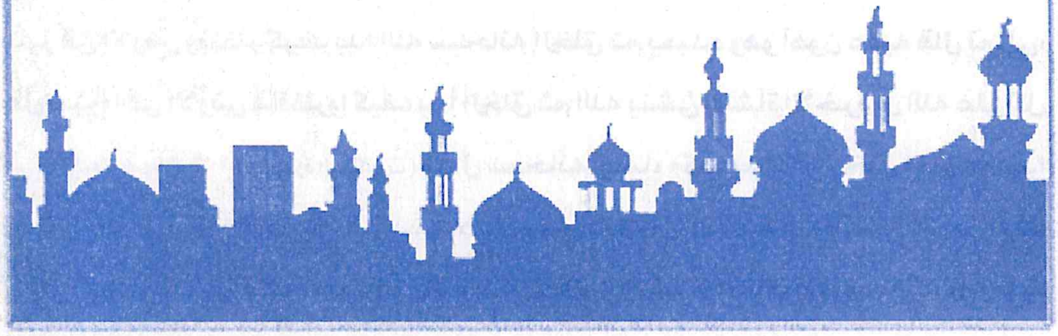

الإنسان بين الخلق والبعث

د/ عبد المعبود عمارة

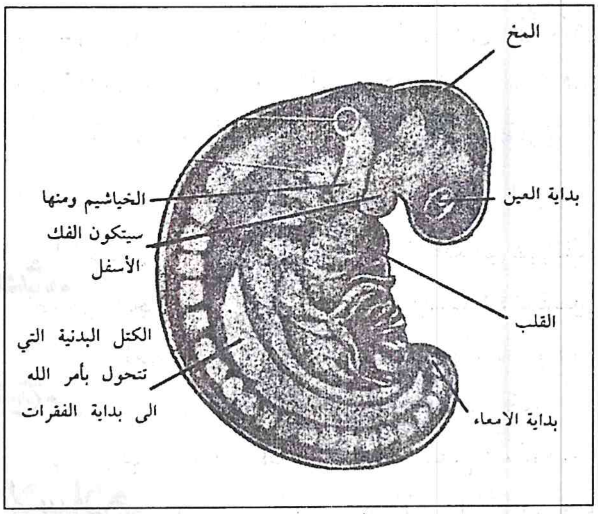

شكل (١) جنين فى الأسبوع السابع وبداية ظهور الفقرات الغضروفية وستتحول إلى فقرات عظمية

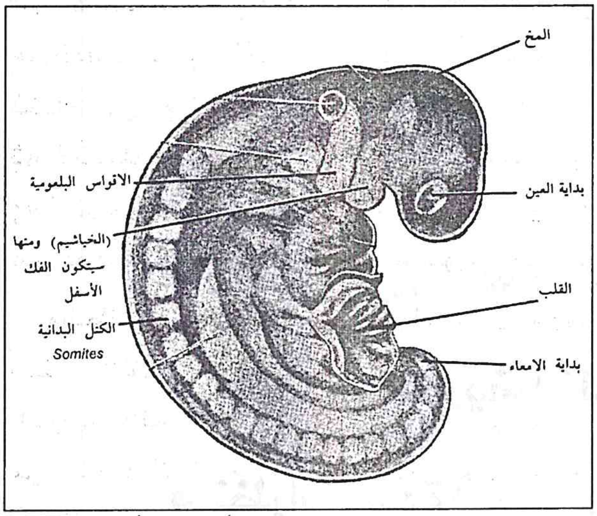

شكل (٢) صورة للجنين أثناء تكون الأعضاء الأساسية وتبدو بداية الفقرات واضحة.
انظر إلى المخ، وبداية العين، والقلب والأمعاء والأقواس البلعومية والخياشيم وكيف تتم التسوية والتعديل ونفخ الروح

المتأمل فى خلق الكائنات على اتساع نطاقها يجد أنها تنطق وتسبح باسم خالقها وبارئها ومصورها الذى أحسن كل شىء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين، ولا يستطيع أحد غير الله أن يخلق شيئا؛ لأن الخلق صفة من صفات الخالق وحده وقد أمرنا القرآن الكريم أن نسير فى الأرض وننظر كيف بدأ الله سبحانه الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه قال تعالى: ﴿قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة إن الله على كل شىء قدير﴾ (الآية ٢٠ من سورة العنكبوت) وقال سبحانه أيضا: ﴿كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين﴾ (الآية ١٠٤ من سورة الأنبياء). والإنسان أعظم المخلوقات خلق من تراب الأرض وسيعود إليها ليبعث يوم القيامة، قال تعالى: ﴿منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى﴾ (الآية ٥٥ من سورة طه) والإيمان بالبعث بعد الموت شرط الإيمان بالله ورسله وملائكته واليوم الآخر وما فيه مما ورد فى الكتاب والسنة.

مراحل الخلق:

تحدث القرآن الكريم فى مواضع متعددة عن نشأة الخلق وأطواره، وهذا دليل على قدرة الله تعالى على إعادة الخلق يوم الدين قال تعالى: **﴿يا أيها الناس إن كنتم فى ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر فى الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكى لا يعلم من بعد علم شيئا﴾** (الآية ٥ من سورة الحج).

والنطفة هى نطفة الذكر وهى الحيوان المنوى، ونطفة الأنثى وهى البويضة، والنطفة الأمشاج هى البويضة الملقحة أو الزيجوت التى تنقسم إلى العديد من الخلايا التى تعلق بجدار الرحم وتنشب أظفارها فى الغشاء المبطن للرحم وتمتص غذاءها منه ومن أجل شدة تعلقها بجدار الرحم سميت «علقة»، وكتلة الخلايا المكونة للعلقة تتشكل على هيئة قطعة اللحم المضوغ وتظهر فيها نتوءات وبروزات تسمى الكتل البدنية (Somites) كما هو مبين فى الأشكال الموضحة ومن أجل ذلك يطلق عليها (المضغة) ومراحل الخلق ذكرت فى الآيات الكريمة فى قوله تعالى: **﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين • ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين • ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين﴾** (الآيات من ١٢ إلى ١٤ من سورة المؤمنون).

فمراحل الخلق هى: السلالة من الطين، النطفة، العلقة، المضغة والعظام وكسوة العظام باللحم ثم

الخلق صفة من صفات الخالق العظيم وحده فلا يمكن لأحد سواه أن يخلق شيئاً

التسوية والتعديل ونفخ الروح قال تعالى: **﴿الذى خلقك فسواك فعدلك • فى أى صورة ما شاء ركبك﴾** (الآيتان ٧، ٨ من سورة الانفطار).

من أدلة البعث:

الإنسان الذى منَّ الله عليه بهذا الخلق فى تلك الصورة الجميلة وجعل له عينين ولسانا وشفتين وميزه بالعقل والفكر وعلمه من لدنه علما، هذا الإنسان قد ينكر البعث بعد الموت وفيه قال الله تعالى: **﴿أيحسب الإنسان ألن نجمع عظامه • بلى قادرين على أن نسوى بنانه﴾** (الآيتان ٣، ٤ من سورة القيامة).

والبنان - كما جاء فى تفسيرها - هى أطراف الأصابع والمعنى «أى أيظن الإنسان أنا لا نجمع عظامه؟ بلى سنجمعها **﴿قادرين على أن نسوى بنانه﴾**: «أى قدرتنا صالحة لجمعها ولو شئنا لبعثناه أَزْيَد مما كان، فنجعل «بنانه» وهى أطراف أصابعه - مستوية» - والقول بأن البنان هى أطراف الأصابع، وأن أدق ما فى نهايات الأصابع هى بصمات الجلد فيها، فقد ثبت أن هذه البصمات لا تتشابه مع أى إنسان على ظهر الأرض ولو أبوه أو أمه أو أخوانه، بل لا تتشابه مع أي إنسان سبقه فى الوجود وتوارى أم لا يزال فى عالم الكون وينتظر ظهوره فى عالم الدنيا.

وكما أن البصمات تختلف من شخص إلى آخر فإن لها أيضا أشكالا ودوائر مختلفة تدل دلالة

واضحة على أصحابها، وتحدد شخصياتهم بدقة لاريب فيها. ويُعتمد عليها فى إثبات الجرائم فى الأحوال الجنائية والتوثيق ويعتمد عليها فى الطب الشرعى فى إثبات الأشياء ونسبتها إلى أصحابها.

خلق العظام:

تمثل العظام الأعمدة الأساسية فى بناء جسم الإنسان وعليها تقام جميع الأجهزة الأخرى كالجهاز العصبى والدورى والهضمى والتنفسى، ونواة العظام هى غضاريف الميزودرم وتُخلَّق العظام فى الأسابيع الخامس والسادس والسابع من الحمل، وتكسى باللحم وتغطى به قال تعالى: ﴿**وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما**﴾ (الآية ٢٥٩ من سورة البقرة) وتنشأ العظام واللحم من الكتل البدنية (Somites) الجنينية فى مرحلة المضغة على جانبى خط الوسط، وتُكوّن هذه الكتل البدنية عظام العمود الفقرى والعضلات وطبقة الأدمة من الجلد، ويتكون فيها أيضا عظام مؤخرة الجمجمة والرقبة والصدر والقَطَن والعجز والعُصعُصْ وعظام الطرف العلوى والسفلى والقفص الصدرى.

وينشأ فى الغضاريف مراكز التعظم الأولى التى تبنى العظام من الكالسيوم والفوسفور والمعادن الأخرى وتظل العظام مجوفة من داخلها ليحتلها تجويف النخاع العظمى وهو مصنع الدم الذى يستبدل استبدالا تدريجيا كل مائة وعشرين يوما، فهى خلايا دم حمراء وبيضاء تجدد كل يوم وأخرى تنتهى خدمتها وتتكسر لنفاد عمرها الافتراضى، ويتكون أيضا فى نخاع العظام أجسام مناعية تدافع عن الإنسان من غزو الميكروبات، وللعظام فوائد أخرى منها أنها تعطى الشكل العام للإنسان، والجمجمة تقوم بحماية المخ والمخيخ وتحمى العينين والأذنين والأنف والأسنان من الصدمات، وعظام القفص الصدرى تحمي القلب والرئتين والأوعية الدموية، والعمود الفقرى يحمى الحبل الشوكى والسائل المخى الشوكى من الصدمات، ويسهل الحركة، وحمل الأشياء والصعود والهبوط والقفز والجرى إلى غير ذلك من التصرفات العديدة كالركوع والسجود.

وبواسطة المفاصل الموجودة بالعظام تسهل الحركة وتلين، ومفاصل اليدين والقدمين، أسسها الله تعالى فى اليد لتناسب الكتابة والقبض والبسط، والقدم يحتوى على أقواس القدم التى تساعد على خفة الحركة وسهولتها وتمنع «تسطح القدمين»، الذى إن وجد فإنه يسبب آلاما مبرحة بسبب الضغط الواقع على الأعصاب مباشرة أثناء الوقوف والحركة فتبارك الله أحسن الخالقين.

سلامة العظام:

إن العظام من أجل نعم الله تعالى وحمايتها وسلامتها تقتضى مراعاة الكثير من النصائح والتى من أهمها رعاية الأمومة والطفولة لأن إهمال هذه التوجيهات قد يؤدى إلى أمراض هشاشة العظام، ولينها، وضعفها، وسهولة كسرها.

ويبدأ الاهتمام بالعظام من فترة الحمل والفصال وأولها رعاية الأمومة وتتطلب الكشف الدورى، والغذاء الجيد المحتوى على الألبان والبروتينات والخضراوات والفواكه ومركبات فيتامين د كالزبد والقشدة والتعرض لأشعة الشمس بعض الوقت لأنها مصدر هام لفيتامين د، ورعاية الطفولة بعد الولادة بالرضاعة الطبيعية وتغذية الأم بالغذاء الجيد والتطعيم ضد الأمراض مثل التطعيم ضد شلل الأطفال والدرن والحصبة، والغذاء الجيد المناسب

لسن الطفل، والعرض على الطبيب عند الإحساس بأى ألم أو ارتفاع فى درجة الحرارة أو شكوى من آلام المفاصل وتجنب الرياضة العنيفة التى قد تسىء إلى الجهاز العظمى أو تعرض الطفل إلى الحوادث أو الكسور.

البعث:

ذكر الله تعالى فى كتابه العزيز ردا على من جاء بعظم قد رَمَّ وبلى إلى الرسول ﷺ وقال: يا محمد أترى أن الله يبعث هذا بعد ما رَمّ وبلى قال له ﷺ: نعم ويبعثك ويدخلك النار قال تعالى: ﴿**وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم • قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم**﴾. (الآيتان ٧٨، ٧٩ من سورة يس).

والأعضاء سوف تبعث من جديد إلى ما كانت عليه وتشهد على صاحبها بما قدم من خير وشر، وتعود العظام واللسان والعينان والأيدى والأرجل ويشهد السمع والبصر والجلود، والبنان تسوى وهى أدق وأخص ما فى الإنسان وكل ينطق بما قدم الإنسان، بإذن خالقها وبارئها ومبدعها قال تعالى: ﴿**يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون**﴾ (الآية ٢٤ من سورة النور).

وقال تعالى: ﴿**حتى إذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون • وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شىء وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون**﴾ (الآيتان ٢٠، ٢١ من سورة فصلت).

أعضاء الإنسان سوف تبعث من جديد إلى ما كانت عليه لتشهد على صاحبها بما قدم من خير أو شر

ذلك أن هذه الأعضاء يوم القيامة قد تحررت من سيطرة صاحبها وصارت طائعة مأمورة بإذن الله، خالقها وبارئها ومصورها.

فأنت يا أخى تعيش الآن فى الحياة الدنيا يوما أو بعض يوم وعما قريب تكون فى عالم الغيب وبعد قليل ستعود إلى الأرض التى منها خلقت وستبعث وتسأل عما قدمت يداك، فلا تنس أن تقدم لآخرتك. فإن البحر عميق والسفر طويل والعقبة كئود، وتزود من التقوى فإنك لا تدرى متى الرحيل، ولا تؤجل التوبة والعودة لله وسبح بحمد ربك حين تقوم ومن الليل فسبحه وأدبار السجود.

﴿**وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولى الألباب**﴾ (سورة البقرة الآية ١٩٧).

المراجع:

١ - القرآن الكريم.

٢- خلق الإنسان بين الطب والقرآن أ. د. محمد على البار. الدار السعودية للنشر والتوزيع. جدة السعودية.

٣- صفوة التفاسير للأستاذ محمد على الصابونى - دار القرآن الكريم. بيروت (١٤٠٠هـ ١٩٨٠م).

٤- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم للأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى - دار الفكر.

ما بعد أداء فريضة الحج
دروس وعبر

فضيلة الشيخ / شوقى عبد اللطيف

أصبحت الخلافات والاختلافات بين المسلمين من الأمور المعتادة لدى الشعوب الإسلامية، وهذا ليس من المعقول أو المقبول؛ لأنه يتصادم مع الشرع والواقع، ولكن الأمر يعظم والخطب يزيد والألم يشتد حين يختلف المسلمون فى تحديد وقفة عرفات، خاصة أنه لم يبق من عوامل توحد المسلمين إلا يوم عرفة الخالد والأضحى المبارك.

إن الأمة الإسلامية لها سماتها ومميزاتها التى تميزها عن بقية الأمم، وأبرز هذه السمات ما ذكره الله تعالى فى كتابه الكريم: ﴿**إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ**﴾ (سورة الأنبياء: الآية ٩٢)، وقال سبحانه: ﴿**وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ**﴾ (سورة المؤمنون: الآية ٥٢)، ولأن وحدة الصف هى سبيل القوة وسبب النهضة وأساس الحضارة وطريق التقدم والرقى والعزة والنهضة فقد دعاهم الله إليه وحببهم فيه وبين لهم بأن وحدة الصف هى من أجل النعم التى أنعم بها عليهم.

قال تعالى: ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**﴾ (سورة آل عمران: الآية ١٠٢)، كما حذرهم سبحانه من التنازع والفرقة والتشرزم والخلاف، قال تعالى: ﴿**وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾ (سورة الأنفال: الآية ٤٦). كما بين سبحانه بأن الاختلاف من أسباب الهلاك والعذاب.

والواقع يؤكد تلك الحقيقة حيث فقد المسلمون هيبتهم بسبب خلافاتهم. وضاعت عزتهم وساء اقتصادهم بسبب تفرقهم، وصاروا فى مؤخرة ركب الحضارة الإنسانية.

وسوف يحاسبون فى الآخرة بسبب عدم طاعتهم لربهم والتزامهم أوامره التى أمرهم بها، حيث أمرهم بوحدة الصف واجتماع الكلمة والتعاون على البر والتقوى والتآلف والتراحم فيما بينهم. قال تعالى: ﴿**وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾ (سورة آل عمران: الآية ١٠٥).

ولقد لقن الله المسلمين درسا عظيما يوم أحد فكاد أن يذهب ريحهم ويستأصل شأفتهم ويذهب ريحهم بسبب تفكك صفهم واختلاف كلمتهم وتعدد آرائهم، فقد قال تعالى: **﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾** (سورة آل عمران: الآية ١٥٢).

لقد تنبأ الرسول ﷺ بما آل إليه أمر المسلمين من الضعف والذلة والمهانة منذ أكثر من أربعة عشر قرنا من الزمان بسبب تكالبهم على الدنيا وحرصهم على الشهوات وكراهيتهم للحق، وهو بالفعل ما تعانى منه أمتنا، فقد غلبت على بعضهم المصالح الفردية وسيطرت عليهم الأنانية وحب الذات والأثرة، وفى الحديث الشريف: «**يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة على قصعتها**»، قالوا: أو من قلة نحن يومئذ يا رسول الله؟ **قال: «بل أنتم كثير ولكن كغثاء السيل، ولينزعن الله المهابة من قلوب عدوكم، وليقذفن فى قلوبكم الوهن»**، قالوا: وما الوهن؟ «**قال: حب الدنيا وكراهية الموت**».

لقد من الله على الأمة الإسلامية بنعم شتى وإمكانات عدة .. فهى تملك ما لا يملكه غيرها، تملك القوة الروحية، والقوة البشرية، والقوة الاقتصادية التى تتمثل فى الزراعة والصناعة والتجارة والمناخ.

لقد منح الله الأمة الإسلامية مفاتيح السعادة وعوامل النهضة وأسباب التقدم، وكل هذه المفاتيح تضمنها القرآن الكريم الدستور الخالد الذى لو أخذ به المسلمون لعز جانبهم وسادوا العالم كما كانوا أول مرة.

تنبأ الرسول ﷺ بما آل إليه أمر المسلمين اليوم من الضعف والذلة بسبب تكالبهم على الدنيا وكراهيتهم للحق وحرصهم على الشهوات

لقد بين الله للأمة عدة الشهور حتى يوحدوا صفهم من خلال العبادات والمعاملات وشئون الحياة، قال تعالى: **﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾** (سورة التوبة : الآية ٣٦).

ومن أهم العوامل التى تجمع المسلمين ولا تفرقهم: مناسك الحج، وعلى رأسها يوم عرفة الخالد.

قال تعالى: **﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾** (سورة البقرة: الآية ١٨٩).

إن الأمة الإسلامية تحمل من المعانى والإيحاءات التى لو تدبرها المسلمون واستفادوا من عطاءاتها ما اختلفوا أبدا وما تفرقوا.

فقد أكدت الآية الكريمة على عدة حقائق على رأسها: وحدة الصف انطلاقا من وحدة الأهلة.

فالأهلة هى من أهم عوامل وحدة المسلمين وجمع صفوفهم.

فإذا ظهر هلال شهر رمضان صام المسلمون جميعا فى شتى بقاع الأرض على اختلاف أوطانهم وأجناسهم.

وإذا ظهر هلال شوال أفطر المسلمون جميعا. وإذا ظهر هلال ذى الحجة ذهب المسلمون لأداء مناسك الحج ونحروا هديهم وأدوا نسكهم.

وحين سأل الصحابة رسول الله ﷺ عن الأهلة فى قوله تعالى: ﴿**يسالونك عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ**﴾ (سورة البقرة: الآية ١٨٩).

جاءت الإجابة بصيغة الجمع «للناس» وذلك للحث على وحدة الصف والاجتماع وفقا لأهلة الشهور.

ولقد ذكر ابن عساكر فيما رواه أبو نعيم عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: نزلت فى معاذ ابن جبل وثعلبة بن غنم قالا: يا رسول الله: ما بال الهلال يبدأ دقيقا مثل الخيط ثم يزيد حتى يعظم ويستدير ثم لا يزال ينقص ويدق حتى يعود كما كان لا يكون على حالة واحدة، فنزلت الآية.

وحول معنى هذه الآية الكريمة يقول الأستاذ الدكتور / محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر: يسألك بعض الناس عن الحكمة من خلق هذه الأهلة؟ قل لهم يا محمد: إن الله تعالى خلقها لتكون معالم بوقت حج الناس وصومهم وزكاتهم وعدد نسائهم ومدة حملهن ومدة الرضاع، وغير ذلك مما يتعلق بأمور معاشهم.

قال تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**﴾ (سورة يونس: الآية ٥).

وخص الحج بالذكر مع أن الأهلة مواقيت لعبادات أخرى كالصوم والزكاة؛ للتنبيه على أن الحج مقصور وقت أدائه على الزمن الذى عينه الله تعالى، وأنه لا يجوز نقله إلى وقت آخر كما كان يفعل العرب؛ إذ كانوا ينقلونه ما شاءوا من الأشهر الحرم الأربعة التى منها ذى الحجة إلى شهر آخر غير حرام، وهذا هو النسىء المشار إليه بقوله تعالى: ﴿ **إنما النسىء زيادة فى الكفر**﴾، ونلاحظ أن الآية ختمت بقوله تعالى: ﴿**واتقوا الله لعلكم تفلحون**﴾.

والأمر بالتقوى يتضمن القيام بجميع الواجبات واجتناب البدع والمنكرات والالتزام الكامل بأوامر الله واجتناب نواهيه ولن يتحقق الفلاح إلا بالتقوى.

إن العبادات الإسلامية فيها دعوة لوحدة الصف ولم الشمل واجتماع الكلمة.

فالمسلمون تجمعهم مواقيت الصلاة، والجمعة، والجماعات، والصيام، ويوم الفطر، ويوم عرفة، والأضحى، ويأتى مؤتمر الحج وهو مؤتمر إسلامى ربانى يجتمع فيه المسلمون من مشارق الأرض ومغاربها لم يدع إليه ملك ولا رئيس ولا أمير، وإنما دعا إليه رب العالمين عز وجل. دعا الناس إلى هذا المؤتمر ليلتقوا على كلمة سواء على كلمة الإسلام التى تعنى الحب والسلام.

فينبغى للمسلمين أن يستفيدوا من هذا المؤتمر الموسع وهذا التجمع العظيم.

فى صعيد عرفات وفوق ترابه يتجمع كل عام ما يزيد على ثلاثة ملايين مسلم من شتات الأرض ومن جميع الأجناس ليشهدوا منافع لهم ولجميع الأمم من حولهم، وكلها منافع دنيوية ومنافع أخروية.

تتجمع هذه الملايين لتتدارس مشكلاتهم ومشكلات العالم من حولهم ويضعون لها الحلول التى تصون البشرية من ويلات الحروب وتحميها من الفقر والمرض وتعمل على نهضتها فى اجتماع مبارك يرسى قواعد العدل والحب والرحمة والسلام.

فهل استفاد المسلمون من هذا المؤتمر؟ الذى يوحد ولا يفرق ويبنى ولا يهدم؟ إن أعداء الإسلام هم الذين يدركون خطر هذا المؤتمر لدرجة أن أحد هؤلاء فى مطلع هذا القرن وهو من المبشرين العتاة كتب تقريرا بعد أن فشلت مهمته التنصيرية فى مصر، قال فيه:

سيظل الإسلام صخرة عاتية تتحطم عليها محاولات التبشير ما دام للإسلام هذه الدعائم الأربع: القرآن الكريم .. والأزهر .. واجتماع الجمعة.. ومؤتمر الحج.

بهذا يتأكد لكل عاقل بأن أعداء الإسلام يعكر صفو حياتهم مؤتمر عرفات؛ لاجتماع المسلمين على صعيدها الطاهر، ولأن هذا المؤتمر يجمع شتات المسلمين من جميع بقاع الأرض ليذكرهم بربهم ويرسخ فيهم وحدة الصف ومعانى الحب والإخاء والتعاون والإيثار والألفة والرحمة.

إن هذا المؤتمر يذكرهم بتاريخ الإسلام وعظمته ويذكرهم بالبيان الرائع الكامل الشامل الذى ألقاه الرسول ﷺ على مسامع الدنيا منذ أربعة عشر قرنا من الزمان من فوق أرض عرفات المقدسة.

تضمن القرآن الكريم مفاتيح السعادة وعوامل النهضة التى لو أخذ بها المسلمون لعزّ جانبهم وسادوا العالم كله

هذا البيان الذى يؤكد على قيمة الإنسان ويرسى قواعد العدل والتسامح والرحمة ويدعو إلى وحدة الصف واجتماع الكلمة ويضمن سعادة البشرية فى الدنيا والآخرة، ومما ورد فى هذا البيان قوله ﷺ: «**يا أيها الناس إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربى على أعجمى ولا لأعجمى على عربى ولا لأبيض على أسود ولا لأسود على أبيض إلا بالتقوى.**

أيها الناس إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا».

على الأمة الإسلامية إن أرادت النجاة أن تسرع الخطا نحو وحدة الصف واجتماع الكلمة.

عليها أن تلتزم بأوامر دينها وأن تعتز بشرعها وتتبع خطا نبيها حتى تعود إليها هيبتها وتستعيد عزتها ومكانتها.

وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿**وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾ (سورة الأنعام: الآية ١٥٣).

نظرات جادة فى منبر الإسلام (٢)

المستشار/محمد التهامى

يطيب لى أن أنظر إلى مجلة منبر الإسلام من زوايا متعددة شاملة لأنى أراها عنصراً فاعلاً فى محاولات تصويب خطوات حركة الدعوة الإسلامية المعاصرة، وهى بطبيعة الحال لا تفعل ذلك وحدها، ولكنها حلقة فى سلسلة طويلة تحيط بالمجتمع كله والله ولى التوفيق.

ولقد لفتنى فى مقال حديث شهر ذى الحجة لرئيس مجلس الإدارة أنه وضع يده على لبنة فعالة جدّاً فى جدار بيت الداء مشيراً إلى مؤامرات أعداء الدين الإسلامى على كثرتها وهو لا ينكرها، ولكنه ينكر أشد النكران الموقف منها كما يفعل المخطئون الذين يؤمنون بها إيماناً يؤدى إلى الخضوع لها وقبولها كقدر مكتوب وإلى السكون أمامها والالتجاء إلى الدعاء لله للخلاص منها بتواكل يكاد يصرف عن العمل لمقاومتها.

ويرى المقال أن الذى ينبغى أمام هذه المؤامرات - على فرض وجودها - أن يستثار النشاط الجم وتستيقظ الهمم القعساء ويتضاعف العمل الجاد لنهضة العالم الإسلامى لتجاوز الوضع الراهن واللحاق بالأمم السابقة وتجاوزها بكل الوسائل المادية والمعنوية مع الاعتماد على الله حتى تصبح الأمم الإسلامية متفوقة ورائدة فى جميع مجالات إعمار الكون واستثمار ما وهبه الله للإنسان من معطيات هذا الكون ليكون خليفة الله فى الأرض ويؤدى الرسالة التى خلقه الله من أجلها، وبهذا تكون مجلة منبر الإسلام قد أدت دورها وبقى على الحلقات الأخرى المعاونة أن تؤدى دورها كذلك، وذلك بأن توضع المجلة بكل الوسائل الممكنة فى أيدى الدعاة القائمين الآن بالدعوة والخطابة فى مساجد وزارة الأوقاف وغيرها إن أمكن، ثم يقوم مفتشون من الوزارة بالتردد على المساجد أيام الجمع ويسمعون ما نسمعه كلنا الآن فى كل المساجد بلا استثناء من دعوات كثيرة وطويلة ومملة ومكررة بأن يأخذ الله الأعداء أخذ عزيز مقتدر وأن ييتم أولادهم ويشردهم فى الأرض إكراماً للمسلمين القاعدين.. ثم تعقد الاجتماعات مع الدعاة لتوجيههم، وليس هذا الاقتراح من عندى، فقد جاء بحذافيره فى مقال شهر ذى الحجة بمنبر الإسلام.

ولا تقتصر رسالة منبر الإسلام من وجهة نظرنا على التبليغ والتنوير فقط، ولكن لها رسالة المتابعة والعمل والتنفيذ، فهى مجلة وزارة مسئولة تملك المقدرة المتاحة، وحلمنا الكبير أن يدور مقال الشهر الجديد حول كيفية تفعيل العقل المسلم بعد إعداده للتحرك الواعى ووجوب تزويده بالعلم الذى يكفل استثمار العقل وتقسيم مقررات العلم

المختلفة بين التخصصات المتعددة على هدى القرآن الكريم، فمثلاً تتفرغ فئة (وهذا لفظ قرآنى) للتخصص فى العلم بشئون الدين حيث تقوم بتنوير جميع الناس دينيًا والقيام وحدها بالفتوى الرسمية فى جميع شئون الحياة المادية والمعنوية، بينما يتفرغ سواد الأمة للعمل المادى والمعنوى لإعمار الكون على هدى من الله، وتتولى الوزارة عن طريق منبر الإسلام وجميع الوسائل المتاحة حث الجهات المتخصصة بأسلوب رفيع على تنظيم تحصيل العلم وتصويب العمل وإتاحته لكل قادر حسب تخصصه لتحصل على الإنتاج الوفير الذى يسد حاجة جميع الناس فى الداخل ويغمر الأسواق فى الخارج ويضمن لنا جميعًا الرخاء الوفير الموزع على الجميع بالعدل والقسطاس.

ويا حبذا لو بدأ المقال الشهرى بالتوجيه إلى التحرك الواعى فى مجال الحلقة الأولى من سلسلة العمل الرفيع فى أحضان دوائرها القريبة، فقد حدث أن شغلت منذ عقدين من الزمان بموضوع فى منتهى الخطورة اكتشفته وأنا مدير مكتب الجامعة العربية فى أسبانيا فى سبعينيات القرن الماضى حيث وجدت أن كتب التاريخ والتربية المقررة فى المدارس والتى يمتحن فيها التلاميذ على مستوى القاعدة الشعبية العريضة تحتوى على أخطاء قاسية جدًا تتناول العرب والمسلمين وشخصية النبى الكريم عليه الصلاة والسلام، وفزعت إلى جميع الجهات من السفارتين المصرية والسعودية ومعهد الدراسات الإسلامية المصرية ولكن حالت اتفاقية (كامب ديفيد) دون استمرار العمل، وعدت إلى مصر وفى لجنة التعريف التى أتشرف بعضويتها أثرت الموضوع ووجدت مؤازرة من الأستاذ الدكتور عبد الصبور مرزوق أمين عام المجلس الأعلى - فى ذلك الوقت - ومن معالى وزير

رسالة مجلة منبر الإسلام لا تقتصر على التبليغ والتنوير فحسب ولكن القيام بالمتابعة والعمل والتنفيذ أيضا

الأوقاف وخاطبنا جميع الجهات المسئولة فى وزارة الخارجية والجامعة العربية، وأخيرًا منذ سنتين دعت اليونسكو لعقد مؤتمر فى الجامعة العربية لبحث (تصويب مناهج التدريس فى الدول الأجنبية) واستطعنا المشاركة فى المؤتمر وفوجئت فى وضع مشروع التوصيات بأن التوصية الأولى تدعو إلى تصويب المناهج فى الجانبين، ولما اعترضت على أساس أن هذا يخالف عنوان المؤتمر، قال مندوب اليونسكو: إننا لجان حوار والحوار يستلزم الجانبين، ومما يضحك الثكلى أن التصويبات بدأت فى الجانب المصرى فقط، ومما دعانى إلى هذه الثرثرة أنى أثناء مناقشة الموضوع فى لجنة التعريف بالإسلام تصدى لى شاب مثقف كبير أحبه جدًا وأحترمه وأتابع تألقه فى الفضائيات بقوله: نحن علينا القول والدعوة إلى الحق أما التنفيذ فليس من اختصاصنا، وهذا ما يدفعنى إلى الالتجاء إلى حديث الشهر فهو الذى يملك الدعوة والحث على التنفيذ والمتابعة المجدية فى دوائر الوزارة وخارجها.

أما ما جاء فى العدد فى مقال سعادة الدكتور رئيس التحرير عن الخمر والمخدرات فهو ينم عن المقدرة على الإحاطة بالموضوع الذى يستهدف أن ينقذ الجميع من هذه الموبقات المحرمة التى حرصت النصوص الإسلامية على النهى عنها لأنها تذهب بالعقل وتهدر قيمة الإنسان كعنصر

فاعل فى التقدم الثقافى والحضارى المنشود وتحول بين الإنسان وبين أداء دوره المناط به فى العمل على إعمار الكون وهى المهمة التى خلق الله الإنسان من أجلها وسخّر له معطيات الكون من أرض وسماء ونجوم وكواكب ومياه وأمطار ورياح ليفعل بها ما يستطيع من استثمار واستغلال مصالح البشرية كلها، وبذلك يستحق ما حباه الله به من أن يكون خليفة الله فى الأرض ويفضله ربه على الجميع حتى الملائكة الأبرار الذين يأمرهم ربهم بالسجود له إعزازًا وإكبارًا.

والحقيقة التى تذكر وتشكر أن المقال لم يهمل هذا الجانب ولكنا نطمع فى التكرار ومداومة الإلحاح حتى يهتز مهاد النائمين ويلتفت اللاهون والعابثون وما أكثرهم فتتحقق رسالة منبر الإسلام الرفيعة.

وليت المقال يتطرق بعد ذلك إلى دراسة مشكلة الخمور والمخدرات ويتقصى أصلها وفصلها فهى آفات طارئة على المجتمع الإسلامى النظيف الملتزم بالتعاليم الإسلامية الرفيعة وقد غرسها وروج لها وتاجر فيها الاستعمار الأجنبى الآثم الذى جثم على صدورنا عقودًا كثيرة فأفسد فينا وضلل خطانا... وفى تاريخنا الحديث أن الذى جلب المخدرات إلى مصر بضراوة هم حكام مصر من الإنجليز المستعمرين وكلنا يذكر أعمال (رسل باشا) حكمدار العاصمة وكذلك (جيز بك) نائب الحكمدار وهما من عتاة الاستعماريين الإنجليز الذين أثروا من جلب المخدرات إلى مصر والمتاجرة فيها، وليت المقال فى الأعداد القادمة يحث على عقد الاجتماعات والمؤتمرات لكبار العلماء المصريين من أطباء وعلماء نفس وعلماء الاجتماع ورجال الأمن لدراسة أعماق المشكلة وتتبع جذورها وفروعها تمهيدًا للقضاء عليها من أساسها، وللحق نقول أنه كانت هناك محاولات لمحاربة المشكلة من قبيل تغليظ العقوبة ولكن ثبت أن هذه الوسيلة وحدها لا تكفى، بل يجب أن تساعدها دراسات المتخصصين، وهكذا تكون منبر الإسلام لا تقتصر على مجرد الدعوة ولكنها تندفع إلى تحقيق الهدف لتكون الوسيلة الناجعة فى تقدم المجتمع الإسلامى ورقيه وسلامته.

وفى عدد ذى الحجة أيضًا موضوع عن تعرض الإسلام لمشكلات البيئة وهو يقترب من الموضوع المثار منذ مدة عن الإعجاز العلمى للقرآن، وهو فى مفهومه الظاهر يدور حول إثبات أن المعطيات العلمية المعاصرة فى العالم الحديث قد وردت الإشارة إليها فى القرآن الكريم منذ أكثر من ألف وخمسمائة عام، وقد يكون المقصود - والله أعلم - تعميق إيمان المسلمين وإغراء الغير باعتناق الإسلام، وهذا يذكرنا بالحكاية القديمة عن عجوز بغداد التى كانت جالسة أمام كوخها عندما سمعت ضجة كبيرة وهتافات عالية فى الشارع الكبير، فسألت من حولها عن هذه الضجة، فقيل لها: إنهم يحتفلون بالعالم الكبير الفيلسوف (الفارابى)، فقالت: ومن هذا (الفارابى)؟ فقالوا لها: إنه الفيلسوف الذى توصل إلى ألف دليل على وجود الله؟ فقالت بتلقائية شديدة: وهل وجود الله فى حاجة إلى دليل؟!!

إن المشكلة تتمثل فى أن قرآننا هذا كان فى يد علماء المسلمين النابهين فى القرون الأولى فوصلوا به إلى قمة العلم فى الطب والهندسة والفلك، ونقل عنهم علماء الحضارة الحديثة هذا العلم وبلغوا به السماء وسكنوا النجوم بينما تراجع المسلمون، ورسالة منبر الإسلام أن يعرف المسلمون المعاصرون الذين تراجعوا وتخلفوا أسرار دينهم وعطاء قرآنهم ليستعيدوا مجد البشرية الصحيح فى الحياة المادية والروحية والله ولى التوفيق.

أقلام نسائية

- العالم الإسلامى فى النظام الدولى ..

  التحديات والفرص (٣).

- الأسرة والتنشئة الصالحة.

العالم الإسلامى فى النظام الدولى .. التحديات والفرص

نحو خطاب إنسانى يتجاوز خطاب الثنائيات (٣)

د. نادية محمود مصطفى

إن الطرح السابق عن الوجه الأول للعملة - أى وضع العالم الإسلامى فى النظام الدولى - إنما يبرز لنا استقطابًا ثنائيًا حادًا بين رؤيتين متقابلتين ذائعتين (وإن كان إلى جانبهما رؤى أخرى أقل سيادة).

رؤيتنا تجاه الآخر باعتباره يأتى بـ: حرب صليبية، استعمار، إمبريالية، هيمنة، تغريب احتلال، عولمة، علمانية، استغلال، أو باعتباره: مصدر التقدم والعلم والمعرفة والنمط الذى يجب الاحتذاء به. ورؤيته تجاهنا باعتبارنا: تخلفًا، إرهابًا، عنفًا، عدم تسامح، استبدادًا، بدائية، أو باعتبارنا أصحاب: الحضارات القديمة والأرض موطء الأديان ومكمن الثروات.

ويدفع هذا الأمر للتساؤل إما من منطلق آخر لرؤيتنا (هو منظور فقه حضارى يؤصل لفترات قوتنا؛ حيث لا بد أن يؤصل لمراحل ضعفنا الآن «منظور فقه حضارى»: يستدعى مفرداتنا ومفاهيمنا الحضارية، ومنظومات قيمنا الحضارية عن علاقتنا وموضعنا من العالم، ويؤصل لمفاهيم محورية فى هذه المنظومة: الأمة: الدعوة، التعدد والتنوع، التعارف والحوار والتواصل، التدافع والجهاد والحرب والسلام، العدالة والإخاء والإنسانية...؟

ومن ناحية أخرى، فإن الطرح السابق عن الوجه الأول للعملة، مهما بلغت وطأته، فلا يجب أن يُخفى ملامح للأمل مبعثها أبعاد المقاومة الجارية من ناحية وأبعاد الإمكانيات القائمة من ناحية أخرى، وأقصد هنا أبعاد المقاومة ضد خطط إحكام سيطرة المشروع الأمريكى الصهيونى على المنطقة استنادًا إلى مثلث احتلال: أفغانستان - العراق - فلسطين، واستكمالاً ودعمًا لبؤرتين أخريين: الاحتلال الناعم للخليج، والتجزئة والتفكيك لمراكز قوة أخرى باستخدام ورقة الطائفية والعرقية والمذهبية والقومية...

وهذه المقاومة تأخذ صورًا عدة ابتداء من المقاومة العسكرية (العراق، أفغانستان، فلسطين) إلى إعادة بناء القوى العسكرية (إيران) والقوى الشاملة (تركيا) إلى إعادة بناء النموذج من الداخل (المعارضة الإسلامية الداخلية).

أما عن الإمكانيات القائمة،فلا داعى أن أستبعد كل ما ينشر عن مقومات الثروة البشرية والمادية التى ما زالت قائمة، بعد كل قرون النهب والاستنزاف، والتى ما زال الصراع قائمًا من أجل استكمال هذا الاستنزاف (تكفى الإشارة إلى إمكانيات الزراعة الهائلة فى أفريقيا، والثروات الجديدة غير البترول).

وكلا الأمران: أبعاد المقاومة والإمكانيات، يحتاجان لاستمرارهما وتفعيلهما ليتحولا إلى تيار من التغيير الشامل؛ أى رؤية استراتيجية عن وضع العالم الإسلامى فى النظام الدولى من منظور فقه حضارى وليس مجرد منظور سياسى أو عسكرى أو اقتصادى. وسأركز فى حديثى على ما يتصل بالشباب ودوره فى إصلاح وضع العالم الإسلامى فى النظام الدولى أو مواجهة ضغوط هذا النظام ومن أهم منطلقات هذه الرؤية ما يلى:

١ - إن النموذج الحضارى الإسلامى الذى تحققت فعالياته خلال قرون القوة والفتح والإنجاز الحضارى، هو نموذج بدأ من الداخل، ومن الإنسان، واتجه للخارج مثبتًا فعالياته، سواء فى إدارة الحروب أو إدارة السلام من أجل بناء حضارى، وفى ظل تواصل وتعارف حضارى لا ينقطع مع الآخر، هذا النموذج تعرض بالتدريج للتشوه، ابتداء من الداخل بالأساس، على نحو مكّن منا الآخرون - أصحاب النموذج الحضارى المقابل أو المضاد - ولم تكن أدوات تَمكُّنهم منا، مجرد أدوات الحرب والسياسة والاقتصاد التقليديين، ولكن أدوات الثقافة أيضًا التى تتعامل مع منظومات القيم التى هى للإنسان كمنظومة العصبية المركزية. ولقد وصل هذا التوظيف الآن أقصاه بعد قرون ممتدة من توظيفه لخدمة أدوات السيطرة الأخرى: ابتداء من التبشير إلى التغريب إلى العولمة الثقافية على النمط الحداثى الوضعى.

إن هذا القول عن وضع الأبعاد الثقافية والقيمية لا يعنى بالطبع إسقاط الأبعاد الأخرى؛ فهذا من غير طبائع الأمور، ولكن تأكيدًا للتمازج والتداخل بين المجموعتين، وعلى نحو يفسح الطريق (وعلى ضوء نتائج الخبرة التاريخية الممتدة) لإعادة التأكيد على أهمية وضرورة تجديد النموذج الحضارى،

مواجهة ضغوط وقيود الخارج لا يكفى لها مجرد تكديس السلاح أو الشعارات الحماسية ولكننا بحاجة لمشروع نهوض حضارى متكامل

واستمرار المقاومة انطلاقًا من متطلبات هذا التجديد، بل وبناء عليها. ولذا، فلا غرابة أن نجد أن أبعاد المقاومة الجارية إنما تقوم على مشروعات تستهدف إحياء وتجديد هذا النموذج الحضارى الإسلامى الذى لا يعلى من القوة المادية على حساب المعنوية، ولكن يجعل من الأخيرة منطلقًا ومرتكزًا لتفعيل القدر المتوافر من القوة المادية بغية إحداث اختراق فى الحلقة المفرغة من الإحباطات أو من انعدام أساليب القوة مقارنة بما لدى الأعداء. بل تصبح هذه القوة المعنوية هى المنطلق والأساس. إلا أن هذا الإحياء والتجديد لهذا النموذج يتطلب شروطًا وهى إعادة بناء الإنسان فى ظل هياكل ومؤسسات تؤمن بالفعل بحقوق الإنسان وحرياته وليس مجرد هياكل أو مؤسسات أو مواثيق تحسن استخدام هذه المصطلحات لأغراض التزين أو التخفى أو تغطية كل مظاهر الاستبداد والتسلط، بل تؤمن أن الشعارات الحماسية الانفعالية لا تكفى بمفردها، مهما حسُنت النوايا؛ لأننا نواجه قوى مضادة مسلحة بالعدة والعتاد والمعرفة والعلم.

٢ - **بعبارة أخرى،** علينا أن نعى أن مواجهة ضغوط وقيود الخارج لا يكفى لها مجرد تكديس السلاح واستيراده أو مجرد أنماط التنمية الاستهلاكية التى توفر لنا أشكال ومظاهر التقدم وليس جوهره. أو مجرد الشعارات الحماسية

المعادية للغرب وحضارته، ولكن واقع النظام الدولى وما آل إليه وضع المسلمين فيه يحتاج لمشروع نهوض حضارى متكامل، لن تقوم به النظم القائمة بمفردها إذا حسنت نواياها وقدرتها ورؤاها - ولكن يجب أن يضطلع بمسئوليته كل إنسان وكل فرد - وخاصة إذا لم تصلح نوايا النظم القائمة -فعلى كل منا واجب المقاومة فلقد أضحت المقاومة فرض عين على الجميع فى وقت استبيحت فيه الأمة على كل المستويات، ولذا لا غرابة أن الشباب أضحى هدف الجميع: النظم المستبدة القائمة، المؤسسات الدولية العالمية التى تسيطر عليها القوى الكبرى، المؤسسات المدنية العالمية وغير القومية: فالشباب مستهدف بكل برامج التربية المدنية، والمشاركة السياسية، والتنمية البشرية، وحوار الثقافات والحضارات... كل يريد اجتذابه إلى دائرة صفوفه، ولذا فالخوف كل الخوف على تشتت الولاء والانتماء والتوجه والوجهة فى زمن العولمة.

٣ - إن جهود تجديد وإحياء النموذج الحضارى الإسلامى، وإن بدأت من الأوطان، إلا أنها لا يمكن أن تظل حبيسة حدوده، ولكن جهود التواصل عبر الحدود التى جزأت الأمة يجب أن تستمر بكل الطرق الممكنة. فإذا لم يكن للنظم القائمة إيمان بما يمكن أن تحققه وحدة الأمة الفعلية، وليس مجرد استدعاء هدف الوحدة فى الخطب الرسمية والمناسبات، فلا بد أن يستمر إيمان الشعوب بهذه الوحدة القائمة بالفعل على الرابطة العقدية أساسًا، والعمل على تحويلها إلى واقع فعلى وعلى مصالح ملموسة للشعوب.

إن استمرار الوعى بهذا الوجود الدائم للأمة هو الشرط المطلوب البناء عليه بعد ذلك، وهذا يمكن أن يتحقق من خلال التواصل المنظم والمستمر عبر قنوات عديدة تتوافر حاليًا، ولعل هذا هو أهم إيجابيات العولمة - لمن يريد الاستفادة منها - حيث إن الأشكال متعددة والسُبل متنوعة أمام الشباب الفاعل و المبادر للتنسيق والتشبيك فيما بينه عبر الحدود حول قضايا الأمة ومن أجل تفعيل التضامن ضد: الامبريالية والصهيونية والاستبداد والاستغلال وتحقيقًا للحريات وحقوق الإنسان.

إن الشباب هو القادر على تغيير ما آل إليه جمود الأمة وعدم حراكها لدرجة دفعت البعض للقول: «هل نعلن موت الأمة». هل الشباب الذى يعانى من التشتت المعرفى والفكرى والذى يعانى من البطالة وانعدام الحقوق، هل هو القادر على تحقيق هذا الانطلاق؟ إنه لظلم شديد أن نحمله بمفرده أعباء تغيير تراكمات ممتدة، ولكن لا بد من نخب قائدة وحاكمة تتحالف مع هذا الشباب وتحول طاقاته إلى مجرى للتغيير، ليس لصالحها ولكن لصالح الوطن والأمة والعالم كله.

٤ - إن الرؤية الاستراتيجية التى نتحدث عنها لا تريد أن تخلق ثنائية أخرى فى مواجهة النظام الدولى الراهن وما تحمله من ضغوط وقيود على وضع العالم الإسلامى، ولذا فإذا كان العالم الإسلامى قد واجه تحولات حضارية عالمية متتالية عبر ما يزيد عن القرنين، فإن سعيه لحل مشاكل وتحسين وضعه ودوره فى النظام العالمى، ليس اختيارًا حضاريّا متعصبًا لحضارة بعينها ضد أخرى، ولكنه اختيار يتعصب للإنسانية كلها، فهى تمر بأزمة، كما أن النموذج الغربى (الذى يبدو سائدًا أو منتصرًا) يمر بدوره بأزمة تتزايد حلقاتها استحكامًا مبرزًا حيوية تأثير الأزمات القيمية والأخلاقية، بل وربما إنشاء الأزمات المادية: المالية منها والاقتصادية، وهذه الأزمات لا تقتصر - بالطبع - على حدود الغرب الجيوستراتيجية؛ ولكنها تمتد إلى العالم كله قدر امتداد تدخلات

ونفوذ القوى الغربية عبر العالم، مدعية السعى لاستقرار وأمن وسلام العالم. ويصبح السؤال: كيف نُفعِّل المساعدة فى التغيير العالمى انطلاقًا من منظومة القيم الحضارية الإسلامية القائمة على: التوحيد، والتزكية، والعمران، والتدافع والتداول، والتعدد، والتنوع، والتعارف، والتواصل، والحوار، ومن أجل تحقيق العدالة محور منظومة القيم الإسلامية بل والإنسانية؟

إن سبل المقاومة الحضارية الشاملة أمام «الشباب ذى التوجه الحضارى الإسلامى» عديدة: سواء على صعيد العلم والمعرفة، أو الإعلام، أو المجتمع المدنى أو الدبلوماسية أو التنمية الاقتصادية..

إن هذه السبل لا بد وأن تدفعه إلى دائرة الانتماء الإنسانى العالمى، من منطلق توجهه الحضارى الإسلامى، سعيًا نحو تفعيل خطاب إنسانى إسلامى جديد، لا يعتذر عن تراث الحضارة الإسلامية ولا يدافع عنها أو عن أصولها وواقعها، ولكن يقدم رؤى بنائية من منظور فقه حضارى لمشاكلنا كجزء من مشاكل العالم بل وفى قلبها ومن جراء مشاكل القوى المسيطرة على هذا العالم مع نفسها ابتداء ثم تصديرها إلى غيرها.

ومن هذه السبل الروابط مع مبادرات المجتمع المدنى العالمى أو تحالف الحضارات؛ فإن الشعوب الغربية ليست هى الحكومات والسياسات الغربية، التى نعانى من تأثيراتها على النظام الدولى برمتها. ناهيك عن تلك المبادرات التى لا تتجه إلى شعوب الغرب فقط ولكن هناك «الشرق أيضًا، الذى نحن جزء منه جغرافيًا. وهذا الشرق، إلى جانب حضاراته وشعوبه، التى قد نتقاسم معها بعض

من الظلم الشديد أن يحمل الشباب بمفرده أعباء التغيير ولكن لابد من وجود نخب قائدة وحاكمة تتحالف مع الشباب

القواسم أكثر مما نتقاسم مع حضارة الغرب، هذا الشرق ليس شعوبًا فقط لا بد وأن نتواصل معها، ولكن يبرز على صعيده قوى دولية أيضًا سبق ونافست الغرب على قيادته للعالم - «الاتحاد السوفيتى السابق»، وتحاول أن تستعيد دورها (روسيا الاتحادية)، فضلاً بالطبع عن تلك التى تريد أن تدعم دورها كمنافس جديد (الصين). هذه القوى «الرسمية» تمثل فرصًا لنظمنا لا بد وأن تعيد حساباتها حول أنماط علاقتنا بها وكيفية تفعيلها.

وأخيرًا وليس آخرًا بالطبع، فإن «الغرب - الشرق» ثنائية قد تسقط عن قصد أو عن غير قصد دائرة «الجنوب أو العالم الثالث» والتى نحن كعالم إسلامى جزء منها، فإن شعوب ونظم هذه الدائرة تتقاسم معنا الكثير من المشاكل النابعة من النظام الدولى المحيط، ولقد تمكن البعض منها من إحراز إنجازات على أصعدة مختلفة اقتصادية وعسكرية.. إلخ، استدعت القول بأنها من القوى الصاعدة الإقليمية الجديدة، مثل كوريا الجنوبية، سنغافورة، الهند، البرازيل، وهى دول لا تنتمى إلى «العالم الإسلامى»، إلا أننا نتقاسم معها الكثير من المشاكل والفرص على حدٍ سواء.

وبعد أن كانت هذه الدول - وغيرها - تنتظم فى تجمعات تعبر عن مشاكلها: مجموعة عدم الانحياز

ومجموعة الجنوب،... تآكلت هذه التجمعات بعد أن تم شد أطراف أعضائها إلى تجمعات أخرى مع الدول الكبرى، وهو الأمر الذى يستدعى التفكير فى أنه إذا لم تكن السياسات الرسمية قادرة بعد على تفعيل هذه التجمعات من جديد ألا يمكن للشعوب أن تجتهد فى ذلك موظفة لهذا الغرض آليات العولمة؟

خلاصة القول: إن «التضامن العالمى» من أجل وضع مشاكلنا كعالم إسلامى - فى سياقه العالمى - هو اقتراب لا بد من الحرص عليه بغية تعبئة مساندة القوى المضادة للعولمة أو ما يسمى العولمة البديلة أو المقابلة للعولمة التى تسودها الأمركة والتغريب.

إن هذا المنهج وإن كان لا يضمن فى كل الأحوال الاستجابة لمطالب الهوية والخصوصية فى ظل الإنسانية؛ حيث إنه قد يغلب أحيانًا اعتبارات الإنسانية العالمية على ما عداها من انتماءات ذات مرجعيات أخرى غير ما يسمى مرجعية الحقوق العالمية، إلا أن هذا المنهج لا بد وأن يحقق تنسيقًا فى مواجهة المشاكل العالمية التى تمس الجميع على كوكب الأرض أى على صعيد النظام العالمى - وليس مجرد نظام الدول - وهى تحديات الانفجار السكانى، وثورة الاتصالات، وثورة المعلومات، والتكنولوجيا (الزراعية، البيولوجية، الميكنة) أزمة البيئة. فالأزمات والصراعات والحروب (الصراع العربى الإسرائيلى، أو احتلال العراق، أو احتلال فلسطين، أو ثورات الشيشان، وحروب البلقان، أو كشمير، أو.. إلخ من صراعات القوى التقليدية فى أرجاء العالم الإسلامى المختلفة) التى تهدد أمن واستقرار العالم، ونحن فى قلبه، ليست فقط هى النمط الوحيد أو الأخطر من الأزمات والتهديدات والتحديات؛ بل النمط الآخر لا يقل خطورة بل إنه يبدو متداخلاً - بصورة أو بأخرى - مع هذا النمط الشائع الذى ظل يحوز اهتمامنا كبؤرة للصراع مع التدخلات الخارجية فيه. إلا أنه للعملة وجه آخر لا بد من الانتباه إليه؛ لحاجته لعمل جاد وليس ليصرفنا عن الصراعات الأخرى الحيوية التى تدور على أراضينا وتهدد تماسك الأوطان والهويات والخصوصيات والاستقلال السياسى. فهذه الأخيرة رغم أهميتها إلاَّ أنها لن تدار برشادة دون الانتباه إلى: مشاكل «الإنسان» وحقوقه وحرياته، بل والأهم إلى واجباته فى المشاركة فى مواجهة ما يواجه الإنسانية برمتها من تهديدات.

وكل هذا يحتاج إلى رؤية استراتيجية من منظور فقه حضارى تكون قادرة على توليد خطابات وسياسات «إنسانية» إسلامية جديدة، سواء على صعيد النخب الحاكمة أو على صعيد الشعوب، وفى قلبها النخب الشابة المعارضة سياسيّا أو الناشطة مدنيّا أو المتفاعلة عالميّا مع نظرائها.

إن هذه الرؤية ليست رؤية انصياع أو تكيف «بكرامة» وهى ليست بديلا لرؤية المقاومة العسكرية، ولكنها رؤية تقوم على الحاجة إلى استدعاء كل صور «المقاومة الحضارية»، وكلٌ من موضعه وكلٌ بقدره الذى يستجيب لمقاصد الشريعة، وعلى نحو يستجيب لضغوط النظام العالمى المحيط ويحقق - تدريجيّا وبصورة تراكمية - إمكانيات التغيير فى ضوء الإمكانيات والفرص المتاحة. إنها دعوة لرؤية إنسانية عالمية تعارفية تنطلق من استعادة منظومة القيم الإسلامية فى بناء الفرد والمجتمع والدولة والعالم. هى رؤية يشارك فيها الإنسان، الشاب وغيره، وليس بالضرورة فقط النظم والحكومات، وإن كانت تلك الأخيرة ما زالت تتحمل مسئولية الراعى.

الأسـرة والتنشـئـة الصالحـة

ناهد الخراشى

يستمد منهج التربية الإسلامية من النبع الفياض - هدية الله عزوجل إلى العالمين - القرآن الكريم الذى يرسم لنا الصورة المثلى النابضة الكاملة التى يجب أن يتحلى بها الإنسان فيستحق أن يكون خليفة الله فى الأرض، ويرشدنا إلى الأسوة الحسنة التى يجب أن يقتدى بها الإنسان ويتخلق بأخلاقها متمثلة فى رسول الله ﷺ فيسير على طريقه ويتعلم من منهجه فى الحياة.

إن بناء الإنسان الصالح فى الإسلام يساعد على تكوين الأسرة الصالحة التى تهدف إلى تحقيق صلاح المجتمع وتقدمه... فالأسرة هى الخلية الأولى فى المجتمع، بل تعتبر اللبنة الأساسية التى يقوم عليها المجتمع كله، ولا تتكون الأسرة الصالحة إلا باتباع المنهج الربانى الذى منح كل فرد الإجابة الشافية والمعرفة الوافية بالطريق الواجب اتباعه، والسلوك الأمثل الواجب الاقتداء به، والخلق الفاضل الواجب التحلى به مما يضمن الاستقرار والأمان.

ومن هنا يتبلور لنا الدور المهم الذى يجب أن تقوم به الأسرة وأثرها البناء فى التمسك بهذا المنهج الإلهى الفريد والعمل على تنشئة التربية الإسلامية وغرس مفاهيمها ومبادئها فى نفوس أبنائها.

هناك حقيقة مهمة يجب أن نعترف بها وهى أن تربية الأطفال لمن أشق الواجبات وأخطرها وأدقها، ولذلك فإن المسئولية الكبرى تقع على الأم، وهى مسئولية خطيرة لا يستهان بها.. فهى صمام الأمان وينبوع الحب والحنان.. إنها المنبت الرئيسى والبذرة الطيبة إن صلحت أنبتت فروعًا وأزهارًا مثمرة.

الأم مدرسة إن أعددتها
أعددت شعبًا طيب الأعراق

ولا شك فى أن للأم دورًا كبيرًا وأثرًا عظيمًا فى تربية الأبناء التربية السليمة الصحيحة، وليس هناك أفضل من تنشئة الأبناء على التربية الإسلامية وذلك من خلال:

١ - إفهامهم الدين الإسلامى بأسلوب مبسط جميل، وإخبارهم بقصص الأنبياء بطريقة محببة مشوقة تهفو إليها نفوسهم.

٢ - وإرشادهم إلى نماذج فى صورة حكايات تعبر عن الأخلاق القرآنية كالأمانة، والصدق وحب الخير وغيرها.

٣ - وتعليمهم الآداب التى حث عليها الدين الإسلامى مثل: أدب الأكل والشرب - أدب الزيارة والاستئذان - أدب التحية واللقاء - أدب المشى والجلوس - أدب الحديث، إلى غير ذلك من الآداب الإسلامية.

٤ - وتعويدهم على ذكر الله الدائم كأن ينام

الطفل ويستيقظ على ذكر الله - وأن يبدأ أكله ببسم الله ويختمه بالحمد لله، وتشجيعهم على قراءة الكتب الدينية منذ الصغر، إلى غير ذلك من أسس ومفاهيم وأصول ومبادئ التربية الإسلامية، فتضمن لأبنائها طريقًا آمنًا سليمًا، مطمئنة عليهم باتباعهم والتزامهم بمنهج التربية الإسلامية بكل ما فيه من أخلاقيات وآداب وتعاليم ترشد وتهدف إلى تكوين الشخصية القوية السليمة المستقيمة التى تهدف إلى الخير وتعمل من أجل البناء والتقدم.

إذن للتربية الإسلامية جانبان:

جانب يتعلق بالأخلاق القرآنية، والآخر يتعلق بالآداب الإسلامية. وللأم دور خطير وأثر فعال فى تنشئة أبنائها على أخلاق القرآن وغرس المفاهيم والآداب الإسلامية فى نفوس أبنائها حتى تكون طباعًا ملازمة لهم.

والأم بهذا الدور العظيم تسهم فى بناء المجتمع بناء سليمًا مما يساعد على تقدم الأمة، فإذا لاقى الأبناء التربية السليمة والتوجيه الصحيح فلا خوف على أمتنا لأنها ستكون بأبنائها أفضل وأعظم أمة، وليس هناك أفضل من التربية الإسلامية ولا أعظم من التوجيه الربانى، والأمة الإسلامية التى تتبع المنهج الإلهى وتلتزم بآدابه وأخلاقياته هى خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر.

قال تعالى: **﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾** (سورة آل عمران: الآية ١٠٤).

ولا نستطيع أبدًا أن نغفل أو ننكر دور الأب فى احتضان هذه المدرسة التعليمية الصغيرة والاظلال عليها بحبه وخبرته وحكمته وإرشاده وتوجيهه التوجيه السليم البناء الذى يبنى ولا يهدم ويغير إلى الأفضل، فيضمن الحياة الكريمة لأبنائه ويسعد بتحقيق رسالته من تربية أبنائه التربية الإسلامية الصحيحة... فهو شمس الحياة ومبعث الاستقرار لهذه الأسرة.

وهناك أمر مهم لا نستطيع نسيانه أو إغفاله مما يساعد مساعدة قوية على إنشاء التربية الإسلامية الصحيحة وتقويتها فى نفوس الأبناء وهو مراعاة الوالدين لبعض الأمور مثل:

١ - الاهتمام جيدًا بثقافتهما الإسلامية لتلقينها إلى الأبناء مع مراعاة اختلاف مراحل أبنائهما التعليمية وتفاوت تفكيرهم العقلى.

٢ - ومراعاة سلوكهما أمام الأبناء والاهتمام بكل تصرف يصدر منهما، حيث إن الأبناء ينظرون إليهما باعتبارهما قدوة ومثلاً أعلى يجب الارتباط والاقتداء به، فيقلدوهما فى كل شىء صغيرًا كان أم كبيرًا.

٣ - والاهتمام الدائم بالتحلى بالخلق الكريم والأدب الحميد إلى غير ذلك من الأمور التى تؤثر فى الأبناء تأثيرًا قويًا وتحقق الهدف المنشود من إنشاء التربية الإسلامية وهو بناء شخصية قوية مترابطة تعرف طريقها.. ثابتة تعلم وجهتها.. سائرة تحقق آمالها وطموحها فى الحياة فتكون الشخصية البناءة النافعة لنفسها ولمجتمعها.

فلا أمل فى أبناء بغير آباء صالحين يحملون الأمانة ويعرفون واجبهم ويقدرون مسئوليتهم نحو ربهم وأبنائهم ومجتمعهم، ولا مستقبل لمجتمع يقوم أفراده على الاهتمام بتطبيق عادات الغرب وتقاليده وينسى أو يتناسى الاهتمام بتطبيق تعاليم الإسلام وآدابه وأحكامه.

إن منهج التربية الإسلامية هو الهيكل التنظيمى الكامل المتكامل الشامل الذى يقوم عليه بناء الفرد لنفسه مما يساعد على تكوين الأسرة الصالحة التى توفر البيئة السليمة التى تقود الإنسان إلى الحياة الكريمة الآمنة المطمئنة.

الدعوة والخطاب الديني

- عصمة الله لرسوله ﷺ.
- المرأة وحقوق الإنسان.
- العلاج بالصدقة.

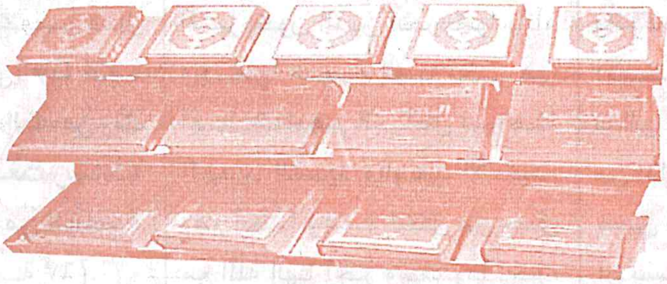

إنا كفيناك المستهزئين

عصمة الله لرسوله ﷺ

د/ أحمد عمر هاشم

إن مكانة رسول الله ﷺ عالية، وإن منزلته سامية، فمهما تطاول المتطاولون قديمًا وحديثًا فلن يستطيعوا أن ينالوا منه منالا؛ لأن رب العزة سبحانه وتعالى كما صان القرآن الكريم وحفظه كما قال تعالى مُعلنًا أنه تكفل بحفظه: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ (سورة الحجر الآية ٩)، فقد تكفل بعصمة رسوله ﷺ من المستهزئين ومن الناس أجمعين.

وقد أمر الله تعالى رسوله ﷺ أن يجهر بدعوته التى أمر بتبليغها وأن يعرض عن المشركين، فلا يلتفت إلى الظالمين المعادين، والمشركين الآثمين، الذين يريدون أن يصدوه عن آيات الله ﴿فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين • إنا كفيناك المستهزئين﴾ (سورة الحجر الآيتان ٩٤، ٩٥).

لقد أمر الله تعالى حبيبه ومصطفاه ﷺ أن يجهر بالدعوة وألا يخاف أعداء الإسلام من المشركين، فإن الله تعالى كافيه إياهم، حافظه من شرورهم وأذاهم كما قال سبحانه وتعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ**﴾ (سورة المائدة الآية ٦٧).

ولقد هدّد القرآن الكريم أولئك المستهزئين وحمل لهم الوعيد الشديد، فبعد أن قال سبحانه: ﴿**إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ**﴾ قال جل وعلا: ﴿**الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ**﴾ (سورة الحجر الآية ٩٦)، فهؤلاء المشركون الذين أشركوا بالله وجعلوا معه إلهًا آخر فى اعتقادهم الباطل لهم هذا التهديد الشديد والوعيد الأكيد، وهو أيضًا وعيد لكل من جعل مع الله إلها آخر ومعبودًا آخر، وهو وعيد لكل من استهزأ بالرسول ﷺ. وبين الله سبحانه وتعالى لحبيبه ومصطفاه أنه يعلم بما يُعانيه وما يلقاه من أذى المشركين: ﴿**وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ • فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ • وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ**﴾ (سورة الحجر الآيات ٩٧ - ٩٩) أى أن الله تعالى يعلم ما يحصل لرسوله ﷺ من أذاهم وبسبب استهزائهم من ضيق صدر ومن انقباض، فعليه أن يستمر فى الطريق ولا يثنيه كل هذا عن تبليغ الرسالة، وعليه أن يتوكل على الله فهو كافيه وناصره عليهم، وليشتغل

بذكر ربه سبحانه وتعالى، وعليه أن يسبح بحمد ربه وأن يكون من الساجدين وليكثر من العبادة والصلاة ﴿**فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين**﴾، عن نعيم بن همار أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**قال الله تعالى: يا ابن آدم لا تعجز عن أربع ركعات من أول النهار أكفك آخره**» رواه أحمد وأبو داود والنسائى.

ومن أجل هذا **كان رسول الله ﷺ إذا حزبه أمر صلى**. رواه أبو داود والنسائى. وأمره الله تعالى باستمرار العبادة والصلاة حتى الموت، فقال: ﴿**وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ**﴾، ويستدل بهذه الآية الكريمة على أن العبادة كالصلاة ونحوها واجبة على الإنسان ما دام عقله ثابتًا، فيصلى بحسب حاله، عن عمران بن حصين رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**صل قائمًا، فإن لم تستطع فقاعدًا، فإن لم تستطع فعلى جنب**» رواه البخارى.

وقد حفظ الله سبحانه وتعالى رسوله ﷺ وصانه من المستهزئين ومن أعدائه من المشركين وغيرهم.

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال أبو جهل: هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم؟ قالوا: نعم، قال: فقال: واللات والعُزى لئن رأيته يصلى كذلك لأطأن على رقبته ولأعفرن وجهه فى التراب، فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلى ليطأ على رقبته، قال: فما فاجأهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ويتقى بيديه، قال: فقيل له: ما لك؟ فقال: إن بينى وبينه خندقًا من نار وهَوْلاً وأجنحةً، قال: فقال رسول الله ﷺ: «**لو دنا منى لاختطفته الملائكة عضوًا عضوًا**» قال: وأنزل الله لا أدرى فى حديث أبى هريرة أم لا ﴿**كلا إن الإنسان ليطغى**﴾ (سورة العلق الآية ٦) إلى آخر السورة، رواه الطبرى، وقد رواه أحمد ومسلم والنسائى وابن أبى حاتم، وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال أبو جهل: لئن رأيت محمدًا يصلى عند الكعبة لأطأن على عنقه، فبلغ النبى ﷺ فقال: «**لئن فعل لأخذته الملائكة**» رواه البخارى.

جاء أمر الله تعالى لنبيه ﷺ بأن يجهر بدعوته ولا يخاف أعداء الإسلام؛ لأن الله كافيه إياهم وحافظه من شرورهم

وهكذا صان الله تعالى رسوله ﷺ من أذى المشركين، ومن تطاول المستهزئين.

وإذا كانت عصمة الله تعالى لرسوله ﷺ عَبْر التَّاريخ على هذا النحو، فلماذا لم يحدث للذين تطاولوا - فى عصرنا الحالى - على رسول الله ﷺ مثل ما حدث للسابقين من المتطاولين؟ والجواب على هذا هو أن الله تعالى يُمهل ولا يهمل كما قال جل شأنه: ﴿**ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار**﴾ (سورة إبراهيم الآية ٤٢)، وكما قال الرسول ﷺ: «**إن الله يُملى للظالم حتى إذا أخذه لم يُفلته**».

وكما صان الله تعالى رسوله ﷺ وعصمه من الناس وردّ عنه المستهزئين ﴿**إنا كفيناك المستهزئين**﴾ فإنه سبحانه وتعالى يرد أعداء الإسلام ومن يحاولون إطفاء نور الإسلام، وقد أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، قال سبحانه: ﴿**يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ • هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ**﴾ (سورة التوبة الآيتان ٣٢، ٣٣)، وقد وضح رسول الله ﷺ ظهور دينه حيث قال: «**إنّ الله زوى لى الأرض مشارقها ومغاربها، وسيبلغ ملك أمتى ما زوى لى منها**» رواه مسلم.

وعن تميم الدارى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله هذا الدين يعز عزيزًا ويذل ذليلا (بعز عزيز أو بذل ذليل) عزًّا يعز الله به الإسلام، وذلا يذل الله به الكفر**»، فكان تميم الدارى يقول:

«قد عرفت ذلك فى أهل بيتى، لقد أصاب من أسلم منهم الخير والشرف والعز، ولقد أصاب من كان كافرًا منهم الذل والصغار والجزية» رواه أحمد.

• وكما عصم الله تعالى رسوله ﷺ من الناس فإن الله سبحانه وتعالى وضح منزلة رسوله ﷺ وأنه نعمة مَنّ الله به على المؤمنين، حيث قال سبحانه: ﴿**لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**﴾ (سورة آل عمران الآية ١٦٤).

فواضح أن نعمة الله على العالم ببعثة سيدنا محمد ﷺ فاقت سائر النعم؛ لأنه ﷺ بُعث رحمة للعالمين، ولأنه من أنفسهم، ولأنه يتلو عليهم آيات الله ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة. ووضح رب العزة سبحانه أن رسوله ﷺ نور ﴿**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ**﴾ (سورة المائدة الآية ١٥).

فالنور هو الرسول ﷺ، والكتاب المبين هو كلام رب العالمين وهو القرآن الكريم. أو النور هو الإسلام كما رأى بعض العلماء.

وبين الله تعالى أن محبة الله ورسوله والجهاد فى سبيله يجب أن تكون أعظم وأولى من الأمور الدنيوية كلها، فإن آثر أحد حُب أمور الدنيا على الله ورسوله والجهاد فله الوعيد الشديد، حيث قال الله تعالى: ﴿**قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ**﴾ (سورة التوبة الآية ٢٤).

نعمة الله على الناس ببعثة سيدنا محمد ﷺ فاقت سائر النعم؛ لأنه أرسل رحمة للعالمين

ومن مكانة رسول الله ﷺ ومنزلته عند ربه سبحانه أن جعل الله تعالى الذين يبايعون رسوله إنما يبايعون الله، فقال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا**﴾(سورة الفتح الآية ١٠).

وجعل الله تعالى طاعة رسوله ﷺ طاعة له، فقال سبحانه: ﴿**مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ**﴾ (سورة النساء الآية ٨٠). وعندما أمر الله تعالى عباده المؤمنين بالصلاة والسلام على رسوله ﷺ بين أنه سبحانه بنفسه يصلى عليه وأن ملائكته تصلى عليه ليبين لنا فضل الصلاة على حبيبه ومصطفاه، فقال سبحانه: ﴿**إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾ (سورة الأحزاب الآية ٥٦).

ثم بين سبحانه عقب ذلك مباشرة عقوبة الذين يؤذون الله ورسوله، وهى الطرد من رحمة الله دنيا وأُخرى وأعد لهم فى النار عذابًا ذا إهانة ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا**﴾ (سورة الأحزاب الآية ٥٧).

وقد أمر الله تعالى رسوله ﷺ ألا يجازى الكافرين والمنافقين على أذاهم إلى أن يؤمر فيهم بأمر؛ لأن الله تعالى يتولى ذلك كله، فقال تعالى: ﴿**وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً**﴾ (سورة الأحزاب الآية ٤٨).

المـرأة وحقـوق الإنسـان

د / رشدى شحاته أبو زيد

عندما نعتبر القانون آلية لحماية المواطن من الظلم والتعسف ووسيلة لإنصاف وإحقاق حقوقه الإنسانية المعترف بها وطنيًا ودوليًا، فإننا فى وضعية العنف ضد النساء نجد أنفسنا أمام واقع مغاير، حيث تواجه المرأة ظلمًا يتسامح معه المجتمع وتعتبره الثقافة السائدة مقبولاً ومشروعًا، ويتجلى هذا بوضوح على مستوى القوانين التى تنظم العلاقة بين الزوجين، فتعكس عبر مقتضياتها تكريسًا لسلطة الرجل ولدونية المرأة.

والإسلام كعقيدة وشريعة يُنصف المرأة ويحررها من ظلم الجاهلية ويقف بجانبها، ويُحررها من ظلم الجاهليات المختلفة سواء كانت جاهلية عصور التخلف والتراجع الحضرى عند المسلمين، حين حبسوها فى البيت، وحرموا عليها أن تذهب إلى المسجد، أو المدرسة أو الكُتَّاب، وزوجوها بغير إذنها، وحرموها فى كثير من البلاد من ميراثها، وأشاعوا حولها أحاديث مكذوبة مثل: (شاوروهن وخالفوهن)، ومثل: (لا تسكنوهن الغُرف ولا تعلموهن الكتابة). أم كانت جاهلية القرن العشرين الوافدة من الغرب، التى تريد أن تخرج المرأة من فطرتها، وأن تسلخها من جلدها، وأن تجعل، منها رجلاً أو كالرجل، وأن تبيح لها كل شىء وأن تجعلها تتمرد على الزوجية وعلى الأمومة، وعلى الأنوثة، وتحرضها على التبرج والعُرى، والتمرد على الأسرة وأعبائها، والاكتفاء بزواج النساء بالنساء... إلخ.

ومن الحقائق التى لا يستطيع أن ينكرها عاقل، أن الذى يتدبر القرآن الكريم، يرى حديثه عن الرجل والمرأة، أو عن الرجال والنساء، أو عن الذكور والإناث، يمتاز: بالتفصيل الواضح، والتوجيه المحكم وبالإرشاد السليم، وبالحِكَم البليغة، وبالتشريعات السامية وبالآداب العالية التى لا تفرق بين الرجل والمرأة وبالتالى يكون التعصُب ضد المرأة سواء فى عصور التخلف والتراجع الحضارى عند المسلمين أم كانت جاهلية القرن العشرين الوافدة من الغرب.

فالخطاب الإسلامى يتبنى موقفًا غير موقف هؤلاء وهؤلاء، وهو موقف يستمده من فهمه المتوازن للإسلام، من كتاب الإسلام ومن سُنة نبى الإسلام ﷺ ومن هدى صحابة الرسول الكرام، وهو موقف يُعطى المرأة حقها، كما يُعطى الرجل حقه، كما يطالب كلاً منهما بواجبه، ومن هنا يتضح لنا أنه لا يوجد صراع بينهما. ومن أين يأتى الصراع؟ فالمرأة هى أم الرجل وهى ابنته، وهى زوجته، وهى أخته، وهى عمته أو خالته. فلماذا يفترض الناس خصومة أو معركة بينهما؟ إن هذه الخصومة بعيدة كل البُعد عن الشريعة الإسلامية، ربما كان ذلك

فى نحل أو فلسفات أخرى تنظر إلى المرأة نظرة فيها توجس أو ريبة. ولا شك أن الوقوف على طبيعة الصورة الذهنية لدى الأفراد داخل المجتمع عن مشكلة العُنف ضد المرأة كما تعكسها نوعية اتجاهاتهم نحو هذا العُنف، بالإضافة إلى ما لدى هؤلاء الأفراد من معلومات من مصادر معينة يُمثل مدخلاً علميًا لفهم هذه المشكلة بأبعادها المتعددة فى محاولة لرصد واقع هذه المشكلة وتفسير أسباب حدوثها.

تلك الأسباب التى تُبين فى أحد مستوياتها مدى وعى أفراد المجتمع بحجم هذه المشكلة ومدى انتشارها بين قطاعات نوعية مختلفة تعليميًا وعمريًا واقتصاديًا وحضاريًا.

ولا شك أن محاولة تفسير مشكلة العنف ضد المرأة من خلال الأسباب المؤدية لها ومعلومات الأفراد داخل المجتمع عنها، يُمكن أن يؤدى إلى بلوغ مستوى آخر من المعالجة النوعية التى يُمكن أن تسهم فى ضبط هذه المشكلة والتحكم فيها أو على تقدير آخر الحد من تفاقمها وانتشارها فى المجتمع فى الوقت الذى يتطلع فيه هذا المجتمع إلى تفعيل دور المرأة على نحو أكثر من حيث المشاركة الهادفة والبناءة لتكون جنبًا إلى جنب مع الرجل فى تفسير أمور الحياة فى جميع المؤسسات العلمية والتعليمية والاجتماعية والسياسية أيضًا.

إن ظاهرة العُنف ضد المرأة بمظاهرها المدروسة: (مادية أو معنوية) مرشحة للزيادة فى ظل تفاقم المشكلات المغذية لها والأسباب المؤدية إليها والتى تمثلت فى زيادة مشكلة البطالة وتأخر سن الزواج وعدم التكافؤ بين الزوجين وانتشار الإدمان وانخفاض الدخل، وانشغال الوالدين عن أبنائهما وعدم التمسك بالقيم الإيجابية، وانتشار الأنماط الخليعة من الملابس والأغانى والأفلام، والاستخدام الخاطئ لوسائل التكنولوجيا وفى مقدمتها الإنترنت والقنوات الفضائية الأجنبية والذى يعكس الفهم الخاطئ للحرية.. إضافة إلى تفاقم الإحساس بالضغوط التى تعددت مصادرها، دون توافر الوعى النفسى لأساليب التعامل مع هذه الضغوط وتوظيفها بشكل إيجابى يضيف للفرد منه الخبرات أكثر مما ينال منه ويتركه فريسة للصراعات الاجتماعية والاضطرابات النفسية بمستوياتها والأمراض الجسمية بأنواعها.

وقد أثار بعض المرضى وضعاف النفوس شبهات حول أحكام الميراث والوصية فى الفقه الإسلامى مدعيًا أن هذه الأحكام أحيانًا تُعطى الرجل ضعف المرأة من التركة. ويقولون إن هذه الأحكام تعتبر إخلالاً بمبدأ المساواة بين الذكر والأُنثى، كما تُعد نوعًا من أنواع العُنف المعنوى يمارس ضد المرأة. ويُمكن دفع هذه الشبهات من خلال الإجابة عن سؤال مهم هو:

لماذا تأخُذ بعض النساء نصيبًا أقل من الرجل فى الميراث ويُمكن الرد على هذا السؤال من خلال النقاط التالية:

أولا: لقد كانت المرأة قبل الإسلام محرومة من حقها فى الميراث، فأنصفها الإسلام وجعل لها حقًا مقررًا فيه على الرغم من تذمر الكثيرين من العرب حينذاك ممن كانوا يعتقدون أن الرجال وحدهم هم الأحق بالميراث لأنهم هم الذين يقاتلون الأعداء.

وقد جعل الإسلام فى أغلب الحالات للذكر ضعف نصيب الأنثى فى الميراث، كما جاء ذلك فى القرآن الكريم: **﴿يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين﴾** سورة النساء: آية ١١. والنظرة المتعجلة للأمور ربما تعتبر ذلك انتقاصًا من شأن المرأة،

وهضمًا لحقها كإنسان له حقوق متساوية مع الرجل.

والواقع أن الإسلام أبعد ما يكون عن أن يجعل من ذلك مبررًا للنظر إلى المرأة نظرة متدنية، فسبب هذه التفرقة فى الميراث لا صلة له إطلاقًا بمكانة كل من الرجل والمرأة ولكنه يرجع إلى الالتزامات التى تقع على كاهل كل منهما(١).

ثانيًا: صحيح وحق أن آيات الميراث فى القرآن قد جاء فيها قول الله سبحانه وتعالى: ﴿**يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين**﴾ سورة النساء: آية ١١، لكن كثيرين من الذين يثيرون الشبهات حول أهلية المرأة فى الإسلام متخذين من التمييز فى الميراث سبيلاً إلى ذلك لا يفقهون أن توريث المرأة على النصف من الرجل ليس موقفًا عامًا ولا قاعدة مطردة فى توريث الإسلام لكل الذكور وكل الإناث، فالقرآن الكريم لم يقل: يوصيكم الله فى المواريث والوارثين للذكر مثل حظ الأنثيين إنما قال: ﴿**يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين**﴾، أى أن هذا التمييز ليس قاعدة مطردة فى كل حالات الميراث، وإنما هو فى حالات خاصة، بل ومحددة من بين حالات خاصة، بل ومحددة من بين حالات الميراث.

ثالثًا: الورثة ينقسمون إلى أصحاب فروض وعصبات وأصحاب الفروض هم المنصوص على أنصبتهم فى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وهم المقدمون فى الميراث وأن من يرث تعصيبًا يأتى تاليًا لأصحاب الفروض بعد استيفاء حقهم والعصبات غير محددة أنصبتهم فى الميراث وقد يكون نصيب من يرث تعصيبًا أقل ممن يرث فرضًا. وأحيانًا يستوفى أصحاب الفروض التركة بأكملها ولا يكون هناك شىء يتم توريثه تعصيبًا والقرآن الكريم عندما ذكر أصحاب الفروض ذكر اثنى عشر فردًا، ثمان من الإناث وأربعة من الذكور. النساء هن: الأم، الجدة، الزوجة، الابنة، ابنة الابن، الأخت الشقيقة، الأخت من الأب، الأخت من الأم، والرجال أصحاب الفروض هم: الأب، الجد، الزوج، الأخ لأم.

قاعدة للذكر مثل حظ الأنثيين ليست مطردة فى كل حالات الميراث

ومن نظرة سريعة لهذا التقسيم نجد أن الإسلام بسط حمايته فى إعطاء حق الميراث لشريحة من النساء أكبر من الرجال وبذلك نقض التقليد الظالم الذى درج عليه العرب قبل الإسلام وهو التقليد الذى كان يقصر الميراث على المقاتلين من الرجال وحدهم وذلك عندما قرر حق المرأة من حيث المبدأ فى الميراث من خلال أقوال القرآن الكريم: ﴿**للرجال نصيب مما ترك الوالدن والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيبًا مفروضا**﴾ سورة النساء: آية ٧، فالشريعة الإسلامية لم تقرر فقط حق الميراث للمرأة مثل الرجل، بل نص على حق الميراث لفئات من النساء ضعف ما نص عليه بالنسبة للرجل، هذا إلى جانب أنه عندما اعتبر أن الأخ لأم من أصحاب الفروض بالنسبة للرجال كان فى هذا أيضًا يبسط حمايته لفئة من الأفراد كانت محرومة من الميراث لنسبتهم إلى المرأة. فالمرأة ومن ينتمون إليها من صلة قرابة لا حق لهم فى الميراث فى الجاهلية

فجاء الإسلام لينقض هذا الأمر ويجعل للأخ من أم حقًا فى الميراث ثابتًا بعد أن كان محرومًا منه. هذا إلى جانب الإخوة من الأم يرثون حظًا مساويًا بدون تفرقة بين الذكر والأنثى.

رابعًا: الفقه الحقيقى لفلسفة الإسلام فى الميراث يكشف عن أن التمايز فى أنصبة الوارثين والوارثات لا يرجع إلى معيار الذكورة والأنوثة، وإنما لهذه الفلسفة الإسلامية فى التوريث حكم إلهية، ومقاصد ربانية قد خفيت عن الذين جعلوا التفاوت بين الذكور والإناث فى بعض مسائل الميراث وحالاته شبهة على كمال أهلية المرأة فى الإسلام وذلك أن التفاوت بين أنصبة الوارثين والوارثات فى فلسفة الميراث الإسلامى إنما تحكمه ثلاثة معايير(٢).

المعيار الأول: درجة القرابة بين الوارث ذكرًا كان أو أنثى وبين المورِّث المتَّوفى فكلما اقتربت الصلة.. زاد النصيب فى الميراث دونما اعتبار لجنس الوارثين. فالابنة ترث أكثر من العم وإن كانت أكثر من واحدة فلهما الثلثان والزوجة ترث الثمن والأم ترث السدس والباقى على قلته يرثه العم أو الأعمام، وبذلك يكون نصيب ابنة المتوفى وهى أنثى أكثر بكثير من نصيب شقيقه وهو رجل.

ومع هذه القاعدة نجد استثناء لصالح المرأة، حيث ترث الجدة لأم مثل الأب وهى أبعد منه صلة إلى المتوفى، مع هذا ترث مثله وهذا إكرام الإسلام للمرأة واستثناؤها من قاعدة الأقرب إلى الميت. أيضًا ترث الأخت لأم نصيبًا مساويًا مع الأخ الشقيق بالرغم من أنها أبعد قرابة من الأخ الشقيق وهذا ما أخذ به عمر بن الخطاب وزيد وعثمان بينما ذهب على بن أبى طالب وابن مسعود وأبى بن كعب وابن عباس وأبو موسى الأشعرى يعطون للأخت من أم نصيبها فى الميراث ويحجبون الميراث عن الأخ الشقيق(٣).

المعيار الثانى: موقع الجيل الوارث من التتابع الزمنى للأجيال، فالأجيال التى تستقبل الحياة، وتستعد لتحمل أعبائها، عادة يكون نصيبها فى الميراث أكبر من نصيب الأجيال التى تستدبر الحياة، وتتخفف من أعبائها، بل وتصبح أعباؤها - عادة - مفروضة على غيرها، وذلك بصرف النظر عن الذكورة والأنوثة للوارثين والوارثات.

فلسفة الإسلام فى الميراث تحكمها معايير ثلاثة:
- درجة القرابة.
- موقع الجيل الوارث.
- العبء المالى الذى يوجب الشارع على الوارث تحمله.

فبنت المتوفى ترث أكثر من أمه وكلتاهما أنثى وترث البنت أكثر من الأب حتى لو كانت رضيعة لم تدرك شكل أبيها، وحتى لو كان الأب هو مصدر الثروة التى للابن والتى تنفرد البنت بنصفها، وكذلك يرث الابن أكثر من الأب وكلاهما من الذكور، وأيضًا إذا توفيت امرأة فالابنة ترث النصف والزوج يرث الربع والابنة أنثى والأب ذكر وهى ترث ضعفه. وفى هذا المعيار من معايير فلسفة الميراث فى الإسلام حكمة إلهية بالغة ومقاصد ربانية سامية تخفى على الكثيرين وهى معايير لا علاقة لها بالذكورة والأنوثة على الإطلاق.

المعيار الثالث: العبء المالى الذى يوجب الشرع الإسلامى على الوارث تحمله والقيام به حيال الآخرين، وهذا هو المعيار الوحيد الذى يتميز تفاوتًا بين الذكر والأنثى لكنه تفاوت لا يفضى إلى أى ظلم للأنثى أو انتقاص من إنصافها، بل ربما كان العكس هو الصحيح.

ففى حالة ما إذا اتفق وتساوى الوارثون فى درجة القرابة واتفقوا وتساوى الوارثون فى موقع الجيل الوارث من تتابع الأجيال - مثل أولاد المتوفى ذكورًا وإناثًا - يكون تفاوت العبء المالى هو السبب فى التفاوت فى أنصبة الميراث.

ولذلك لم يعمم القرآن الكريم هذا التفاوت لأنها تكون فى وضع مالى أفضل من وضع الرجل، وذلك لأن ما يأخذه الرجل يجب عليه شرعًا أن ينفق منه على زوجته وأسرته من البنين والبنات، وعلى أمه وأبيه إذا لم يكن لهما مورد رزق، وعلى أخواته إذا لم يكن لهن عائل.

ومعنى هذا أن ما يأخذه الرجل فى الميراث يكون فى تناقص مستمر بسبب هذه الالتزامات الكثيرة، أما المرأة فإنها لا تسأل إلا عن نفسها. وهى حرة فى ميراثها حيث تستطيع أن تنميه فى استقلال تام عن الرجل، وليس عليها أى التزامات مالية تجاه أفراد الأسرة، وزوجها ملزم بنفقتها حتى وإن كانت ذات ثراء وهذا يعنى أن ميراثها سيكون فى ازدياد مستمر. ومن ذلك يتضح أنه ليس هناك ظلم للمرأة على الإطلاق أو انتقاص من شأنها، بل لعل الميراث هنا يميل إلى صالحها.

والمرأة ترث نصف الرجل فى أربع حالات فقط هى:

١ - وجود البنت مع الابن وذلك فى قوله تعالى: ﴿**يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين**﴾ سورة النساء: آية ١١.

٢ - عند وجود الأب مع الأم ولا يوجد أولاد ولا زوج أو زوجة وذلك لقوله تعالى: ﴿**فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث**﴾ سورة النساء: آية ١١، فهنا فرض الثلث للأم والباقى الثلثان للأب.

٣ - وجود الأخت الشقيقة أو الأخت لأب مع الأخ الشقيق أو الأخ لأب وذلك لقوله تعالى: ﴿**وإن كانوا إخوة رجالاً ونساءً فللذكر مثل حظ الأنثيين يبين الله لكم أن تضلوا والله بكل شئ عليم**﴾ سورة النساء: آية ١٧٦.

٤ - إذا مات أحد الزوجين وترك الآخر يكون الميراث على النحو التالى: عند عدم وجود أبناء: الزوج يرث النصف أما الزوجة ترث الربع، عند وجود أبناء: الزوج يرث الربع أما الزوجة ترث الثمن.

ويجب الإشارة إلى أن هناك حالات أخرى قد أشار إليها القرآن الكريم وفصلتها الشريعة الإسلامية يستوى فيها الذكور مع الإناث فى الميراث كما جاء فى الآية ١٢ من سورة النساء. وذلك فى حالة ما إذا مات رجل أو امرأة وليس له أو لها والد أو ولد (ذكرًا كان أو أنثى) وله أو لها أخ أو أخت من ناحية الأم ففى هذه الحالة يستوى الأخ والأخت فى الميراث.

كما أن الزوج إذا ماتت زوجته ولها بنت منه أو من غيره ترث البنت ضعف نصيب الزوج وهكذا فى حالات أخرى وهذه الأنصبة محددة فى القرآن الكريم وتقضى على جميع أشكال المنازعات بين أفراد الأسرة.

ودار الإفتاء المصرية تشهد بأن كثيرًا من الأقباط فى مصر يحتكمون إلى نظام المواريث الإسلامية لما له من أثر كبير فى حسم المنازعات والقضاء على أسباب الخلاف بين المستحقين للميراث.

وبإلقاء نظرة على هذه الحالات المعدودة والتى ترث فيها المرأة نصف الرجل نجد أن ذلك يرجع إلى التوازن بين الحقوق

والواجبات فإذا نظرنا فى تلك الحالات الأربع على ضوء حق المرأة فى الميراث وحقها فى النفقة نجدها فى النهاية تتساوى مع الرجل أو تفضله حيث إنه مكلف بالنفقة الكاملة عليها وهى مرفوع عنها جميع التبعات المالية حيث إنها غير مكلفة بالنفقة على نفسها وأولادها وأن ما تنفقه على نفسها أو أبنائها يدخل فى حسابها صدقة مهما بلغ ثراؤها والرجل هو المكلف بالقيام بكل الالتزامات المالية للمرأة.

فأحكام الفقه الإسلامى تلزم الرجل بالإنفاق على المرأة، زوجة، مطلقة وحاضنة وكذلك تلزمه بالإنفاق على البنت والأم والأخت عند حاجاتهن ولا يلزم الزوجة بالإنفاق على نفسها أو أسرتها ولو كانت غنية فجميع ما تملك من أموال لها وحدها وهى غير مكلفة أو ملزمة بالإنفاق على أحد إلا فى حدود ضيقة جدًا والرجل وحده مكلف وملزم بالإنفاق على بيته، وتتسع دائرة إنفاقه على أقاربه بشرط يساره وحاجاتهم فهى مع هذا النقص فى ميراثها بالنسبة لأخيها الذى ورث ضعف ميراثها، أكثر حظًا وامتيازًا منه فى الميراث، فميراثها مع إعفائها من الإنفاق الواجب - هو ذمة مالية خالصة ومدخرة - لجبر الاستضعاف الأنثوى، ولتأمين حياتها ضد المخاطر والتقلبات.

وتلك حكمة إلهية قد تخفى على الكثيرين، وإذا كانت هذه الفلسفة الإسلامية فى تفاوت أنصبة الوارثين والوارثات وهذه التى يفضل عنها طرفا الغلو الدينى واللادينى الذين يحسبون هذا التفاوت الجزئى شبهة تلحق بأهلية المرأة فى الإسلام فإن استقراء حالات ومسائل الميراث كما جاءت فى علم الفرائض (المواريث) يكشف عن حقيقة قد تذهل الكثيرين عن أفكارهم المسبقة والمغلوطة فى هذا الموضوع.

فهذا الاستقراء لحالات ومسائل الميراث يقول لنا:

١ - إن هناك أربع حالات فقط ترث فيها المرأة نصف الرجل.

٢ - هناك حالات أضعاف هذه الحالات الأربع ترث فيها المرأة مثل الرجل تمامًا.

٣ - هناك حالات عشر أو تزيد ترث فيها المرأة أكثر من الرجل.

٤ - هناك حالات ترث فيها المرأة ولا يرث نظيرها من الرجال، أى أن هناك أكثر من ثلاثين حالة تأخذ فيها المرأة مثل الرجل، أو أكثر منه، أو ترث هى ولا يرث نظيرها من الرجال فى مقابل أربع حالات محدودة ترث فيها المرأة مثل نصف الرجل(١٠).

تلك هى ثمرات استقراء حالات ومسائل الميراث فى علم الفرائض (المواريث)، التى حكمتها المعايير الإسلامية التى حددتها فى فلسفة الإسلام فى التوريث، والتى لم تقف عند معيار الذكورة والأنوثة، كما يحسب الكثيرون من الذين لا يعلمون.

وبذلك نرى سقوط شبهة عدم أهلية المرأة المالية أو تفضيل الذكر على الأنثى. وهذا قول محض افتراء ولا سند له من الحقيقة ولا يقول به إلا من جهل حقيقة التشريع الإسلامى الرفيع.

ولا يفوتنا هنا أن نشير إلى أن الجانب الاقتصادى للمرأة تحكمه قواعد المجال الخاص به، والمرأة كالرجل فيه سواء فكلاهما ذو ذمة مالية مستقلة تمامًا عن ذمة الآخر، ولو كانا زوجين.

---

(١) حقائق الإسلام فى مواجهة شبهات المشككين، أ. د/ محمود حمدى زقزوق، ص ٥٨.
(٢) مختارات من كتاب حقائق الإسلام فى مواجهة شبهات المشككين، ء. د/ محمود حمدى زقزوق، ص ٦٠.
(٣) بداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد ص ٣٤٥، المغنى جـ ٩ ص ٢٤ - ٦٢ تحقيق د/ عبد الفتاح الحلو.
(٤) ميراث المرأة وقضية المساواة، أ. د/ صلاح الدين سلطان، طبعة القاهرة دار نهضة مصر ١٩٩٩م، ص ١٠.

العلاج بالصّدقة

د. أحمد عوف محمد عبد الرحمن

قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ (سورة التوبة الآية ١٠٣)

عن أبى أمامة الباهلى - رضي الله عنه - قال: قال النبى ﷺ: (داووا مرضاكم بالصدقة)[١].

وعن حذيفة بن اليمان - رضي الله عنه - عن النبى - ﷺ - أنه قال: (فتنة الرجل فى أهله وماله ونفسه وولده وجاره، يكفرها الصيام والصلاة والصدقة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر)[٢].

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله تعالى: (فإن للصدقة تأثيرًا عجيبًا فى دفع أنواع البلاء، ولو كانت من فاجر أو من ظالم، بل من كافر! فإن الله تعالى يدفع بها عنه أنواعا من البلاء: وهذا أمر معلوم عند الناس خاصتهم وعامتهم، وأهل الأرض كلهم مُقِرّون به لأنهم جربوه)[٣].

وقال أيضًا - رحمه الله -: (ها هنا من الأدوية التى تشفى من الأمراض ما لم يهتد إليها عقول أكابر الأطباء، ولم تصل إليها علومهم وتجاربهم وأقيستهم من الأدوية القلبية والروحانية وقوة القلب واعتماده على الله والتوكل عليه، والالتجاء إليه، والانطراح والانكسار بين يديه، والتذلل له، والصدقة، والدعاء، والتوبة والاستغفار، والإحسان إلى الخلق وإغاثة الملهوف والتفريج عن المكروب، فإن هذه الأدوية قد جربتها الأمم على اختلاف أديانها ومللها فوجدوا لها من التأثير فى الشفاء ما لا يصل إليه علم الأطباء ولا تجربته ولا قياسه، وقد جربنا نحن وغيرنا من هذا أمورًا كثيرة، ورأيناها تفعل ما لا تفعل الأدوية الحسية!)[٤].

ولقد تفشت الأمراض وتنوعت فى هذا الزمان، بل واستعصى بعضها على الأطباء مثل السرطان ونحوه رغم وجود العلاج؛ إذ ما جعل الله من داء إلا جعل له دواء لكن لم يظهر حتى الآن لحكمة أرادها الله - جل جلاله - ولعل من أكبر أسباب هذه الأمراض المعاصى والمجاهرة بها، لذلك تحل الأمراض والمصائب بالعباد، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾ (سورة الشورى الآية ٣٠).

ربما تكون تصدقت كثيرًا ولكن لم تفعل ذلك بنية أن يعافيك الله من مرضك أو يعافي مريضك، فافعل الآن ولتكن واثقًا من أن الله سيشفيك.. وسترى من ربك الكريم فوق ما يرضيك.. أشبع فقيرًا، أو اكفل يتيمًا، أو تبرع لوقف خيرى أو صدقة جارية.

إن الصدقة لترفع - بإذن الله تعالى - الأمراض والأعراض من المصائب والبلايا، وقد جرب ذلك الموفقون من أهل الإيمان الصادق، فوجدوا العلاج الروحى أنفع من العلاج الحسّى، وقد كان رسول الله -ﷺ- يعالج بالأدعية الروحية والإلهية وكان السلف الصالح يتصدقون على قدر مرضهم وبليتهم فلا يلبثون قليلاً حتى يعافيهم الشافى المعافى - جل جلاله -، فلا تبخل على نفسك إن كنت ذا مال، وحتى لو كنت فقيرًا فتصدق ولو بشق تمرة بنية شفائك بشرط أن تكون عظيم الثقة بربك حتى يكون الشفاء أكمل.

وإذا أردت معالجة نفسك بالصدقة، فاتبع الخطوات اليسيرة التالية[(٥)].

- إذا تصدقت بهذه الصدقة فاجعلها بنيّة شفائك، قال رسول الله - ﷺ - (**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى**)[(٦)]. وكُن سَخيًا فى صدقتك، وقد كان - ﷺ - سخيًا كريمًا (يُعطى عطاء من لا يخشى الفقر)[(٧)].

- اجعل صدقتك خالصة لوجه الله تعالى، فكلما كان العمل أكمل وأعظم إخلاصًا لله تعالى كلما كان ثوابه وثمرته أكمل وأعظم، وتذكر حديث السبعة الذين يظلهم الله بظله يوم لا ظل إلا ظله، والذين ذكر رسول الله - ﷺ - منهم: (**ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه**)[(٨)].

- لكى تكون صدقتك بليغة الأثر بإذن الله تعالى فحاول جاهدًا أن تتحرى لصدقتك محتاجًا صالحًا تقيّا كما جاء فى الحديث عن النبى - ﷺ - أنه قال: (**لا تُصاحب إلا مؤمنًا ولا يأكل طعامك إلا تقى**)[(٩)].

- حينما تتصدق بنية الشفاء فلا تقل: (**سأجرب**)، بل كن جازمًا موقنًا واثقًا بأن الله - تبارك وتعالى - سيشفيك، ولا تستعجل النتيجة، ولا تقنط ولا تيأس من رحمة الله تعالى، بل كن واثقًا به فهو الشافى النافع الكريم الذى بيده الضرّ والنفع.

- إن لم تر نتيجة سريعة لشفائك بعد صدقتك، فتصدق مرة أخرى وكرر ذلك ولا تقنط، وكن على تمام الثقة أن صدقتك لن تضيع أبدًا. وفتش فى نفسك وتخلص من الذنوب.

- إذا شفاك الله، فتوجه إليه بالحمد والشكر، وقل: (**الحمد لله**) لأنه أهل الثناء والمجد، وقد ورد عن النبى - ﷺ - أنه قال: (**عجبًا لأمر المؤمن !! إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له**)[(١٠)].

---

(١) حسنه الألبانى فى (صحيح الجامع، برقم: ٣٣٥٨).
(٢) رواه البخارى (١٤٣٥) ومسلم (١٤٤).
(٣) الوابل الصيب، ص ٤٩ - ٥٠.
(٤) زاد المعاد ٤/١٠ - ١١.
(٥) من عجائب العلاج بالصدقة: أكثر من (١٥) قصة عجيبة من القديم والحديث فى الاستشفاء بالصدقة من الأمراض الجسدية والنفسية، قام بإعداده وجمعه: بعض طلبة العلم (جزاهم الله خيرًا).
(٦) رواه البخارى. (٧) رواه مسلم.
(٨) متفق عليه.
(٩) رواه الترمذى وأبو داود وهو حديث حسن.
(١٠) رواه مسلم.

بهرته أضواء الغرب الزائفة ...

شباب فى ثياب الحضارة الغربية

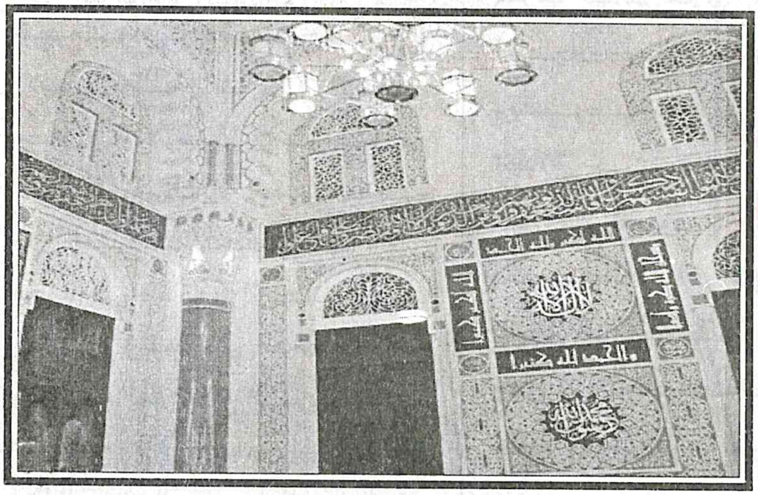

الحضارة الإسلامية كانت الرافد الذى استقت منه الحضارة الغربية تقدمها

لاحت فى الأفق القريب سُحب الغروب، وهبت على الأمة - فى غفلة من الزمان - رياح التغريب؛ لتعصف بالقيم وتزعزع المبادئ، وتقتلع جيلاً من جذوره ليصير كالريشة فى مهب الريح، يهرول خلف أذيال الحضارة الغربية البالية، يستحث الخطا؛ وراء سرابها الأخاذ، مفتونًا ببريقها الزائف، يهيم بها شوقًا ويقع أسيرًا لها ليقف ببابها يخطب ودها، ويبيع الثمين الغالى من تراث الأمة ليدفع مهرها.

نماذج عديدة من كل أطياف الأمة أصابتهم عدوى الغرب وسرت فيهم حمى التقليد حتى بلغت ذروتها، واشتعل فى نفوسهم سعار التشبه بكل ما هو غربى حتى أصابت عيونهم الغشاوة وأسكرتهم النشوة ففقدوا الوعى وانتابهم الهذيان ونبذوا إرث أمتهم وراء ظهورهم وارتدوا ثياب الفرنجة لنيل شهادة الوجاهة الغربية فبدوا مسخًا مشوهًا.

ابتلعوا طعم التحضر والمدنية وكانوا بها مغرمين.. وهالهم بريق زائف فأضحوا به مفتونين.

ارتدوا أقنعة الزيف والبهتان ومضوا على وجوههم هائمين..

د. محمد رأفت عثمان:

رغم أن المسلمين مطالبون بالسعى لطلب العلوم النافعة إلا أن بعض شبابنا اختار أسوأ ما لدى الغرب من عادات وتقاليد

وتمردوا على قيم ومثل عليا.. أمسكوا بأذيال الغرب البالية فتقطعت بهم وعادوا بخفى حنين.. وظنوا أنهم بالغو سلم المجد فارتدوا على أعقابهم خاسرين.

روجوا لحضارة الغرب بين الناس حتى ظنها الناس الفردوس الموعود، لكنها لم تزدهم إلا هلاكًا وخسرانًا.

سيطر عليهم الشعور بالدونية فانسلخوا من جلدهم وتنازلوا عن هويتهم وسارعوا يقدمون فروض الولاء والطاعة فما وجدوا من الغرب إلا كل ازدراء..

النموذج الغربى الصارخ صار قبلة لدعاة التحضر الزائف والمدنية الكاذبة حتى بات يقدم اليوم جاهزًا معلبًا لمستهلكى بقايا وفتات الحضارات.. أهؤلاء من تفخر بهم الأمة وتنشد فيهم الأمل ليشدوا من أزرها ويحموا حماها ويذودوا عن ديارها؟ وهل ارتدت الحضارة الإسلامية على عقبيها لتبقى عرضة لرياح التغريب من كل صوب وحدب؟!

على هذه الصفحات نطرح القضية لعلها تجد آذانًا صاغية!

تحقيق
مصطفى إبراهيم خيان

«الأخذ بالأسباب»

ليس كل تقليد مذموم، وإنما قد يكون من التقليد ما قد يُحمد عليه المرء ويثاب، ذلك ما يراه **الدكتور محمد رأفت عثمان** - العميد الأسبق لكلية الشريعة والقانون جامعة الأزهر وعضو مجمع البحوث الإسلامية - حيث يضيف بأن التقليد المحمود هو الذى يحمل فى طياته كل إيجابى ومفيد كالعلوم والمعارف الدافعة إلى التقدم بما ينفع الفرد ويخدم المجتمع ويرقى به، بل إن المسلمين مطالبون بالسعى لطلب ما عند الآخرين من علوم نافعة والأخذ منها، ولاعذر لهم إن هم قعدوا فى الأخذ بالأسباب، أو اختاروا العزلة وغلق الأبواب دون المعارف الحديثة التى تفتح الطريق أمام تحقيق المكانة المنشودة والتقدم المأمول.

«حرية زائفة»

لكن ما يرثى له أن كثيرًا من شبابنا آثر إلا أن يبالغ فى تقليد أسوأ ما لدى الغرب من قيم، حيث السعى لاقتناء مختلف أنواع التقليعات الغربية الخارجة عن المألوف، ومن ذلك ملابس السيدات التى تميل للتعرى، الملابس الكاشفة والضيقة الملتصقة بالجسد، ومنهم من يحرص على الذهاب للملاهى والمراقص المنهى عنها؛ فضلا عن الدعوة لأفكار غربية تتنافى مع تعاليم الإسلام ونصوصه من إطلاق حرية المرأة بلا قيود؛ ومساواة المرأة للرجل فى الميراث، وهى من الموضوعات التى لا يجوز الخوض فيها أو الاعتراض عليها أو على كل ما هو ثابت من ثوابت الشريعة الغراء.

> **د. إبراهيم البيومى غانم:**
>
> **الإعلاء من قيمة الثقافة الغربية على حساب القيم الإسلامية مخطط علمانى يهدف إلى تكريس الشعور بالدونية فى ثقافتنا الإسلامية**

«ليس تحضرًا»

وينتقد الدكتور رأفت عثمان أو ما يحسبه البعض تحضرًا وتمدنًا، مؤكدا أن الافتتان والإعجاب بالغرب وتقليده فى السهر بالمراقص وأماكن العبث واللهو والتحرر من أطر الدين ليس تحضرًا، وإنما هو انحطاط وتردى معيب فى الأخلاق والسلوك وردة إلى عصور الجهل والظلام، وضرب فى أصول العقيدة وطعن فى الدين، ظنًا من هؤلاء المغرمين بكل ما هو غربى أن النموذج الغربى هو النموذج الأمثل مع ما فيه من تناقض صارخ مع الفطرة والسلوك السوى.

داعيًا الشباب إلى أن يبحثوا فى كل ما من شأنه أن يزودهم بالمعارف وما يحقق لهم التفوق العلمى المنشود للنهوض بهذه الأمة التى تخلفت عن ركب العلوم والحضارة بعد أن سادت الدنيا قرونًا طويلة. وحاثًا الدعاة على أن يضطلعوا بدورهم فى توعية الشباب وتوجيههم الوجهة السديدة مع تقديم النماذج والقدوات الطيبة التى حملت

د. عبد المقصود باشا:

لم يفرض العرب دينهم أو ثقافتهم على البلاد المفتوحة لكن أهلها انبهروا بتقليد كل ما هو غربى أصيل

راية الإسلام خفاقة من مشارق الأرض إلى مغاربها.

«إهانة العقل»

وينتقد الدكتور **إبراهيم البيومى غانم** - أستاذ العلوم السياسية بالمركز القومى للعلوم الاجتماعية والجنائية - سلوك المقلدين؛ فالتقليد - كما يقول - سلوك منبوذ مهين للعقل الإنسانى، وقد نعى القرآن الكريم على المقلدين الذين يعطلون عقولهم ودعا إلى التفكر والتدبر والتعقل، من مثل قوله تعالى: **﴿أفلا يتدبرون القرآن﴾**، **﴿أفلا يعقلون﴾** **﴿قل سيروا فى الأرض فانظروا﴾** وإذا كان تقليد السابقين الذين هم على نفس الملة والعقيدة لا يليق بالإنسان أبدا، فما بالنا بتقليد الأغيار فى الملة والدين؟!

إنه بلا شك إساءة فى حق النفس وفى حق المجتمع والأمة، وللإمام السيوطى كتاب ينعى فيه على المقلدين سوء فهمهم وجهلهم بعنوان **«الرد على من أخلد إلى الأرض ونسى أن الاجتهاد فى كل عصر فرض»**.

«الشعور بالدونية»

ويحذر الدكتور إبراهيم البيومى من أن نظم التعليم لدينا ترسخ منهج التقليد من خلال الإعلاء من قيمة الحضارة الغربية، وتكريس الشعور بدونية ثقافتنا وحضارتنا، كذلك وسائل الإعلام التى يتبوأ فيها العلمانيون الصفوف الأولى - التى تسلط الأضواء المبهرة على الحضارة الغربية غير عابئة بما تخلفه من آثار سلبية مدمرة ظنّا منها أن ذلك مظهر من مظاهر التقدم والتحضر والعصرية.

وبالتالى يشعر الشباب أن من لا يحذو حذو هؤلاء المتفرنجين متخلف، وبالتالى يشعر بالضعف وبفقدان الثقة فى الذات وينتابه الإحساس بالدونية وبالنقص فى مواجهة الحضارة الغربية.

«التركيز على السلبيات»

منددًا بموقف المتغربين والعلمانيين؛ فهم - كما يرى - حريصون على الدفع تجاه كل ما يفقد الثقة فى الإسلام والعروبة، وفى المقابل الإلحاح على كل ما هو غربى، كالإلحاح فى الدعوة إلى تعلم اللغات الأجنبية، وهو أمر لا غبار عليه - كما يقول - ولكن عندما يكون على حساب اللغة العربية، اللغة الأم، لغة القرآن، فهنا تكمن الخطورة التى تستدعى المواجهة والوقفة الحازمة، ولا يقف الأمر عند هذا الحد، بل إن عليك أن تشرب كما يشربون، وتأكل كما يأكلون، وتلبس كما يلبسون، وهو مخطط خطير يهدف إلى محو شخصية الأمة الإسلامية والعربية وإضعاف الانتماء لها؛ بالتركيز على كل ما هو سلبى فى تاريخ الأمة من أحداث وقعت من بعض من يحسبون على الإسلام متناسين كل ما قدمه الإسلام والحضارة

الإسلامية فى التاريخ الإنسانى، من أجل أن يفقد الجيل الجديد الثقة بأمته؛ ومن ثم فإن على وسائل التربية والتعليم والإعلام أن تُعَرِّف هذا الجيل بأنه ينتمى إلى أمة عربية إسلامية عريقة تضرب بجذور عميقة فى التاريخ.

الحضارات أخذ وعطاء

وإذا كان الافتتان بالحضارة الغربية، بل بكل ما هو غربى قد أصاب الكثيرين من أبناء المجتمع الإسلامى حتى صار كالمرض العضال الذى يكاد يفتك بهؤلاء الذين انجرفوا فى تيار الغرب بكل صور المجون والتحرر، فإن نظرة تاريخية على علاقات الحضارات ببعضها تبدو ضرورية فى سياق التحقيق.

الدكتور **عبد المقصود باشا** - أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية بجامعة الأزهر - يلقى الضوء فى البداية على علاقة الحضارات ببعضها حيث يقول: إن الحضارات أخذ وعطاء، والثقافات عطاء وأخذ؛ بذلك تكتمل للإنسانية مقوماتها ويتقارب الناس تاريخا وثقافة، وبالتالى حضارة.

وعبر الأزمان تبادلت الشعوب هذه التأثيرات؛ فأثر شعب فى شعب، وحضارة فى حضارة، لكن الغلبة كانت للأقوى، فيقود القوى الضعيف ويؤثر فيه.

د. محمد يونس الحملاوى:

التقليد الأعمى لحضارة الغرب أدى إلى الشعور بالدونية والتخلف فى كل مجالات العلم والإبداع

ولو ألقينا نظرة على واقع الأمة العربية فى عصورها الزاهرة نجد أنها أسهمت بأدوار بارزة فى حياة الآخرين حتى قبل البعثة المحمدية؛ فقد كان زعماء مكة يدخلون على قيصر الروم ونجاشى الحبشة والمقوقس دخول التاجر القوى بذاته وجاهه وماله وهداياه، لكن لم يثبت أن العرب تأثروا بهذه الثقافات، بل إن هذه الثقافات هى التى تأثرت بالثقافة العربية.

الافتتان بالعرب

ويدلل الدكتور عبد المقصود باشا على سيطرة ثقافة الغالب على المغلوب بقول ابن خلدون: **إن الناس عبيد لمن غلب**، وهذا قول فيه كل الحكمة، فما رأيناه عبر العصور والحضارات يؤكد هذه الحقيقة التى نعيشها. ولقد استطاع العرب فى القرن الثانى الهجرى أن ينقلوا عن الحضارات الأخرى فنقلوا الفلسفة الإغريقية، والحكمة الفارسية وغيرهما، وصهرت كل الحضارات فى بوتقة واحدة ترتدى زيّا عربيّا وإسلاميّا أنتج العلماء والعظماء كابن سينا وابن رشد والغزالى وغيرهم على مر العصور. وإذا تصفحنا كتب التاريخ نجد افتتان القوط والوندال فى الأندلس بكل ما هو عربى، ليس بالشخصية العربية فحسب، بل بالأزياء العربية، وباللسان العربى أيضًا، حتى نجد أحد الأساقفة ينعى حظ بلاده فى أنه لم يجد من بين الشباب من يجيد التحدث بلغة أهله، بل نجد الأسقف يتزيا بالملابس العربية ويقرض الشعر العربى ويتعجب من أن العرب لم يفرضوا لغتهم ولا دينهم ولا ثقافاتهم، إنما أهل الأندلس هم الذين اختاروا طوعًا وبرغبة منهم، حضارة وثقافة العرب.

تقليد أعمى

ويقارن الدكتور **عبد المقصود باشا** حال التشبه بالسلوك والحضارة العربية الأصيلة فى الأندلس، وما آل إليه حال بعض المسلمين اليوم الذين ينتقون أسوأ ما قدمته حضارة الغرب من تحلل قيمى وأخلاقى، ومن سلوكيات وعادات غريبة لا تتناسب وقيمنا السامية، حتى الملابس الضيقة التى يحرص هؤلاء على ارتدائها، يرفضها كبار الأخصائيين النفسيين الذين ينصحون بارتداء الزى العربى الفضفاض، ويشير إلى أنه على الرغم من وجود قلة من أبناء المجتمع استطاعوا أن يفيدوا من حضارة الغرب ونبغوا فى علومهم، إلا أن هناك العديد من أبناء هذا الوطن الذين جاءوا يجرون أذيال الخيبة خلفهم دون أن يقدموا لوطنهم شيئًا يردون به الجميل.

مؤكدا على أننا بحاجة إلى إعلام ومحاضرات يومية توجه الشباب للعودة إلى منابعه الأصيلة يستقى منها القيم الرفيعة والمبادئ السامية.

إهدار القوى

الدكتور **محمد يونس الحملاوى** - أستاذ الحاسب الآلى بكلية الهندسة جامعة الأزهر - يرى أن التقليد استعمال لشىء فى غير حاجة إليه، وهو يعنى إهدار للقوى والدخول فى خط استهلاكى يختلف كلية عن خط استهلاكك بما يزيد عن احتياجك الفعلى، كما أن التقليد فيه إهدار لقيمة العقل، وهو ما أشار إليه القرآن الكريم **﴿إنا وجدنا آبائنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون..﴾**.

بل اعتبرهم القرآن كالأنعام التى لا تفكر ولا تهتدى إلى الطريق القويم.

نماذج مقولبة

ويؤكد أن النظم التعليمية عندنا أدت إلى تقديم نماذج مقولبة لا تؤدى إلى التفكير والإبداع لاعتمادها على الحفظ والتلقين فضلاً عن نظم تدريس المواد العلمية باللغات الأجنبية، الأمر الذى أدى إلى عدم استيعاب الطلاب للعلوم بصورة جيدة فضلا عن ظاهرة انتشار الجامعات الأجنبية التى أدت إلى ظهور جيل جديد يرتبط وجدانيًا بثقافات أخرى إضافة إلى صنع جدار عازل بينهم وبين لغتهم القومية؛ الأمر الذى يجنح بالطالب ليقلد الآخرين ويفخر ويتباهى بالتشبه بهم.

الإحساس بالدونية

ويشير الدكتور الحملاوى إلى أن الوضع المتردى للمجتمع الذى يقوم على التقليد للغرب والإحساس بالدونية قد ترتب عليه أن تخلفنا فى كل مجالات الإبداع والاختراع، ويكفى أن نعرف أن ما يقدم من براءات اختراعات سنويًا فى مصر لا يتعدى ٥٠ براءة اختراع، فى ذات الوقت الذى يقدم فيه المخترعون فى كوريا الجنوبية ١١١٣ براءة اختراع فى العام، وعلى ذلك شهدنا التراجع فى كل مجالات الحياة، ففى الصناعة يكفى أن نعرف أننا نستورد كل شىء من القلم الرصاص وأعواد الثقاب فما بالنا بصناعة السيارة والطائرة، ولقد فشلنا حتى اليوم فى صناعة سيارة مصرية خالصة على الرغم من أننا بدأنا المحاولة فى نفس التوقيت الذى بدأت فيه الهند، لكنها اليوم تصنع سياراتها الخاصة ونحن لا زلنا محلك سر. بل ارتددنا على أعقابنا خاسرين بعد أن أهملنا الإبداع والاختراع، وصرنا عالة على الآخرين.

■■ وأنتم يا من انجرفتم فى تيار الحضارة الغربية ولم تأخذوا منها إلا القشور ولم تربحوا من ورائها إلا ما يهدم ولا يبنى اتقوا الله فقد سبقتنا أمم اعتزت بهويتها وتمسكت بحضارتها فبلغت أوج مجدها.

بمناسبة مرور عشرين عاماً على اتفاقية حقوق الطفل

مؤتمر حقوق الطفل.. والشريعة الإسلامية

الإسلام ينظر إلى الطفولة نظرة الأمل المرتقب الذى يرجى ويطلب ويؤمل فيه ويشتاق إليه، فإذا تحقق الرجاء كانت سعادة النفس وبهجة القلب وانشراح الصدر، ومن الحقائق القرآنية أن الذرية هبة من الله عز وجل لعباده المؤمنين، قال تعالى: ﴿لله ملك السماوات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور ، أو يزوجهم ذكرانًا وإناثًا ويجعل من يشاء عقيمًا إنه عليم قدير﴾ (سورة الشورى الآيتان: ٤٩ - ٥٠).

سوزان مبارك:
الشريعة الإسلامية أرست حقوقًا ثابتة للطفل منذ أكثر من ١٤ قرنًا

ومن ثم فقد حث الإسلام الزوج على حسن اختياره لزوجته، فقال رسولنا الكريم ﷺ: **«تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس»** أى أن الإسلام اهتم بالطفل قبل أن يولد، فما بال اهتمامه به بعد ولادته، فوضع الضوابط التى تكفل الجو النفسى الذى يجب أن ينشأ فيه الأطفال، وتتكون من خلاله معارفهم ومداركهم، ومن حق الطفل على والديه إذا وصل السن التى تفهم وتعقل أن يزوداه بالمعرفة، وهما مطالبان بأداء هذا الفرض بالنسبة للطفل وهو فى بداية الطريق.

تابع المؤتمر: محمد كامل شاهين

ويؤثر عن الإمام علىّ رضي الله عنه مقولته الشهيرة: «**علموا أولادكم على غير شاكلتكم، فإنهم مخلوقون لزمان غير زمانكم**».

ويقول صلوات الله وسلامه عليه: «**الزموا أولادكم وأحسنوا أدبهم**» هذا هو الإسلام وهذه هى شريعته الغراء التى لم تترك شيئًا إلا تحدثت عنه باستفاضة وأكملته، فالإسلام يعى تمامًا أن الطفل هو المستقبل فإذا أسس أساسًا قويًا نهضت به الأمة وثبت أقدامها فى رسوخ وشموخ وإباء، فهم شموس الغد التى سوف تشرق على الأمة الإسلامية، وهم حملة لواء العلم الذى يأخذ بناصيتها إلى آفاق رحبة فى المستقبل، ومن أجل ذلك وضع الإسلام النقاط على الحروف منذ ما يقرب من ألف وأربعمائة عام ونيف، وأرشدنا إلى كيفية معاملة أطفالنا، ومن هذا المنطلق كان مؤتمر «**حقوق الطفل والشريعة الإسلامية**» الذى انعقد فى الفترة من ٦ - ٧ من ذى الحجة ١٤٣٠هـ - ٢٣ نوفمبر سنة ٢٠٠٩م.

بمناسبة مرور ٢٠ عامًا على إنشاء المجلس القومى للطفولة والأمومة بمصر والذى يتزامن مع مرور ٢٠ عامًا على اتفاقية حقوق الطفل العالمية، وقد حضر هذا المؤتمر وفود من ٥٧ دولة إسلامية على رأسها منظمة المؤتمر الإسلامى وأمينها العام الدكتور أكمل الدين إحسان أوغلو، إلى جانب العديد من المنظمات الدولية المهتمة بحقوق الطفل، ولذا حرصت «**منبر الإسلام**» أن تلقى الضوء على هذا المؤتمر المهم حتى يتسنى للقارئ معرفة ما دار فى أروقته.

فى البداية أعربت السيدة سوزان مبارك قرينة رئيس الجمهورية عن سعادتها بالاحتفال بمرور عشرين عامًا على إنشاء المجلس القومى للطفولة والأمومة بمصر والذى يتزامن مع مرور عشرين عامًا على اعتماد حقوق الطفل.

وأكدت أن الاحتفالات حول العالم بهذه المناسبة تعكس التوافق الدولى واسع النطاق الذى حظيت به الاتفاقية منذ اعتمادها، كما تعكس الإجماع الدولى على تناول حقوق الأطفال وقضاياهم.

وأشارت قرينة الرئيس خلال كلمتها فى الجلسة الافتتاحية للمؤتمر الدولى للاحتفال بمرور عشرين عامًا على اتفاقية حقوق الطفل والذى حمل عنوان «**الاتفاقية والشريعة الإسلامية**» إلى أن منظمة المؤتمر الإسلامى شاركت بفعالية منذ اليوم الأول فى وضع معالم هذه الاتفاقية والتزمت بمبادئها وأحكامها باعتبارها إطارًا قانونيًا وإنسانيًا لحماية الحقوق الأساسية التى يجب أن يتمتع بها الأطفال فى كل مكان دون تمييز.

وأكدت أن المؤتمر يمثل فرصة سانحة لتبادل الآراء والخبرات، ونستعرض من خلاله مختلف التجارب وأفضل الممارسات، ونبحث سبل تعزيز التزامنا بأحكام الاتفاقية،

نعتز ونفخر بانتمائنا لحضارة عربية إسلامية تقوم فى جوهرها على التسامح والاعتدال والترابط الأسرى وقبول الآخر

ونتناول بالتقييم ما حققناه من إنجازات، ونطرح ما نصادفه من صعاب وتحديات وسبل التغلب عليها.

وقالت: «**إننا وبعد عشرين عامًا من اتفاقية حقوق الطفل لا نزال فى مواجهة تحديات عديدة على المستوى الوطنى والإقليمى والدولى حيث لا يزال هناك مئات الملايين من الأطفال فى العالم النامى ضحايا الفقر والتهميش، والجوع وسوء التغذية، والحرمان من التعليم والرعاية الصحية، كما نشهد معاناة الأطفال من الصراعات المسلحة والعنف الأسرى، وفظائع الاتجار فى البشر**»، وأوضحت أن علينا أن نعترف أن الجهد الدولى الذى تفاعل مع حقوق الطفل حتى اليوم لم يرق للمستوى المطلوب، فلا تزال هناك فجوة ضخمة بين موارد التمويل المتاحة للأجهزة والصناديق الدولية والإقليمية وبين موارد التمويل الضرورية والمطلوبة».

عدم التمييز

وأكدت أن المؤتمر ناقش أفضل السبل لتنفيذ الاتفاقية فى مجالات محددة مثل الحق فى عدم التمييز، ومكافحة العنف ضد الأطفال بأشكاله المختلفة، وموقف قضاء الأحداث من معالجة جنوح الأطفال، بالإضافة إلى حق الطفل فى المشاركة فى عملية التعلم، وحقه فى التعبير عن آرائه، وفى الاستماع إليه.

وأكدت أن حقوق الطفل قد حظيت بمكانة عالية فى الشريعة الإسلامية فاهتمت بالطفل، وأرست له حقوقًا ثابتة منذ أكثر من أربعة عشر قرنًا توفر له الحماية والرعاية فى مراحل حياته المختلفة.

وقالت: «**إننا نعتز بالإسهام المصرى فى التفاوض على أحكام اتفاقية حقوق الطفل، فقد لعبت الدبلوماسية المصرية دورًا محوريًا بدعم من رجال القانون كى تأتى الاتفاقية معبرة عن واقعنا ومتحاشية مع شريعتنا الإسلامية**».

كما استضافت مصر قمة دولية فى الإسكندرية نجحت خلالها فى بناء توافق عريض فى الآراء حول المسودة النهائية للاتفاقية. وأكدت أن مصر أولت اهتمامًا فائقًا ومتواصلاً لمسيرة حقوق الطفل باعتبارها توجهًا استراتيجيًا وطنيًا راسخًا، وحمل المجلس القومى للأمومة والطفولة لواء هذه المسيرة منذ إنشائه عام ١٩٨٩م.

دور المجتمع والأسرة

وأوضحت قرينة الرئيس أن تناولنا لقضايا الفتيات من منظور حقوقى متكامل بدأ بحملة توعية شاملة لتنمية المجتمع بقيمة الفتاة، ودور المجتمع والأسرة لتمكينها من جميع حقوقها، واعتمد هذا التحرك على رفع وعى الفتاة وإدراكها لقيمة ذاتها.

وأكدت أن هناك اهتمامًا كبيرًا لقضية تعليم البنات باعتباره حقًا إنسانيًا أصيلاً ووسيلة مهمة لتمكين الفتاة من مقاومة العنف والتمييز، فالتعليم يمكنها من رفض التضحية بها فى زواج غير متكافئ سابق لأوانه، ويحميها من أشكال الاستغلال.

كما حرصنا فى تحركنا على مراعاة الخصوصية التى تتسم بها بعض المناطق الريفية، فكانت النتيجة أننا رأينا مشاركة مجتمعية رائعة فى إعداد خطط تعليم البنات وتوفير الموارد اللازمة، وقد شهدنا بالفعل افتتاح ما يزيد على الألف مدرسة **«صديقة للفتاة»** فى الكثير من الكفور والنجوع النائية بمختلف محافظات مصر.

التسامح والاعتدال

واختتمت كلمتها مؤكدة أننا نعتز ونفخر بانتمائنا لحضارة عربية إسلامية تقوم فى جوهرها على التسامح والاعتدال والترابط الأسرى وقبول الآخر، حضارة شكلت رافدًا مهمًا من روافد الحضارة الإنسانية لقرون عديدة، وفى عالم اليوم صنعت تراثًا مشتركًا من الفكر والقيم والثقافة الإنسانية يضع أساسًا متينًا لتوافق عابر للحضارات والثقافات حول قضايا حقوق الطفل والإنسان على اتساع العالم.

جهد دولى

وأكد د. أكمل الدين إحسان أوغلو أمين عام منظمة المؤتمر الإسلامى على نجاح الجهد الدولى بإقرار الجمعية العامة للأمم المتحدة فى إقرار اتفاقية حقوق الطفل عام ١٩٨٩م، والتى أقرت حقوق الإنسان الأساسية التى ينبغى أن يتمتع بها الأطفال فى كل مكان، ودون تمييز، وأهم هذه الحقوق: حق الطفل فى البقاء والنمو والتطور إلى أقصى حد، والحماية من التأثيرات المضرة، وسوء المعاملة والاستغلال، والمشاركة الكاملة فى الأسرة، وفى الحياة الثقافية والاجتماعية.

وأشار إلى أن اتفاقية حقوق الطفل لعام ١٩٨٩م ليست هى المنطلق الأول لحقوق الطفل فى العالم، فقد تضمن التشريع الإسلامى منذ أربعة عشر قرنًا حقوقًا للطفل تكاد تكون متماثلة مع الحقوق التى تضمنتها المعاهدات الحديثة والوضعية لهذه الحقوق، بل وتفوقها فى بعض المسائل.

فقد اعتبرت الشريعة الإسلامية أن الطفل نعمة إنسانية ومطلب إنسانى فطرى؛ حفاظًا على الجنس البشرى، ورعاية لهذا المخلوق منذ بدء تكوينه كجنين.

وشدد على أن بحث تطبيق الدول الإسلامية لاتفاقية حقوق الطفل أمر مهم جدًا، لأن عدد الأطفال فى العالم الإسلامى يتجاوز حاليًا **٦٠٠ مليون طفل**، أى ما يزيد عن ٤٠٪ من تعداد المسلمين، وما يقارب ربع أطفال العالم، وبالرغم من الجهود التى تبذلها الدول الأعضاء فى منظمة المؤتمر الإسلامى فى رعاية الأطفال وحمايتهم، فإن ما يقرب من أربعة ملايين ونصف مليون طفل يموتون اليوم دون سن الخامسة كل عام بسبب الأمراض وسوء التغذية، ولا تزال نسبة التحاق الأطفال بالتعليم الابتدائى أدنى بكثير من المستويات المطلوبة فى العديد من الدول الأعضاء.

وقد عرفت منظمة المؤتمر الإسلامى تطورًا كبيرًا فى تعاملها مع قضايا حقوق الإنسان عامة، ومن ضمنها حقوق الطفل ابتداءً من ٢٠٠٥م، ففى تلك السنة قام مجلس وزراء الخارجية المنعقد فى صنعاء فى اليمن باعتماد عهد حقوق الطفل فى الإسلام الذى كان ثمرة عمل الفريق الحكومى المعنى بحقوق الإنسان بهدف صيانة حقوق الطفل فى العالم الإسلامى والارتقاء بها إلى المستوى الدولى، كما يضيف إليها الكثير من الأحكام والمبادئ المستوحاة من الدين الإسلامى الحنيف الذى يحيط الطفولة ببالغ الاهتمام ومنتهى الرعاية.

وأوضح أن المواثيق الدولية لتعزيز وحماية حقوق الأطفال فى العالم ومنها اتفاقية حقوق الطفل ومثيلاتها فى إطار العالم الإسلامى، تزود الدول الأعضاء فى المنظمة بمراجع ونصوص قانونية بالغة الأهمية للتقيد بحقوق الإنسان والطفولة المتعارف عليها عالميًا.

كما قرر ديننا الحنيف، لذلك يعتبر هذا المؤتمر محطة مهمة لرصد واقع تطبيق اتفاقية حقوق الطفل الدولية فى الدول الأعضاء فى منظمة المؤتمر الإسلامى، مما يجعل دولنا فى مصاف الدول المشهود لها باحترام حقوق الطفل فى العالم، ولا يخفى أن الاستثمار فى الأطفال هو استثمار فى تنمية حاضر العالم الإسلامى وازدهاره ومستقبله.

وللوصول إلى هذا الهدف النبيل، فإنه ينبغى أن تتضافر جهود مخلصة لعل أهمها: قيام شراكات بين حكومات الدول الأعضاء فى منظمة المؤتمر الإسلامى تؤازرها جهود القطاع الخاص والمنظمات غير الحكومي، والمجتمع المدنى، بهدف توفير الموارد المالية والخبرات الفنية والتعليمية والاجتماعية لتحسين أوضاع الأطفال فى العالم الإسلامى بصورة ملموسة.

درع المنظمة

قدم د. أكمل الدين أوغلو درع منظمة المؤتمر الإسلامى كهدية للسيدة سوزان مبارك تقديرًا لعطائها الإنسانى، وجهدها الاجتماعى المؤثر، راجيًا لها مزيدًا من النجاح والتألق والتوفيق فى هذا المجال، مجال التعاطف الإنسانى وبناء المستقبل ونهضة الأمة.

أولى الدول

أكدت السيدة/ مشيرة خطاب وزيرة الدولة للأسرة والسكان أن السيدة سوزان مبارك دائمًا راعية للأطفال وحقوقهم، وتتحمس فى كل ما يخصهم، وأشارت إلى أن مصر واحدة من أولى الدول التى دعمت حقوق الطفل، ودافعت عنها.

وأعلنت أن مصر وافقت على تقديم دعمها لصوغ بروتوكول اختيارى ثالث لاتفاقية حقوق الطفل، وذلك من أجل وضع إجراء لإقامة الاتصالات، وأن مصر هى واحدة من ضمن مجموعة أساسية من عشر دول، وقد أعربت الدول الأخرى عن تأييدها لذلك.

وأكدت أن اتفاقية حقوق الطفل حاليًا هى الوحيدة ضمن صكوك الإنسان الأساسية وما تحتاجه هو إجراء إقامة اتصالات مثل غيرها من المعاهدات الأساسية لحقوق الإنسان.

الأمل والسلام

أكدت الوزيرة/ سلمى على كفافى وزيرة الدولة للمرأة والأسرة بتركيا أن الآلاف من الأطفال يفقدون حياتهم يوميًا لعدم توافر التغذية الكافية والرعاية الصحية، ولا بد أن ننقل لأطفالنا مفاهيم الأمل والسلام والمودة، ويجب أن تتغير وجهة النظر إزاء الأطفال باعتبارهم أفراد فى المجتمع لديهم حقوق، كما أن مشاركتهم فى الحياة الاجتماعية مكسبًا كبيرًا، ويظهر جليًا فى المجتمعات التى تولى اهتمامًا لحقوق الأطفال، ومدى تطور تلك البلاد ورؤيتها نحو المستقبل، ومع موافقة الأمم المتحدة عام ١٩٨٩م على اتفاقية حقوق الطفل نادت تركيا بتعديل أوضاع الأطفال بها، وفى هذا الإطار تم اتخاذ خطوات هامة خلال الأعوام الأخيرة لتأمين استخدام الأطفال لحقوقهم التى يمتلكونها.

تعزيز الإمكانيات

قالت الوزيرة/ نعمة بالحان حسن وزيرة الأسرة والشئون الاجتماعية بجيبوتى: إن التقدم الذى حققته جيبوتى من خلال التصديق على الوثائق الدولية يأتى من أجل تمتع

أكمل الدين إحسان أوغلو:

واقع الأطفال فى العالم الإسلامى يتطلب تحركًا جادًا من طرف دول منظمة المؤتمر الإسلامى للارتقاء بأوضاع الطفل الذى يشكل طليعة الأمة وصانع غدها

الأطفال بحقوقهم وتنفيذ توصيات اللجنة، ومنها: التزام الحكومة بوضع إجراءات وخطط وطنية، وبدعم من رئيس الحكومة الذى دعا إلى حماية الأطفال عن طريق عدد من الأنشطة ووفق استراتيجية وطنية لرعاية الأيتام والمحرومين، وأن تعمل منظمات حكومية على رعايتهم وتعزيز الإمكانيات للأطفال للحصول على حقوقهم.

تطوير الخطط والبرامج

أكدت الوزيرة/ سلوى التارزى كاتبة الدولة المكلفة بالطفولة والمسنين بتونس على أن احترام حقوق الأطفال جزء أصيل من حقوق الإنسان، ويجب مراعاة العمل على عدم انتهاك هذه الحقوق، وأضافت إلى الحرص الشخصى لسيادة الرئيس التونسى زين العابدين بن على فى إعطاء حقوق الطفل بعدًا تشريعيًا ووطنيًا إضافيًا يندرج فى إطار التكاملية الشاملة لحقوق الإنسان، وحرصًا على ملاءمة التشريعات الوطنية مع أهداف الاتفاقية الدولية لحقوق الطفل، ونسعى لتطوير الخطط والبرامج والآليات التى من شأنها أن تعزز ما ينعم به أطفالنا من رعاية شاملة فى مجالات الصحة والتربية والحماية، وإرساء تقاليد الحوار البنّاء بين مختلف أفراد الأسرة.

مشاركة الأطفال فى المؤتمر

شارك أطفال من الأردن، ولبنان، وسوريا، واليمن، وفلسطين، والسنغال، ومصر، والعراق، وباكستان، وانتخبوا ممثلين عنهم من مصر ولبنان، وعبروا عن سعادتهم البالغة فى المشاركة فى هذا المؤتمر، آملين أن نصل إلى حل سليم للقضايا التى تعنيهم فى دول العالم الإسلامى، والحفاظ على حقوقهم مثل: الحق فى المشاركة والتعليم، والتعبير عن الرأى؛ حيث تلعب دورًا كبيرًا فى تكوين شخصية الطفل، ومن بين الأطفال المتحدثين فى المؤتمر منحت الوزيرة مشيرة خطاب الطفل/ جميل من سوريا لقب وزيرًا للأطفال نظرًا لحديثه البنّاء وأفكاره الخاصة لحماية حقوق الطفل، حيث طالب بضرورة إنشاء مجلس مشترك للأطفال من الدول المصدقة على اتفاقية حقوق الطفل كنموذج مماثل لجامعة الدول العربية فى حل كافة المشكلات التى يتعرض لها

الأطفال، وتوفير جميع الحقوق الصحية والتعليمية والاجتماعية لهم.

باكستان من أوائل الدول التى صدقت على اتفاقية حقوق الطفل

واستعرضت الوزيرة/ سامينا خالد غرقى وزيرة الرفاهية الاجتماعية فى باكستان مؤكدة أن الإسلام يفرض علينا المهمة المقدسة لرعاية وتنمية الأطفال، وأن الرسول الكريم ﷺ أوصانا بحماية الأطفال، وخصهم بالرعاية والاهتمام، وأن باكستان كانت من أوائل الدول التى صدقت على الاتفاقية، ووفرت مناخًا مواتيًا لحقوق الطفل على المستوى العالمى والإقليمى، وأعربت على أن المؤتمر يعد فرصة للدول الإسلامية للعمل المشترك لضمان مستقبل أفضل لأطفالنا، وفرصة لتبادل الخبرات.

على هامش المؤتمر

التقت منبر الإسلام بالدكتورة ثائرة شعلان مدير البرامج بالمجلس العربى للطفولة والتنمية حيث أوضحت أن المجلس يبذل قصارى جهده لصالح الطفل العربى، وخاصة أطفال الشوارع، مع خمس دول عربية هى: مصر والسودان والمغرب واليمن ولبنان، بالإضافة إلى موضوعات شتى مثل العنف ضد الأطفال، والحماية بشكل عام.

وأكدت أن المجلس العربى للطفولة والتنمية يمثل الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، ولعب دورًا مهمًا بالتعاون مع المجلس القومى للطفولة فى اليمن من أجل مساعدة الأطفال، خاصة الذين أضيروا من الحروب الدائرة هناك.

البيان الختامى

أجمع المشاركون فى المؤتمر الدولى لحقوق الطفل والشريعة الإسلامية الذى عقد برعاية وحضور السيدة سوزان مبارك، ومن الدول الأعضاء بمنظمة المؤتمر الإسلامى، على أن الخبرة المكتسبة على مدى عقدين من تنفيذ اتفاقية حقوق الطفل أبرزت توافق وتلاقى الاتفاقية مع الشريعة الإسلامية.

وأعلنت الوزيرة مشيرة خطاب فى بيان القاهرة الختامى أن الوفود المشاركة وعددها ٥٧ دولة اتفقت على إنشاء لجنة دائمة مستقلة لخبراء حقوق الإنسان كجهة رئيسية لمنظمة المؤتمر الإسلامى، وبتوفير الموارد البشرية والمالية لتنفيذ اتفاقية حقوق الطفل للدول الأعضاء بمنظمة المؤتمر الإسلامى، والعمل على تنفيذ القوانين والبرامج حول تلك الحقوق بالتشاور مع البرلمانيين والقيادات الدينية والتقليدية على المستويين الوطنى والمحلى.

وقالت مشيرة خطاب: إن إعلان القاهرة حول مساهمة الشريعة الإسلامية فى اتفاقية حقوق الطفل، والصادر عن المؤتمر - دعا الدول الأعضاء بمنظمة المؤتمر الإسلامى إلى

مشيرة خطاب:
مصر واحدة من أولى الدول التى دعمت حقوق الطفل ودافعت عنها

إصلاح عاجل للتشريعات لضمان حظر جميع أشكال العنف ضد الأطفال، وإيلاء اهتمام خاص تجاه الممارسات الضارة ومكافحتها، مثل: زواج الأطفال، وأشكال عمالة الأطفال، بصفة عامة وطالب المشاركون البلدان الأعضاء فى منظمة المؤتمر الإسلامى باتخاذ التدابير التشريعية لضمان أن الأطفال المحرومين من حريتهم سوف يمكنهم الوصول إلى التعليم والرعاية الصحية الملائمة، والأنشطة الرياضية، وفرص قضاء أوقات الفراغ الأخرى، والإبقاء على الاتصال المنتظم مع الآباء والأمهات، على أن تكفل لهم الحماية الكاملة ضد كافة أشكال العنف، بما فى ذلك ما ينطوى منها على معاملة غير إنسانية أو مهنية.

كما عبر المشاركون عن عميق قلقهم إزاء الفقر وآثاره السلبية على تفعيل حقوق الطفل، ويحث المشاركون الدول الأعضاء بمنظمة المؤتمر الإسلامى على مكافحة فقر الأطفال، وضمان حصولهم على الخدمات الاجتماعية الأساسية بالجودة المطلوبة، وعلى الاستثمار فى الأطفال باعتبارهم أولوية فائقة فى استراتيجيتها لتخفيف حدة الفقر، وخاصة فى سياق الأزمة الاقتصادية والمالية، وحتى يمكن تحقيق الأهداف التنموية للألفية لتخفيف الفقر بحلول عام ٢٠١٥م.

ويوصى المشاركون بأن تقوم الدول الأعضاء فى منظمة المؤتمر الإسلامى بتشجيع ودعم المشاركة النشطة للأطفال داخل الأسرة، وفى المدارس والمؤسسات.

كما يطالب المشاركون البلدان الأعضاء فى منظمة المؤتمر الإسلامى باستكمال وضع نظام العدالة للأحداث على نحو يتصف بالفاعلية والكفاءة بما يضمن التنفيذ الكامل للمعايير المنصوص عليها فى المادتين ٣٧، ٤٠ من اتفاقية حقوق الطفل، والمعايير الدولية الأخرى ذات الصلة، وفى هذا الصدد يجب إيلاء اهتمام خاص بتحديد السن القانونية الأدنى للمسئولية الجنائية ورفعها تدريجيًا.

هذا هو مؤتمر حقوق الطفل والشريعة الإسلامية، والذى يعد واحدًا من أكبر المؤتمرات التى عقدت فى السنوات الأخيرة من أجل صالح الطفل أمل المستقبل فى عالمنا الإسلامى، والذى عليه تتعقد الآمال فى غد مشرق.

أنباء وأخبار

منير بيومى

تحت رعاية الرئيس مبارك:

المؤتمر العام الثانى والعشرون للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية يناقش

مقاصد الشريعة الإسلامية وقضايا العصر

مائدة مستديرة لمناقشة القضايا التى تنظم العلاقة بين المسلمين وشعوب العالم

ينظم المجلس الأعلى للشئون الإسلامية تحت رعاية السيد الرئيس محمد حسنى مبارك مؤتمره الثانى والعشرين تحت عنوان «**مقاصد الشريعة الإسلامية وقضايا العصر**» فى إطار اهتمام مصر بالقضايا الدولية والعلاقات التى تربط بين المسلمين والشعوب الأخرى فى دول العالم، وذلك باعتبار أن هذه القضية تغيب عن كثير من المسلمين وغير المسلمين.

وقال وزير الأوقاف - فى المؤتمر الصحفى بديوان عام الوزارة، وحضره الدكتور محمد الشحات الجندى الأمين العام للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية واللواء عبد القادر سرحان وكيل أول الوزارة -: إن الشريعة الإسلامية جاءت خاتمة لكل الشرائع السابقة وصالحة لكل زمان ومكان، ومن أجل ذلك وقفت نصوصها عند الكليات والقواعد وفلسفات التشريع والتقنين، لتظل - دائمًا وأبدًا - منبعًا وافيًا بتحقيق المقاصد الشرعية الكافلة لسعادة الناس فى دنياهم وأخراهم، وتتمثل المقاصد الأساسية للشريعة الإسلامية فى خمسة أصول تعد أساسًا لحقوق الإنسان العامة وهى: حماية الحق فى الحياة والحفاظ على الدين والعقل والمال والأسرة.

وأضاف وزير الأوقاف: إن توضيح هذا الموضوع فى ظل الظروف الراهنة التى يتعرض فيها الإسلام لاتهامات ظالمة بشأن حقوق الإنسان من شأنه أن يبرز لكل من يريد التعرف على حقيقة الإسلام الحرص الشديد لهذا الدين منذ أربعة عشر قرنًا من الزمان على صياغة الحقوق الأساسية للإنسان وإقراره للتعددية الدينية والثقافية وانفتاحه على كل الأديان والثقافات والحضارات واستعداده التام للتحاور معها بهدف التعاون على كل ما من شأنه تقديم الخير لكل الناس فى كل زمان ومكان.

وأشار وزير الأوقاف إلى أن الدعوة وجهت لحضور المؤتمر إلى وزراء الأوقاف والمفتين والباحثين فى موضوع المؤتمر والذين يمثلون ٧٠ دولة.

وسيناقش المؤتمر - الذى يبدأ أعماله يوم ٨ من ربيع الأول الموافق ٢٢ فبراير المقبل ويستمر ٤ أيام - سبعة محاور حول مقاصد الشريعة الإسلامية وارتباطها بقضايا العصر وتشمل تحديد المفاهيم، وحفظ النفس والحق فى الحياة، وحفظ الدين وحرية العقيدة، وحفظ العقل والحق فى العلم والإبداع، وحفظ المال وحق الملكية، وحفظ النسل والنسب والأسرة، كما يستعرض المؤتمر أعلام الفكر المقاصدى لست شخصيات من الأعلام وهم:

الشاطبى، والعز بن عبد السلام، وابن خلدون، ونجم الدين الطوفى، ومحمد عبده، والطاهر بن عاشور.

وأضاف وزير الأوقاف، أنه سيتم تنظيم مائدة مستديرة على هامش

المؤتمر لمناقشة عدد من القضايا التى تنظم العلاقة بين المسلمين وشعوب الدول الأجنبية، ويشارك فيها ١٥ شخصية من أوروبا وأمريكا؛ بينهم ٥ شخصيات يمثلون الاتحاد الأوروبى لاستعراض الصورة الظالمة عن الإسلام والمسلمين، والتوصل إلى نتائج تهىء الفرص لعلاقات طبيعية بين أصحاب الديانات المتعددة.

وأشار إلى مسئولية المسلمين عما يحدث من صور سلبية عن الإسلام بالغرب لتصرف بعض الحمقى فى العالم الإسلامى بأعمال إرهابية زادت الخوف فى نفوس الأوروبيين من التوغل الإسلامى فى الغرب وما اسموه ظلمًا بالإرهاب الإسلامى، كما أعرب د. زقزوق عن أسفه للصورة السلبية لدى الغرب عن الإسلام والتى عكستها نتيجة الاستفتاء فى سويسرا بحظر بناء مآذن للمساجد والتى كانت غير متوقعة من الجانب الرسمى السويسرى، مشيرًا إلى عدم وجود حملة مضادة للحيلولة دون نتيجة الاستفتاء والتى سيتم على إثرها تعديل القانون السويسرى، معربًا عن مخاوفه من تداعيات هذا الموضوع فى أوروبا حيث بدأت محاولات أخرى لحظر الحجاب ومنع الأذان فى دول أخرى.

وأشار وزير الأوقاف إلى الدور الذى يقوم به المجلس الأعلى للشئون الإسلامية فى تصحيح الصورة السلبية عن الإسلام لدى الغرب من خلال إعداد المطبوعات وترجمات معانى القرآن بعدة لغات وتنظيم المؤتمرات فى الداخل والخارج، مؤكدًا أن الحوار هو تأكيد لشعيرة إسلامية وبناء على رغبة الطرف الآخر فى التعاون مع المسلمين، غير أنه أكد ضرورة تفعيل محاور ذلك الحوار ونقله من الصفوة والمفكرين والعلماء حاليًا إلى عامة المواطنين ليعرفوا الكثير عن الإسلام ووسطيته واعتداله ويغيروا فكرتهم السلبية عنه.

وأكد وزير الأوقاف استمرار دعم الدولة للدعاة والأئمة وتحسين وضعهم الاجتماعى والوظيفى، وقال: إنه تم خلال العامين الماضيين زيادة دخل الدعاة بمائتى جنيه شهريًا لكل داعية، ووصل الحد الأدنى لأول أجر ٦٠٠ جنيه وتتم زيادته تباعًا.

فى افتتاح الدورة التثقيفية الأولى حول تنظيم الأسرة

د. زقزوق: الفهم الخاطئ للدين أحد معوقات حل المشكلة السكانية.

أكد الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف ورئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية أن أحد معوقات حل المشكلة السكانية هو الفهم الخاطئ للدين، وقد أدى ذلك إلى الاهتمام بضرورة تأهيل رجال الدين لتدريبهم على موضوعات المشكلة السكانية، وبيان الرأى الصحيح للدين فى مواجهتها، مشيرًا إلى ضرورة معالجتها باعتبارها مسألة مصيرية للمجتمع المصرى لما فى الزيادة السنوية الكبيرة من تأثير رهيب على موارد وعجلة النمو الاقتصادى.

وقال: إنه من الأمور الثابتة المؤكدة أن شريعة الإسلام جاءت لتحقيق مصالح البشر وإرشادهم إلى طريق الخير فى دنياهم وأخراهم.

جاء ذلك فى افتتاح الدورة التثقيفية الأولى للأئمة والدعاة حول التوعية بمخاطر الزيادة السكانية والمشاركة فى خطة لمواجهة الزيادة السكانية وذلك بمسجد النور بالعباسية.

وانتقد د. زقزوق الذين يتعاملون مع هذه القضية بمنطق **(ولا تقربوا الصلاة)** والاستشهاد بالأحاديث التى تدعو إلى الزيادة والتكاثر وتجاهل الظروف التى قيلت فيها، كما أن القرآن الكريم والسنة النبوية أقرا تنظيم الأسرة ووجود تباعد زمنى بين كل حمل وآخر، وذلك حفاظًا على حقوق الطفل فى الرضاعة والرعاية.

وحذر الوزير من السير وراء بعض العناصر التى ترغب فى هدم المجتمع وإعاقة تقدمه، فالمجتمع المصرى متدين بطبعه، عندما يقتنع بأن الإسلام يدعو إلى تنظيم الأسرة، سوف يسير فى هذا

الاتجاه، وحذر من أن تجاهل هذه القضية يساعد على تفاقم مشكلات أطفال الشوارع وعمالتهم ويسهم فى تزايد معدلات الإجرام داخل العشوائيات.

وطلب من الدعاة أن يحرصوا على الاستفادة من المعلومات التى سيتلقونها من العلماء والمتخصصين فى هذه الدورة ونقلها إلى شرائح المجتمع المختلفة فى الحضر والريف الذى يشهد تزايدًا كثيفًا فى الإنجاب.

مشيرة خطاب:

تنظيم الأسرة يوفر الرعاية والحماية وينهض بالمجتمع.

وحذرت مشيرة خطاب وزيرة الأسرة والسكان من تداعيات الزيادة السكانية وتأثيراتها على الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والتنموية، خاصة فى ظل محدودية الموارد الطبيعية؛ حيث إن عدد السكان زاد بمقدار ٢ مليون و٥٠ ألف مولود فى العام الماضى (٢٠٠٨)، أى بزيادة قدرها ١٥٠ ألف مولود على العام الذى سبقه، وأنه فى حال استمرار معدلات الزيادة الحالية فإنه من المتوقع أن يصل تعداد السكان لنحو ١٠٤ ملايين نسمة بحلول عام ٢٠٢٠م.

وأكدت أن الأسرة أهم كيان فى المجتمع، وعلى رب الأسرة مراعاة التوازن بين موارده ومصادر دخله حتى يتم توفير حياة كريمة للأطفال بتقديم الرعاية والحماية، مما يساعد فيما بعد على تقدم المجتمع ونهوضه، ودعت الأئمة والدعاة إلى ضرورة الاقتناع بمسئولية الأب والأم عن تربية الأطفال وتثقيفهم ودورهم فى إقناع الجمهور بذلك حتى نبدأ فى الحد من الزيادة السكانية ونقضى على عمالة الأطفال والمخاطر التى يتعرض لها الطفل نتيجة لذلك.

وأضافت أن الدولة توفر وسائل تنظيم الأسرة وطبيب فى كل وحدة صحية بالمجان وخاصة فى الريف. وحذرت فى نهاية كلمتها من ظاهرة زواج الأطفال.

بدء فعاليات الدورة التدريبية الراقية الحادية عشرة للأئمة

تبدأ بمدينة الإسكندرية فعاليات الدورة التدريبية التثقيفية الراقية الحادية عشرة لـ ٦٠ من الأئمة الحاصلين على درجة الماجستير والدكتوراة فى العلوم الدينية من أول يناير حتى آخر فبراير ٢٠١٠م، يحاضر خلالها نخبة من العلماء وأساتذة الجامعات المصرية فى كافة العلوم والقضايا المثارة على الساحة فى الجوانب الدينية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية بما يؤهل الدعاة للتصدى لمشكلات المجتمع لتصحيح المفاهيم المغلوطة حول الإسلام.

كما ستجرى خلال الدورة مسابقة فى بحوث الدعوة تقرر تخصيص جوائز مالية للفائزين؛ حيث يمنح الفائز الأول ألف جنيه، والثانى سبعمائة جنيه، والثالث خمسمائة جنيه.

ومن المنتظر أن يحاضر خلال الدورة الدكتور محمد الأحمدى أبو النور وزير الأوقاف الأسبق، والدكتور على جمعة مفتى الجمهووية، والدكتور محمد الشحات الجندى الأمين العام للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية، والدكتور جعفر عبد السلام أمين عام رابطة الجامعات الإسلامية، والدكتور بكر زكى عوض عميد كلية أصول الدين، والدكتور سيف الدين عبد الفتاح الأستاذ بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية، والدكتور محمد نبيل غنايم أستاذ الشريعة بكلية دار العلوم.

وعلى هامش الدورة سيتلقى المتدربون تدريبًا على استخدام الحاسب الآلى إلى جانب منهج دراسى للغة الإنجليزية.

الاختطاف الدولى للأطفال

بحث مقدم من الأمين العام للمجلس إلى مؤتمر «اتفاقيات حقوق الطفل والشريعة الإسلامية»

حقوق الطفل من القضايا التى أولتها الشريعة الإسلامية عظيم الاهتمام والرعاية باعتبار الطفل إنسان المستقبل الذى يحمل عبء نهضة الأمة وتقدمها، والذى ينبغى أن تتوافر له كل مقومات الحياة التى تشكل شخصيته المتوازنة.. وفى هذا الصدد شارك الدكتور محمد الشحات الجندى الأمين العام للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية فى مؤتمر **«اتفاقيات حقوق الطفل والشريعة الإسلامية»** ببحث بعنوان **«الاختطاف الدولى للأطفال»** تناول فيه نشأة المشكلة مؤكدًا أن المشكلة جاءت نتيجة للتقارب الدولى وعصر العولمة الذى تعيشه البشرية والذى أفرز زيجات مختلطة وعلاقات نسب ومصاهرة بين مختلف الأجناس أثمرت أطفالاً أبرياء وقعوا ضحية لتصرفات غير رشيدة تمثلت فى خطف بعض الأطفال من جانب أحد الوالدين.

وقال: إن الاتفاقية الدولية الخاصة بالجوانب المدنية لاختطاف الطفل قد جعلت من أغراضها الأساسية ضمان عودة الطفل إلى محل إقامته الطبيعى وإنها بهذا المنحى قد أخذت جانب الملتمس لعودة الطفل المخطوف ولم تراع أن المصلحة الجديرة بالإهتمام هى مصلحة الطفل ذاته، كذلك لم تأخذ فى اعتبارها بالقدر الكافى أثر القيم الروحية والهوية العقيدية للطفل.

وأشار الدكتور الشحات الجندى إلى أن الشريعة الإسلامية قد اتخذت حملة من التدابير والضمانات والأساليب التى من شأنها أن تنهض بالطفل وتحميه من عوادى العوامل التى تحول بينه وبين استقامة الشخصية من منطلق أن الطفل يكون ضعيف القدرة والملكة التى تعينه على تمييز الأشياء وإدراك حقائقها، وهو مغزى الإشارة القرآنية فى قوله تعالى: **﴿الله الذى خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفًا وشيبة﴾** سورة الروم ٥٤.

ودعا الدكتور الجندى إلى ضرورة اتخاذ بعض التدابير والضمانات اللازمة للتعامل مع الطفل تحقيقًا للغاية المستهدفة، ومن هذه التدابير: حق الطفل فى أن يحيا فى بيئته الطبيعية حيث إن الأم هى مستودع الطفل ومستقره، وحق الطفل فى الأمان الحياتى والاستقرار النفسى، بحيث ينشأ نشأة مستقرة تنأى به عن حياة الخوف والتوتر النفسى والاجتماعى، وأن خطف الطفل وتهريبه عمل خاطئ لما ينطوى عليه من تفويت حق حضانة الطفل، وأن الشريعة الإسلامية قد أرست العلاقات الزوجية على أساس من المودة والرحمة، وفى هذا يقول الله تعالى: **﴿فرددناه إلى أمه كى تقر عينها ولا تحزن﴾** القصص: ١٣.

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية يشارك فى أعمال الندوة العلمية حول: الزواج العرفى .. شرعيته وآثاره

شارك المجلس الأعلى للشئون الإسلامية أعمال الندوة العلمية الدولية حول الزواج العرفى.. شرعيته وآثاره التى نظمتها المحكمة الدستورية العليا بجمهورية مصر العربية بالتعاون مع منظمة كونارد الألمانية بمقر المحكمة بكورنيش النيل بالمعادى ـ القاهرة فى الفترة من ١٤ إلى ١٥ نوفمبر الماضى.

وقد شارك الدكتور محمد الشحات الجندى الأمين العام للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية ببحث حول ظاهرة الزواج العرفى والأبعاد القانونية والاجتماعية فى المجتمعات الإسلامية المعاصرة كما أدار الحلقة النقاشية خلال الجلسة الأولى للمؤتمر التى تناولت مؤسسة الزواج فى الإسلام وظاهرة الزواج العرفى والتى شارك فيها الدكتور محمد رأفت عثمان عضو مجمع البحوث الإسلامية ببحث حول الزواج فى الإسلام.. أركانه وشروطه، كما شارك الدكتور محمد نجيب عوضين أستاذ الشريعة الإسلامية ووكيل كلية الحقوق جامعة القاهرة ببحث اشتمل على نظرة عامة على الزواج العرفى وأسباب اللجوء إليه.

فى ذكرى الهجرة النبوية:

الصَّبْرُ والإصرار فى هجرة المختار

عبد الغنى أحمد ناجى

الحق إن يمكر به الأعداء ... وينـاله فى دربه الإيذاء
ينأى عن الصد المقيت ميممًا ... جهة بها الأعوان والحلفاء
فالحق فى يمنى النبى وصحبه ... نور يشع وما له إطفاء
قد حاول الشرك العنيد بمكة ... إطفاءه من حاولوا جهلاء
أنى لهم أن يطفئوا نور الهدى ... والله للنور العظيم يشاء
من ثَمَّ هاجر أحمد من مكة ... والقصد يثرب عندها النصراء
بالوحى كانت هجرة ميمونة ... هى للحنيف تآزر وفداء
فى ليلة وقف الزمان إزاءها ... صُلبَ الخطا كالسيف فيه مضاء
وقف التآمر عند باب محمد ... والقصد للدين الحنيف فناء
لكن عناية ربنا فوق الحجى ... فهى الحماية إن طغى السفهاء
فيمر خير الخلق يرمى بالحصى ... يعمى به الرُّصَّاد والرقباء
بيض الحمامة كالجنود حماية ... والعنكبوت الديدبان وقاء
يرتد من طلبوا النبى تحيرًا ... والغار فيه نزيله اللألاء
معه الصِّديق الحق خير مؤازر ... صَدِّيقه، والعهد منه وفاء
خرجا من الغار الأمين ليثرب ... فهناك فى شوق له الأمناء
فيجيئها والنور يسطع حوله ... نور الرسالة بالهدى وَضَّاء
كل القلوب توده فى يثرب ... نور يشع وتحته القصواء
يسعى بها وسط الحفاوة قائلاً ... مأمورة ستنيخ حيث تشاء
ويكون أول ما يؤسس مسجدًا ... قصد المجىء عبادة وبناء
ويقيم أعدل دولة يشدو بها ... كل الوجود، أساسها السمحاء
لا فرق فيها بين أبيض ذى غنى ... أو أسود، كُلٌّ بها نظراء
تقوى القلوب أساس كل تميز ... فبها يسود السود والفقراء
أعطت حقوق الناس عدلا شاملاً ... ما عاد ينفر فى القلوب جفاء
أرست مبادئ للسعادة فى الدنا ... هى للخلائق فى الشقاء وجاء
إن المسير على هداها بلسم ... فيها لأوصاب الحياة دواء
صلى عليك الله يا خير الورى ... فعلى طريقك يهنأ السعداء

جمهورية مصر العربية
القاهرة
مجلة منبر الإسلام
٩ شارع النباتات - جاردن سيتى - القاهرة

نافذة على القراء

أحمد فاروق الهلباوى

حقيقة الهجرة

من القارئ/ طارق عزت الجمل - أم خنان - الحوامدية:

لقد هاجر المسلمون الأوائل فرارًا بدينهم من تسلط القوة الباغية، هاجروا حتى لا تحول قريش بينهم وبين دينهم الذى ارتضاه الله لهم، وخرجوا به من ظلمات الجهل وضلالات الكفر إلى نور الإيمان وواحة الإسلام، فالهجرة عمل بطولى كبير لا يقدر عليه إلا أفذاذ الرجال الذين طبعهم الله بطابع التقوى.

والمسلمون الآن فى عصرنا الراهن هم فى حاجة إلى هجرة من نوع جديد تدفعهم إلى مقدمة الصفوف.

نريد من المسلمين أن يهاجروا من السلبية والارتجالية إلى الإيجابية والعملية، من انحلال الأخلاق إلى قوة الإيمان، من الفوضى إلى النظام، من الفردية إلى التجمع والوحدة، من الاتكالية إلى الاعتماد على الله تعالى، من الضعف إلى القوة، من إلغاء الذاتية إلى قوة الشخصية، فمتى يحدث ذلك؟

يحدث ذلك حين نعود إلى الإيمان والطمأنينة. **وبعد..** فإن الهجرة التى ننشدها هى الهجرة من كل فعل ضال إلى كل عمل يجدد حياتنا، إلى هجرة تعيدنا إلى مقدمة الصفوف بحق، إلى هجرة نعرف بها أمراضنا ونستطيع أن نشفى منها. نعم فالواقع مُر، ولكن نريد هجرة تبعد بنا عن الأهواء والرغبات التى تحبس أنفسنا فيها، فساعة أن تعود للمسلمين عزتهم وكرامتهم نعرف أننا قد هاجرنا بحق.

المغالاة فى المهور أمر ممقوت

من القارئ/ محمد مصطفى الشايب / شلقام / بنى مزار:

الزواج فى منهج الإسلام هو عبارة عن التقاء نفسين عن رغبة واختيار، والصداق حق للمرأة تأخذه لنفسها، فيجب أن يكون كافيًا ومحددًا لتقبضه المرأة فريضة لها وواجبًا، وأوجب الشرع أن يؤديه الزوج خالصًا لصاحبته وأن يؤديه عن طيب نفس كما يؤدى الهبة والمنحة.

فإن طابت نفس الزوجة بعد ذلك لزوجها عن شىء من صداقها - كله أو بعضه - فهى صاحبة الشأن فى هذا والزوج له أن يأكله حلالاً طيبًا لأن العلاقة بين الزوجين ينبغى أن تقوم على الرضا الكامل والاختيار المطلق والسماحة النابعة من القلب.

وإذا كان الاتفاق حاصل على عدم وجود حد لأكثر المهر المسمى فى الإسلام، فإن الإجماع قائم على استحباب عدم المغالاة فى المهور لما ينشأ من أخطار اجتماعية تحول دون انتشار الزواج، وتكاثر العنوسة.

ويروى الإمام أحمد فى مسنده عن عائشة أم المؤمنين، أن رسول الله ﷺ، قال: **«أعظم النكاح بركة أيسره مؤنة»**.

وبعد، فالشريعة الإسلامية تركت تحديد المهر وعدم حصره فى مقدار معين وراعت فى ذلك عرف الناس وعاداتهم وكذلك راعى الإسلام قيم الأشياء وأثمانها والفقر والغنى وتباين طبقات المجتمعات وعلينا فى مثل هذه الأمور أن نقتدى بقوله - ﷺ: **«أنتم أعلم بأمور دنياكم»**.

مريم البتول

من القارئ/ محمد إسلام - الحوامدية - ٦ أكتوبر

قال رسول الله ﷺ: **«ما من مولود يولد إلا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخاً من مس الشيطان إياه إلا مريم وابنها»**، ثم يقول أبو هريرة: اقرءوا إن شئتم **﴿وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم﴾** رواه البخاري في التفسير.

ومريم لم تكن من الأنبياء؛ لقوله تعالى: **﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلاَّ رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾** (سورة الأنبياء: الآية ٧)، وإرسال جبريل إليها في قوله تعالى **﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾** (سورة مريم: الآية ١٧) إما أن يكون كرامة لها وهو مذهب من يجوز كرامات الأولياء، أو إرهاصا لعيسى عليه السلام، ومن الناس من قال: إن ذلك كان من قبيل النفث في الروع والإلهام والإلقاء في القلب كما كان في حق أم موسى عليه السلام في قوله تعالى: **﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾** (سورة القصص: الآية ٧).

وبعد.. فقد اصطفى الله مريم وفرغها لعبادته سبحانه وكفاها أمر معيشتها وأسمعها كلام الملائكة وطهرها عن الكفر والمعصية وكذلك عن كل فعل ذميم ووهب الله لها عيسى عليه السلام ويكفيها قوله عليه الصلاة والسلام **«حسبك من نساء العالمين أربع: مريم وآسية امرأة فرعون وخديجة وفاطمة عليهن السلام»**.

موسوعة العقيدة — موسوعة الفلسفة

ترقبوا

من إصدارات المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

أمهات كتب التراث الإسلامي

موسوعات متخصصة في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والمفاهيم الإسلامية العامة وشتى مناحي الحياة

مع الإصدارات الشهرية من مجلة منبر الإسلام وسلسلتي دراسات وقضايا إسلامية

أحدث الموسوعات موسوعة التصوف الإسلامي

مسابقة منبر الإسلام الدينية - المحرم ١٤٣١هـ

اقلب الصفحة

لبس النقاب.. ليس بفرض

من القارئ/ الطبيب أحمد مصطفى شريف

فى الوقت الحاضر يستغل البعض النقاب لتنفيذ الجرائم وللأسف يحاول البعض إضفاء شرعية للنقاب بتفسير خاطئ لآيات القرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿**يدنين عليهن من جلابيبهن**﴾ (الأحزاب:٥٩) فيدنى الثوب فى اللغة (المعجم الوجيز للفعل دنا) بمعنى يرخيه ليكون طويلا ويغطى الساقين. أما آية الحجاب (الأحزاب: ٥٣) فهى خاصة بنساء النبى فقط (ولم تذكر بناته ﷺ) حتى لا يراهن أحد لأنه ممنوع أن يتزوجن من بعده. وعندما أمر الله الرسول ﷺ بعدم الزواج أو تبديل زوجة مكان أخرى قال تعالى: ﴿**لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن**﴾ (الأحزاب: ٥٢)، فكيف سيتم الإعجاب بالمرأة الحسناء دون رؤية وجهها. وقال ابن تيمية فى كتابه «مجموع الفتاوى» (جزء ١٥ صفحة ٤٤٨): آية الجلابيب فى الأردية عند البروز من المساكن وآية الحجاب عند المخاطبة فى المساكن، وقال الألبانى فى كتابه «**الرد المفحم**»: ليس فى أى من الآيتين ما يدل على وجوب ستر الوجه والكفين لأن الجلباب هو الملاءة التى تلتحف بها المرأة فوق ثيابها (وليس على وجهها) إذا خرجت من دارها.

أما فى السنة النبوية، فلم يأمر النبى ﷺ بلبس النقاب أبدا، بل نهى عن لبس النقاب فى الحج حتى لو كانت المرأة جميلة فقد أخرج أحمد وصححه الألبانى أنه فى حجة الوداع كان أعرابى يتكلم مع النبى ﷺ وخلفه ابنة له جميلة، فنظر الفضل إليها، فقلب النبى وجه الفضل عن وجهها ولم يأمر البنت الجميلة بتغطية وجهها لأن الخطأ من الفضل فلم يلتزم بغض بصره كما فى قوله تعالى: ﴿**قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم**﴾ (النور : ٣٠). فلو أن النقاب فرض لما نزلت هذه الآية.

مسابقة منبر الإسلام الدينية. المحرم ١٤٣١هـ

هناك شبه إجماع بين المفسرين على أن الروم قد هزمت على يد الفرس، وأن العرب استاءوا لهزيمة الروم لأن تجار مكة من المشركين كانوا على صلة بالغساسنة حلفاء الروم، وقد رأوا أن يجعلوا هزيمة الروم بابا لمهاجمة المسلمين لأن الروم أهل كتاب وقد هزموا والفرس وثنيون وقد انتصروا فنزلت هذه الآيات تعد بنصر الروم.

السؤال.. فى أى مقال وردت هذه العبارة... وما اسم كاتبه؟

عنوان المقال: .... اسم الكاتب : ....

العنوان : ....

العمل : ....

اسم المتسابق : .... رقم التليفون : ....

تاريخ الميلاد : ....

رقم البطاقة : .... جهة الصدور : ....

املأ بيانات هذه البطاقة بعد معرفة الإجابة، واحفظها عندك لترسل إلينا جميع البطاقات مرة واحدة فى آخر أشهر المسابقة. ومسابقة هذا العام تبدأ من شهر رمضان ١٤٣٠هـ حتى شعبان ١٤٣١هـ

استراحة المنبر

إعداد: محمد سيد أحمد

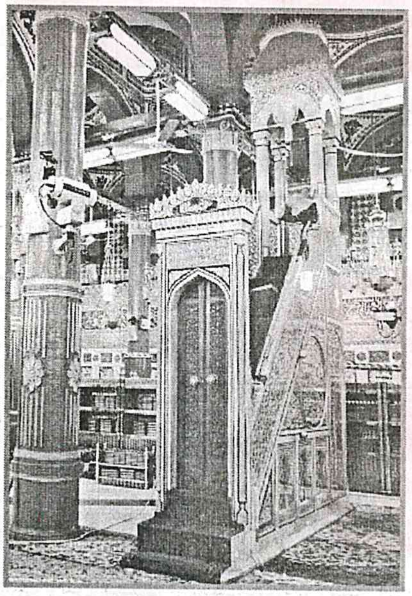

من هدى القرآن الكريم

﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٤٠) انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٤١) لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ وَلَٰكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (٤٢) عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ﴾

سورة التوبة من الآية ٤٠ : ٤٣

دعاء

اللهم احفظنى بالإسلام قائما وقاعدا وراقدا ولا تشمت بى عدوا ولا حاسدا. اللهم انى أسألك من كل خير خزائنه بيدك وأعوذ بك من كل شر خزائنه بيدك

من دعاء النبى عليه الصلاة والسلام

من هدى الرسول ﷺ

عن علي رضي الله عنه أن مدينا جاءه فقال: إني عجزت عن ديني فأعني. فقال: ألا أعلمك كلمات علمني إياهن رسول الله ﷺ لو كان عليك مثل الجبل دينا أداه الله عنك؟ قل: (**اللهم اكفني بحلالك عن حرامك واغنني بفضلك عمن سواك**).

وقال أبو سعيد الخدرى رضي الله عنه: دخل رسول الله ﷺ المسجد فإذا هو برجل من الأنصار يقال له أبو أمامة فقال له: «يا أبا أمامة م الى أراك جالسا فى المسجد فى غير وقت الصلاة؟» قال: أفلا أعلمك كلاما إذا قلته أذهب الله همك وقضى دينك؟» قلت: بلى يا رسول الله. قال: «قل إذا أصبحت وإذا أمسيت»: (**اللهم أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من العجز والكسل وأعوذ بك من الجبن والبخل وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال**)». قال: ففعلت ذلك فأذهب الله همى وقضى دينى.

وقال أيضًا: بسم الله على نفسى وعلى مالى ودينى، اللهم أرضنى بقضائك وبارك لى فيما قدر حتى لا أحب تعجيل ما أخرت ولا تأخير ما عجلت.

من أمثال القرآن الكريم

قال تعالى: ﴿**ضرب الله مثلا للذين كفروا...**﴾ (الآيات ٩ -١٢من سورة التحريم).

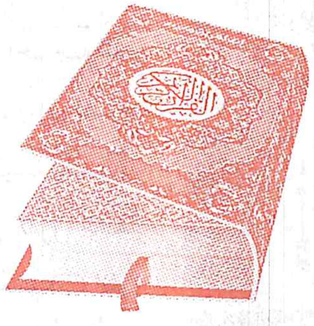

ثبت فى الصحيحين فضل آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران. لقول النبى ﷺ: **«كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران وخديجة بنت خويلد».**

قال ابن القيم رحمه الله فى كتابه أعلام الموقعين (١/١٨٨): اشتملت هذه الآيات ثلاثة أمثال: مثل للكافرين، ومثلين للمؤمنين، فتضمن مثل الكفار: أن الكافر يعاقب على كفره وعدواته لله ورسوله وأوليائه، ولا ينفعه مع كفره ما كان بينه وبين المؤمنين لحمة نسب، أو صلة صهر أو سبب من أسباب الاتصال، فإن الأسباب كلها تنقطع يوم القيامة إلا ما كان منها متصلا بالله وحده على أيدى رسله، فلو نفعت وصلة القرابة والمصاهرة أو النكاح مع عدم الإيمان لنفعت الوصلة التى كانت بين لوط ونوح وامرأتيهما.

قال تعالى: ﴿**لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيامة يفصل بينكم**﴾ (سورة الممتحنة: ١)، وأما المثلان اللذان للمؤمنين:

فأحدهما: امرأة فرعون، ووجه المثل أن اتصال المؤمن بالكافر لا يضره شيئًا إذا فارقه فى كفره وعمله، فمعصية الغير لا تضر المؤمن شيئًا فى الآخرة.

والمثل الثانى للمؤمنين: مريم التى لا زوج لها، لا مؤمن ولا كافر حيث لم يضرها عدم الوصلة شيئًا.

مكارم الأخلاق

روى البيهقى فى كتابه «شعب الإيمان» بإسناده عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت: قال رسول الله ﷺ: مكارم الأخلاق عشرة، تكون فى الرجل ولا تكون فى ابنه، وتكون فى الابن ولا تكون فى أبيه، وتكون فى العبد ولا تكون فى سيده يقسمها الله لمن يشاء من عباده:

«صدق الحديث، وصدق البأس، وألا يشبع وجاره وصاحبه جائعان، وإعطاء السائل، والمواساة بالنائل، والمكافأة بالضائع، وحفظ الأمانة، وصلة الرحم، والتذمم للجار، وقرى الضيف، ورأسهن الحياء».

نصيحة

قال رجل لبعض الصالحين: إنى عاجز عن قيام الليل.
فقال: يا أخى، لا تعص الله بالنهار.

الفقه والعلم

الفقه غير العلم؛ لأن الفقه غالبًا مظنون، والعلم أعم من الفقه؛ لأن من أتقن صناعة فهو بها عالم، فكل فقه علم، وليس كل علم فقهًا، وكل فقيه عالم، وليس كل عالم فقيها.

من أقوال الإمام على رضى الله عنه

«ثلاث موبقات: الكبر، فإنه حط إبليس عن مرتبته، والحرص، فإنه أخرج آدم من الجنة، والحسد، فإنه دعا ابن آدم إلى قتل أخيه».

«الفرق بين المؤمن والكافر الصلاة، فمن تركها وادعى الإيمان، كذبه فعله، وكان عليه شاهد من نفسه».

وسئل الإمام علىّ عن الفرق بين الغم والخوف، فقال: الخوف: مجاهدة الأمر المخوف قبل وقوعه، والغم: ما يلحق الإنسان من وقوعه.

طلب الرزق

كان قيس بن سعد يقول فى دعائه: اللهم ارزقنى مالا، فإنه لا يصلح الفعال إلا بالمال.

وكان أبوه سعد بن عبادة الأنصارى يقول: اللهم هب لى حمدًا، وهب لى مجدًا فإنه لا مجد إلا بفعال، ولا فعال إلا بمال، اللهم إن القليل لا يصلحنى ولا أصلح عليه.

(الفعال هو الكرم، وهو اسم لكل فعل حسن)

إجابة الدعاء

سأل موسى عليه السلام ربه يوما: يا رب ماذا تجيب عبدك العاصى إذا ناداك قائلا: يارب؟ فقال المولى سبحانه وتعالى لنبيه وعبده موسى: يا موسى.. أقول: «لبيك عبدى.. لبيك عبدى.. لبيك عبدى».

ثم سأل موسى.. يارب وماذا ترد إذا ناداك عبدك الصالح قائلا: يارب؟

فقال المولى سبحانه وتعالى: يا موسى.. أقول: «لبيك عبدى».

فقال موسى: يا رب ناداك عبدك العاصى فقلت لبيك عبدى ثلاثا!! وناداك الصالح فقلت لبيك عبدى واحدة؟

فقال المولى سبحانه وتعالى: يا موسى حينما نادانى عبدى الصالح اعتمد على عمله وحينما نادانى عبدى العاصى اعتمد على رحمتى».

﴿قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله﴾ (سورة الزمر الآية ٥٣).

خصم الديون المتعثرة من زكاة المال

■■ السؤال من القارئ/ خالد أحمد محمد ـ عين شمس ـ يقول: هل من الممكن خصم الديون المتعثرة لإخوة لنا فى الإسلام على حساب الزكاة بمعنى أن تقيد ضمن مدفوعات الزكاة دون إشعارهم بذلك، وإنما يفادون فقط بالتنازل عن الدين؟

■ **الجواب:** خصم الديون المتعثرة وتقييدها ضمن مدفوعات الزكاة وإخبار أصحابها بالتنازل عن ديونهم دون إشعارهم بأن ذلك من الزكاة جائز على قول عند الشافعية، وقال به أشهب من المالكية، وهو مذهب الإمام جعفر الصادق والحسن البصرى وعطاء؛ لدخول هؤلاء المدينين تحت صنف الغارمين الذى هو أحد مصارف الزكاة الثمانية.

ويشهد لهذا الرأى أن الله تعالى سمَّى إبراء المعسر من الدين الذى عليه صدقة فقال: ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (سورة البقرة الآية ٢٨٠)، فهذا تَصَدُّقٌ على المدين المعسر وإن لم يكن فيه إقباض ولا تمليك له، بناءً على أن الأمور بمقاصدها، وأن الإبراء فى ذلك بمنزلة الإقباض؛ فإنه لو دفع إليه زكاته ثم أخذها منه عن دَيْنِه جاز، فكذلك لو أسقط الدين عنه من الزكاة؛ لحصول الغرض بكل منهما وهو إزاحة هم الدَّيْن عن كاهل المدين.

ولا نرى بأسًا من الأخذ بهذا الرأى؛ لما فيه من الإرفاق بأصحاب الديون المتعثرة والتيسير على الغارم برفع هم الدَّيْن عن عاتقه. ولا بأس كذلك بعدم إشعار الغارمين بأن ذلك من الزكاة؛ لما فيه من جبر خواطرهم ورفع معنوياتهم وحفظ ماء وجوههم، وكلها مَعَانٍ سامية نبيلة يحث عليها الإسلام ويدعو إليها. والله سبحانه وتعالى أعلم.

تحديد القبلة على كوكب المريخ

■■ السؤال من القارئ/ محمد إسلام أحمد يقول: أدرس الهندسة المعمارية بالقاهرة. واخترت لبحث التخرج موضوع «استعمار كوكب المريخ»، وأريد أن أعرف كيف تتعيّن القبلة فى الفضاء وعلى كواكب أخرى خاصة «كوكب المريخ».؟

■ **الجواب:** الخارج إلى الفضاء يكون قد فقد اتجاه القبلة؛ حيث إن التوجه إلى القبلة مشروط بالبقاء فى كوكب الأرض؛ لدلالة قوله تعالى: ﴿**وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ**﴾ (سورة البقرة الآية ١٤٩)، فإن الخروج غير الصعود إلى السماء، وحينئذ فإنه يتوجه حيث يشاء وفى أى اتجاه كان ما دام فى كوكب غير الأرض ومنها المريخ؛ قال تعالى: ﴿**وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾ (سورة البقرة الآية ١١٥) ولا تسقط الصلاة. وحيث غابت حركة الشمس يُقَدَّرُ لها وقتُها؛ بدليل حديث الدجال المشهور، ويؤخذ بتقويم مكة ويصلى بالساعة؛ لأن مكة أم القرى. والله سبحانه وتعالى أعلم.

صلاة الحاجة

■■ السؤال من القارئ/ حسام الشيمى - الهرم - يقول: هل يجوز صلاة الحاجة جماعة؟

■ **الجواب:** كل ما لم تُشْرَعْ فيه الجماعة يجوز فيه الجماعة، وعلى ذلك فصلاةُ الحاجة وإن لم تُشْرَعْ لها جماعةٌ ولم يَرِدْ بشأنها ذلك فى السُّنة المشرفة، إلا أنه وبناءً على هذه القاعدة عاليهُ يجوز فيها الجماعة. والله سبحانه وتعالى أعلم.

البيــــع بالتقسيط

■■ السؤال من القارئ/ عبد الجبار - أسيوط يقول: هل يجوز شراء سيارة بالتقسيط، علمًا بأن التقسيط يتم من خلال البنك؟

■ **الجواب:** من المقرر شرعًا أنه يصح البيع بثمن حال وبثمن مؤجل إلى أجل معلوم، والزيادة فى الثمن نظير الأجل المعلوم جائزة شرعًا على ما ذهب إليه جمهور الفقهاء؛ لأنها من قبيل المرابحة، وهى نوع من أنواع البيوع الجائزة شرعًا التى يجوز فيها اشتراط الزيادة فى الثمن فى مقابلة الأجل؛ لأن الأجل وإن لم يكن مالاً حقيقة إلا أنه فى باب المرابحة يُزاد فى الثمن لأجله إذا ذكر الأجل المعلوم فى مقابلة زيادة الثمن؛ قصدًا لحصول التراضى بين الطرفين على ذلك، ولعدم وجود موجب للمنع، ولحاجة الناس الماسَّة إليه بائعين كانوا أو مشترين. ولا يُعَدّ ذلك من قبيل الربا؛ لأن القاعدة الشرعية أنه إذا توسطت السلعة فلا ربا.

والتقسيط عن طريق البنك لا يخرج عن هذا المعنى؛ فإن الذى يتم من خلاله عقدان؛ الأول بين البنك والبائع الذى يخرج الشيكُ باسمه، والثانى بين البنك والمشترى الذى يعطيه البنك السلعة مقسطًا إياها عليه بثمن زائد معلوم الأجل والمقدار، وهذا فى التكييف الشرعى لا يُسمى قرضًا، بل هو عقد مرابحة بوساطة البنك، فلذلك لا ينبغى تسميتُه بالقرض حتى لا يلتبس بالقاعدة الشرعية «كل قرض جر نفعًا فهو ربا».

وبناءً على ذلك وفى واقعة السؤال: فالمعاملة الواردة فيه صحيحة شرعًا. والله سبحانه تعالى أعلم.

بطاقات الائتمان «الفيزا»

■ السؤال من القارئ/ ريتاج حسام - القاهرة يقول: أمتلك بطاقتى فيزا: الأولى منهما من البنك الذى أعمل به وهذا بضمان وظيفتى ومستحقاتى لدى الإدارة، ويتم السداد خصمًا من راتبى الشهرى بنسبة عشرة بالمائة من إجمالى المسحوبات وبفائدة قدرها واحد وعشرون بالمائة سنويًا.

والبطاقة الثانية من بنك آخر بدون أى ضمانات مادية ولكن بضمان الوضع الاجتماعى الحالى؛ حيث إن موظف البنك يكون على درجة عالية من الثقة لدى البنوك الأخرى، ويتم السداد نقدًا بنسبة خمسة بالمائة من إجمالى المسحوبات وبفائدة قدرها واحد وعشرون بالمائة سنويًا.

برجاء التكرم بإفادتنا برأى سيادتكم فى هذا الخصوص حيث إننى أتعامل مع مثل هذه الكروت بكثرة نظرا للغلاء المعيشى ولسد احتياجات أسرتى، ولكنى أخشى على أسرتى وابنى أن يكون مثل هذا التعامل حرام.

■ **الجواب:** بطاقات الائتمان هى: «مستندات يعطيها مصدرها (البنك المصدر) لشخص طبيعى أو اعتبارى (حامل البطاقة) بناءً على عقد بينهما يمكنه من شراء السلع أو الخدمات ممن يعتمد المستند (التاجر) دون دفع الثمن حالاً؛ لتضمُّنه التزام المصدر بالدفع، ويكون الدفع من حساب المصدر، ثم يعود على حاملها فى مواعيد دورية، وبعضها يفرض فوائد تأخير على مجموع الرصيد غير المدفوع بعد فترة محددة من تاريخ المطالبة، وبعضها لا يفرض فوائد»، وما يأخذه البنك فيها من العميل عند الإصدار أو التجديد إنما هو عبارة عن رسوم خدمية، أما النسبة التى يأخذها البنك فهى نوع من العمولة المتفق عليها مسبقًا، وكل ذلك جائز شرعًا؛ لأنه من باب الصرف، وليس من باب القرض ولا الربا، لكن الحرمة إنما هى فى اشتراط فوائد تأخير عند تأخر السداد عن زمن معين؛ لأنه من قبيل بيع الكالئ بالكالئ المنهى عنه شرعًا، ومعناه: بيع الآجل بالآجل، وهذا وإن كان شرطًا فاسدًا إلا أنه لا يفسد العقد عند كثير من العلماء، فيبطل الشرط ويصح العقد، وحينئذ فلا مانع من التعامل بها وعلى العميل أن يحرص على إبطال هذا الشرط الفاسد عملاً؛ وذلك بعدم التأخر فى السداد حتى لا يقع فى فوائد التأخير.

وعليه وفى واقعة السؤال: فإن التعامل المذكور يكون منهيّا عنه؛ حيث تتراكم الفوائد بعد انشغال الذمة بدين معين، فيكون من قبيل بيع الكالئ بالكالئ، وهو من باب الحرام، وهذه الفوائد تتراكم من بداية العقد والعميل ملتزم بها أصالةً، ولا يمكنه إبطالها لا عملاً ولا قضاءً، ولذلك فالتعامل المذكور حرام.

والله سبحانه وتعالى أعلم.

زكاة المال المودع فى البنوك

▪▪ السؤال من القارئ/ نبوى حامد - الفيوم . يقول: لدى وديعة بالبنك تُعَدُّ موردى الأساسى للمعيشة ويخرج لى منها كل ثلاثة أشهر مبلغ من المال، فهل أخرج الزكاة على الأصل أم على الريع فقط؟

▪ **الجواب:** الأصل أن مقدار الزكاة هو ربع العشر عن أصل المال المودع إذا كان بالغا للنصاب وحال عليه الحول، ويرى بعض أهل العلم المعاصرين أن الزكاة فى المال المودع بالبنك الذى يتعيش منه صاحبُه تُستَحَقُّ على العوائد فقط؛ وهذا اجتهادٌ مبناه على اعتبار المال المودع فى البنك كالأرض التى تَجب الزكاة فيما تخرجه من نتاجها، بجامع أن كلاً منهما أصل ثابت يُدِرُّ على صاحبه دخلاً يتعيَّش منه، ويضره الانتقاص من أصله، وعلى ذلك فيجوز للمودع أن يكتفى بإخراج عشر أرباح المال المودع بالبنك، ولا نظر هنا إلى مرور الحول، ويكون ذلك مجزئًا له عن زكاة هذا المال، وذلك على رأى بعض أهل العلم. والله سبحانه وتعالى أعلم.

الأوراق المالية

▪ السؤال من القارئ/ مصطفى جمال - ميت غمر يقول: ما الحكم الشرعى للمعاملات المالية بالبورصة؟

▪ **الجواب:** البورصة ما هى إلا سوق للأوراق المالية والمعاملات التجارية، والتعامل فيها بشراء أسهم الشركات التى تتعامل فيما أَحَلَّه الله تعالى أو بيعها جائزٌ شرعًا بشرط أن يكون الشراء أو البيع بقصد المشاركة فى التجارة أو الصناعة أو النشاط الخدمى الذى تقوم به المؤسسة مصدرة الأسهم، أما إذا كان بقصد المضاربة على هذه الأسهم لإفساد الواقع المالى لهذه الأسهم والتدليس على جمهور المتعاملين فلا يجوز شرعا؛ لأن فيه نوع مقامرة، وإخلالا بالأسعار الواقعية لهذه المؤسسات المالية والتجارية، وتغريرًا بالناس.

وعليه وفى واقعة السؤال، فمتى ما كانت الأسهم التى يحتويها هذا الصندوق تخص مؤسسات مالية أو شركات أو مصانع أو نشاطات خدمية مباحة فالتعامل فى هذه الأسهم من خلال هذه الصناديق يكون جائزًا شرعًا. والله سبحانه وتعالى أعلم.

البينة واليمين

▪▪ السؤال من القارئ/ محسن عيد - القاهرة يقول: ما حكم الشرع فى البشعة؟

▪ **الجواب:** البشعة ليس لها أصل فى الشرع الشريف، وإنما يجب أن نعمل بقول رسول الله ﷺ: «البينة على من ادعى واليمين على من أنكر» رواه البيهقى فى السُنن الكبرى والدارقطنى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما؛ فهذا الحديث الشريف رسم لنا طريق المطالبة بالحق وإثباته أو نفى الادعاء الباطل، وهذا ما يجب على المسلمين أن يتمسكوا به دون سواه من الطرق السيئة التى لا أصل لها فى الشرع؛ بل وتنافى العقائد الثابتة بخصوصية الله تعالى بعلم الغيب؛ قال تعالى: ﴿قُلْ لاَ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلاَ ضَرًا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾ (سورة الأعراف: الآية ١٨٨). والله سبحانه وتعالى أعلم.

الأذان لصلاة الجمعة

■■ **السؤال من القارئ / زكريا موافى - القليوبية يقول: ما حكم الأذان الثانى للجمعة؟**

■ **الجواب:** شرع الله الأذان لإعلام الناس بدخول وقت الصلاة، وتنبيههم للإقدام عليها وشرعت الإقامة لاستنهاض الناس لأداء الصلاة. وشرع أذان واحد لكل فريضة. وكان زمن التشريع للأذان بعد الهجرة فى السنة الأولى، كما ثبت فى حديث رؤيا عبد الله بن زيد وعمر بن الخطاب رضى الله عنهما، رواه الترمذى وصححه ابن خزيمة وابن حبان، وكان لكل فريضة أذان واحد وإقامة. وكانت الجمعة كسائر الفرائض فى عهد النبى ﷺ وصاحبيه أبى بكر وعمر رضى الله عنهما، وزاد عثمان رضى الله عنه الأذان الثانى يوم الجمعة للحاجة إليه، وهى كثرة الناس، فعُلِمَ أن الأذان مشروع بأصله، وليس هناك مانع من زيادة أذان مشروع فى وقت يحتاج الناس إليه، كما فهم بلال رضي الله عنه ذلك عندما صلى سُنة الوضوء مع كونها لم تكن مشروعة بخصوصها.

وأورد الإمام البخارى زيادة عثمان رضي الله عنه للأذان الثانى؛ فعن السائب بن يزيد رضي الله عنه قال: «كان النداء يوم الجمعة أوله إذا جلس الإمام على المنبر على عهد النبى ﷺ وأبى بكر وعمر رضى الله عنهما، فلما كان عثمان رضي الله عنه وكثر الناس زاد النداء الثالث على الزوراء، وسماه البخارى الثالث؛ لأنه يُسمى الإقامة أذانًا.

وما فعله عثمان رضي الله عنه لم يشذ به عن باقى الأمة؛ فقد أقره الصحابة فى عهده، وثبت الأمر على ذلك بعده فى عهد على بن أبى طالب رضي الله عنه إلى يومنا هذا. ولقد روى البخارى نفس الحديث برواية أخرى زاد فيها: عن الزهرى قال: سمعت السائب بن يزيد رضي الله عنه يقول: «إن الأذان يوم الجمعة كان أوَّله حين يجلس الإمام يوم الجمعة على المنبر فى عهد رسول الله ﷺ وأبى بكر وعمر رضى الله عنهما، فلما كان فى خلافة عثمان رضي الله عنه وكثروا، أمر عثمان يوم الجمعة بالأذان الثالث، فأُذِّن به على الزَّوراء، فثبت الأمر على ذلك».

ويقول ابن حَجَر العسقلانى فى «فتح البارى» (٢/٣٩٤): «والذى يظهر أن الناس أخذوا بفعل عثمان فى جميع البلاد إذ ذاك، لكونه خليفة مطاع الأمر» إلى أن قال: «وكل ما لم يكن فى زمنه ﷺ يسمى بدعة، لكن منها ما يكون حسنًا، ومنها ما يكون بخلاف ذلك، وتبين بما مضى أن عثمان أحدثه لإعلام الناس بدخول وقت الصلاة قياسًا على بقية الصلوات، فألحق الجمعة بها، وأبقى خصوصيتها بالأذان بين يدى الخطيب، وفيه استنباط معنى من الأصل لا يبطله».

ومما سبق نعلم أن الأذان الثانى للجمعة سَنّه سيدنا عثمان رضي الله عنه، وقد قال النبى ﷺ: **«من يعش منكم بعدى فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسُنتى وسُنة الخلفاء المهديين الراشدين»**. رواه ابن حبان والحاكم. وعثمان رضي الله عنه من الخلفاء الراشدين، ولقد قام الإجماع العملى من لدن الصحابة إلى يومنا هذا على قبول الأذان الثانى، فالذى يطعن فيه وينكره فإنه إنما يطعن فى إجماع وفى شعائر الإسلام التى ارتضاها العلماء عبر القرون، والذى يدَّعى أنه بدعة ضلالة يكون قد خالف ما تواتر عن النبى ﷺ من أن الله سبحانه لا يجمع أُمته على ضلالة. والله سبحانه وتعالى أعلم.

بريد التعارف

الاسم : أحمد محمد محمود عمر عساكر

الهواية : الدعوة إلى الله تعالى وقراءة القرآن

العنوان : الإخصاص – مركز إمبابة – محافظة ٦ أكتوبر

الاسم : نبيل صلاح عزت

الهواية : الكراتيه

العنوان : شابور – محافظة البحيرة – مركز كوم حمادة

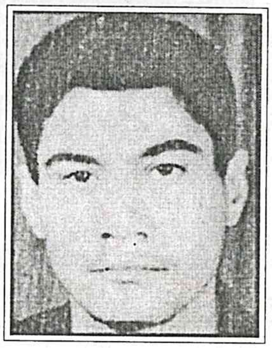

الاسم : رفاعى محمد فراج محمد

الهواية : القراءة

العنوان : محافظة قنا – قرية أبو شوشة – شارع البحر بجوار النقطة

الاسم : يوسف نوبى محمود أبو الحجاج

الهواية: المراسلة

العنوان : قنا – أرمنت – الربانية

الاسم : رفعت صابر عثمان الخادفى

الهواية : سماع القرآن الكريم

العنوان : المنشاة – شارع الشمندى

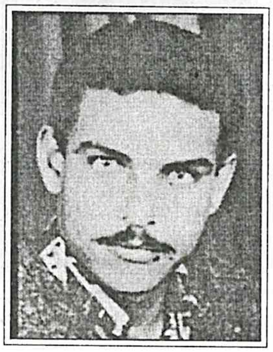

الاسم : نبيل سيد فرغلى

الهواية : الاطلاع

العنوان : قرية تنده – ملوى – المنيا

الاسم : مجدى سيد أحمد أحمد القصاص

الهواية : القراءة – والاطلاع الدينى

العنوان : الهياتم – مركز المحلة الكبرى – غربية

الاسم : محمود أحمد عبد الجواد

الهواية : قراءة القرآن الكريم – جمع الطوابع

العنوان : المنيا طه السبع – ٤١ ش ربيع حسين

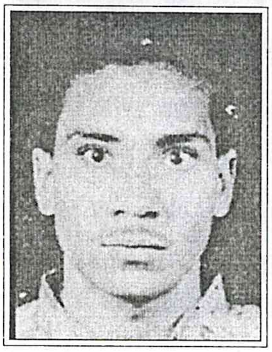

تعارف منبر الإسلام

الاسم : ....

الهواية: ....

العنوان: ....

ترجو المجلة من قرائها فصل الكوبون وملء بياناته وإرفاق الصورة به وإرساله إلينا

الاسم : أحمد محمد أحمد على سلطان
الهواية : الاطلاع الدينى والبحث العلمى
العنوان : عرب الحصوة مركز طوخ – قليوبية

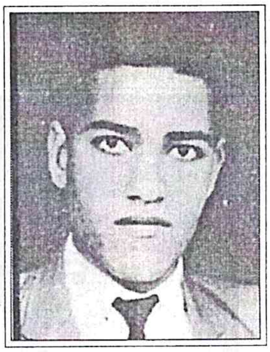

الاسم : حنفى مكى محمد
الهواية : الخطابة – كرة القدم
العنوان : أسوان – كيما عزبة الحدود بوصة كيما

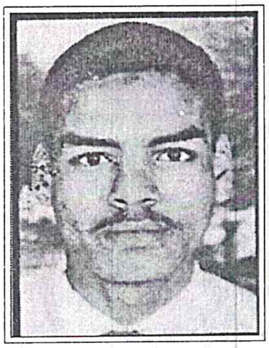

الاسم : حلمى محمود السباعى الدناصورى
الهواية : الخطابة
العنوان : دبركى – منوف – المنوفية

الاسم : صلاح الدين حمادة خليل
الهواية: قراءة القرآن الكريم
العنوان : قنا – تفاته

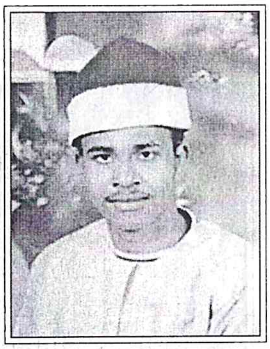

الاسم : عمر أحمد اليمانى
الهواية: استماع القرآن الكريم والخطابة
العنوان : دار السلام الملأة – ش نور الإسلام

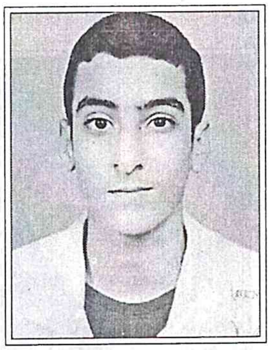

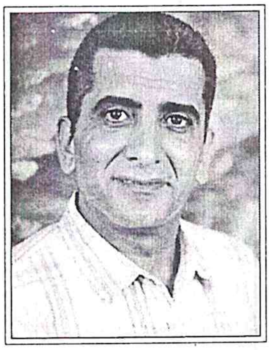

الاسم : أحمد تهامى محمد
الهواية : قراءة القرآن الكريم والخطابة
العنوان : شبرا الخيمة – قليوبية

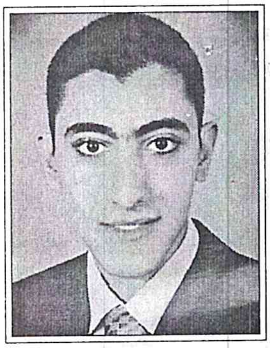

الاسم : محمد جلال محمد ناصف
الهواية : الدعوة الإسلامية والخطابة
العنوان : ش على سالم – دمرو – بجوار مضرب الأرز – محافظة الغربية

الاسم : محمد جمعة معوض خضر
الهواية : تلاوة القرآن الكريم – الخطابة
العنوان : قنا – نجع حمادى

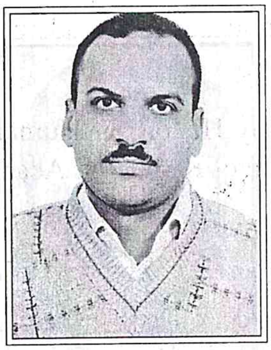

مجلة منبر الإسلام

تفتح آفاقها على العالم الإسلامى
بكل جديد ومفيد
سارع باقتناء نسختك قبل نفاد الكمية

مجلة الفردوس
للطفل المسلم «هدية»

In this modest paper, I choose three of the landmarks of Egypt in science. They are also members of the Academy of Arabic language and part of its elite. They are more well-known for their translations for the scientific culture than for translations of textbooks, though they took part in them in 1960s.

The three landmarks are:

1. The late venerable professor Dr. Ahmed Zaki (May Allâh rest his soul in peace), Professor of organic chemistry. He was also an illustrated chemist and well-known man of letters. He worked as Director of the Scientific Research Institute in Egypt, Rector of Cairo University and a minister. He has numerous scientific writings. But we hereby mention only those he translated or reviewed.

The following books are translated by him:

- Retorts and Pipes of Chemistry by Bernard Gaffi, 2nd edition, 1960.

- Decisive Moments in the History of Science by James Conan, 1st edition, 1963.

- Story of the Microbe: How It was Discovered, by Paul du Croive, 3rd edition 1919.

2. Professor Dr. Abdel-Hafiz Helmi Mohamed, ex-dean of the Faculty of Science, Ain Shams University (1976), expert at Biology and Agriculture Committee at the Academy of the Arabic Language (since 1977), co-ordinator of the National Committee of History of Sciences, author of Dictionary Of Medicine with Dr. Hassan Hathut, Kuwait (1997), Animal Dictionary From The Qur'an Glossary (1999), Kuwait as well as scores of published articles in the field of scientific translations including the following:

- Odditites in the Realm of Animals, the One Thousand Books Series, No 239.

- Men and Microscopes in Biology, by Catharine Sheen, Dar Al-Qalam, 1962.

- Characteristics of Living Creatures, by Brokeworth and Robert Andrews, Sigal Al-Arab Institution, 1963.

- The Physical Basis of Personality by H. Mitram, The One Thousand Books Series, No. 551, 1966.

- Animals Behaviours, by Appol Scott, Al-Khangi Institution, 1967.

3. Porfessor Dr. Ahmed Mostageer Mostafa (May Allâh rest his soul), Dean of the Faculty of Agriculture, Cairo University (1986). He took part in translating specialized scientific books as well as cultural ones. He was a pioneer in the field of translation in genetic engineering, especially the latest international books. He kept on translating for Egyptian universities since 1972. Some of the most important of his translations include:

1. The Ozone Hole, by John Gribin, Cairo University Center, 1996.

2. Physics and Philosophy, by Verner Habsenburg, the Academic Book Store, 1993.

3. The Stormy History of Human Genetics by Daniel Kiflis, the Academy Book Store, 1993.

4. Genetic engineering and Man's Diseases, by Philip Fursard, Cairo University Center, 1994.

and Sudan were able to preserve Arabic in some fields like literature, commerce, politics, communication and agriculture. Reliance on foreign language, especially English, was confined to medical scientific and engineering fields.

Arabic used to trace foreign language to keep in touch with new inventions in all fields. Arabic attained this with the help of its elasticity and flexibility as well as conformity between the word, its written form and its uniform pronunciation for each Arabic letter. Arabic has systems for syllables, stress, and intonation as well as morphology, parsing, conjunctions and articles. This helps Arabic be synoptic and concentrated and produce derivation. Studies and resources have affirmed that one of the most important characteristics of Arabic is that it is a living language that enjoys clarity, facility and well-formation. It enables its speakers to use it once they grasp its principles, recognize its potential and have the ability to derive words and coin terms.

Some commissions at the academies of scientific research are interested in Arabicization and translation. However, the number of translators and revisers declines if compared to the number found half a century ago, for instance, those commissions believe in Arabicization as it draws on Arabic a language of research and education at all stages and specializations. Besides, governmental departments employ Arabic in administration, economy, and communication.

Arabicization is the mainstay of achieving the natural position of arabic in our countries. It represents the most important facet of national efforts because the power of language stems from translating sciences to it and from the writings of its speakers. This brings about pride in language for its ability to grasp all fields of knowledge and sciences making it the power and identity of the nation.

During evrey stage of Egypt's history, good elite emerge to spend their lifetime for the service requiring the least requirements of living. These elite enjoy massive patience and strong will and insistence on giving more and more. They indulge into the seas of knowledge only to take part in transferring a portion of the torrents of western knowledge to Arabic.

Each member of these elite is a unique giant in his specialization. Landmarks of translations are countless as this host of translators used to collect the nectar of books for those enjoying their fragrance. Modestly, I may collect the works of a few people of these elite who kept on working hard for the sake of promoting Arabic. They translated some of the specialized common books into Arabic, with the help of their ample knowledge of English and deep belief that specialized translation precedes the movement of writing in the course of a nation's renaissance. Translation paves the way for it.

They also believe that translation is more useful than writing at the beginning of renaissance of any nation as writing draws on thought and knowledge. Developing nations can not but follow the steps of developed nations regarding their renaissance and progress. This may be achieved through translating their latest products at their laboratories and experiments. These good elite took translation and revising as their profession proving that this route is the means of achieving the end of renaissance and development. They have their mission and they are able to carry it out. It is their fate, for the sake of revival. We must take steps on the road of their real contributions and good efforts.

The Arabic Language: The Most Important Element of the Power and Identity of the Nation

Prof.Dr. Abdel Fattah Mostafa Ghoneima

The Holy Qur'an is unquestionably the greatest miracle in Arabic rhetoric. It is the culmination of the Arabic language and it is revealed in pure standard Arabic, as described by Allâh. It is natural, then, that Arabs had handled Arabic prose and poetry, before the advent of Islam, in a manner that prepared them to understand the Qur'an. Allâh says: **And We sent not a messenger except with the language of his people in order that he might make (the message) clear for them."** (Ibrâhîm:4). This is why the miracle of the Prophet, (PBUH), is from the kind of Arabs' rhetoric, fluency and fascinating language. After the passage of 15 centuries, Arabic is still the most important factor in Arab identity. It is the mainstay of education and belonging and feelings of Arab unity. It is also the language of religion. As a result, translation from foreign languages into Arabic strengthens the cultural entity of the Arab world. It is undeniable also, that Arabic could attain its national missions perfectly as a basic mainstay of understanding and creativity in literature, arts and sciences. As a language of life, thought, and work, it has faced many conflicts with English, French and Spanish as a result of foreign attacks intending to replace Arabic with other languages or to confine it away from the fields of education, research and administration.

Colonization could distract Arabic from its natural courses of development and the use of the foreign languages, especially English, and French, enjoyed hegemony in teaching at applied and practical faculties in the Arab eastern and western countries as well as fields related to Arab Society.

Arabic is a Living, Clear and Well-Formed Language:

We have previously mentioned that movements of translation cropped up in the Arab Orient since the 1830s during the epoch of Mohamed Ali. Translation used to follow the trends of the state and its needs, translating European sciences in medicine, engineering, geography, mathematics and astronomy. These movements of translation kept incessant during the second half of the 19th century. They were revived upon the foundation of the Egyptian university in the early 1930s and translated much from thought, but translation at this stage was based on individual efforts according to the circumstances of translators and those good at foreign languages and Arabic. The academies of Arabic were founded in Egypt, Damascus, Baghdad and Amman in parallel with the inception of the translation movement. These academies kept coining new expressions, terminologies and concepts in pure and applied sciences. They also modified language and its expressions so that it might become the tool of learning, culture, and knowledge, as well as social and economic organization and political guidance.

Massive efforts had been exerted to confront the torrents of foreign works and some Arab countries like Egypt, Syria, Iraq, Jordan,

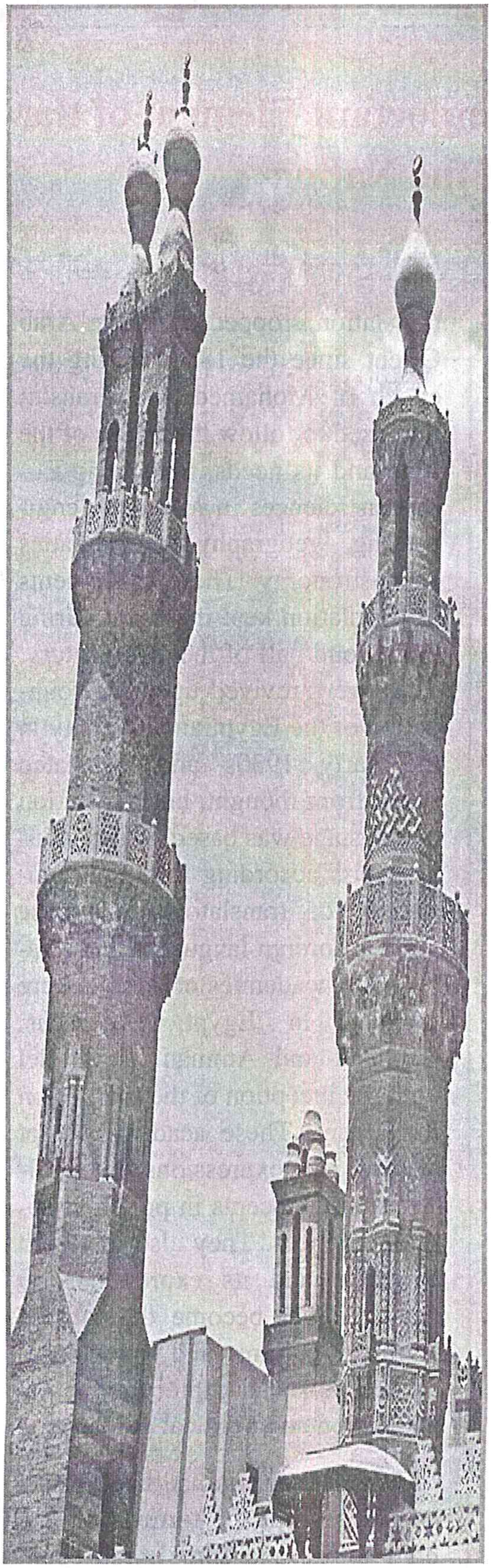

MINBAR AL-ISLAM

Issued by
Ministry of Al-Awqaf
The Supreme Council for Islamic Affairs

Chairman

Prof. Dr. Mahmoud Hamdi Zakzouk
Minister of Al-Awqaf & President of
The Supreme Council for Islamic Affairs

Editor-in-Chief

Prof. Dr. Mohammad Al-Shahat Al-Gendy
Secretary-General of
The Supreme Council for Islamic Affairs

Board of Editors

Prof. Dr. Ahmad Kamal Abul Magd
Prof. Dr. Ahmad Mohammad At-Tayyeb
Sheikh / Mohammad Abdel Magid Zeidan

E-mail Address: islamic_council_eg@yahoo.com

مُحتويات مجلة منبر الإسلام عدد المحرم ١٤٣١ هـ

■ كلمة التحرير	«رئيس التحرير»	١
■ حديث الشهر: الخطاب الدينى وثقافة الأمل	د. محمود حمدى زقزوق	٢
■ إسلام لكل العصور: الغرب وصناعة العداء للإسلام	د. محمد الشحات الجندى	٦
■ على مائدة القرآن الكريم		٩
• نظرات فى كتاب الله تعالى تفسير سورة الكوثر	د محمد سيد طنطاوى	١٠
• التفسير القرآنى إلى أين؟	د. محمد رجب البيومى	١٢
• نظرات بيانية فى الكلمة القرآنية (١٦)	د. طه مصطفى أبو كريشة	١٧
• من نماذج التفسير اليهودى المسيحى للقرآن الكريم	د. جمال الحسينى أبو فرحة	٢٢
■ من وحى المناسبة (فى رحاب الهجرة النبوية المشرفة)		٢٧
• الهجرة وحاجتنا إلى استلهام دروسها	فضيلة الشيخ محمد عبد المجيد زيدان	٢٨
• الهجرة وصناعة الأمل	د. سالم محمود عبد الجليل	٣٢
• المرأة ودورها فى الهجرة	فضيلة الشيخ منصور الرفاعى عبيد	٣٥
• الهجرة وأصناف الناس فيها	د. ربيع خليفة عبد الصادق	٤٠
• الهجرة النبوية.. أهدافها ونتائجها	فضيلة الشيخ خالد الجندى	٤٤
• تداعيات من وحى الهجرة (شعر)	رفعت عبد الوهاب المرصفى	٤٨
■ قضايا معاصرة		٤٩
• الإسلام فى أروقة المستشرقين (٢)	د. محمد شامة	٥٠
• الانتماء الإسلامى والوطن القومى.. تكامل أم تناقص؟	الدكتور محمد عمارة	٥٥
• الدفاع عن الحقوق والحريات.. حلول مقترحة	د. بكر زكى عوض	٦٠
• الثقافة الإسلامية والحضارة	د. أحمد عبد الرحيم السايح	٦٥
• المواطنة والعدالة الاجتماعية	بدوى طه	٦٩
• الفتوحات الإسلامية بين الحقيقة والافتراء	د. محمد عادل عبد العزيز	٧٣
■ أعلام فى الإسلام		٧٥
• د. مصطفى محمود.. عمر من التأمل والتدبر	د. آمال عبد المؤمن قحيف	٧٦
■ الدين والحياة		٨١
• الإنسان بين الخلق والبعث	د. عبد المعبود عمارة	٨٢
• ما بعد أداء فريضة الحج	فضيلة الشيخ شوقى عبد اللطيف أيوب	٨٦
• نظرات جادة فى منبر الإسلام (٢)	المستشار محمد التهامى	٩٠
■ أقلام نسائية		٩٣
• العالم الإسلامى فى النظام الدولى.. التحديات والفرص (٣)	د. نادية محمود مصطفى	٩٤
• الأسرة والتنشئة الصالحة	ناهد الخراشى	٩٩
■ الدعوة والخطاب الدينى		١٠١
• عصمة الله لرسوله (ﷺ)	د. أحمد عمر هاشم	١٠٢
• المرأة وحقوق الإنسان	د. رشدى شحاته أبو زيد	١٠٥
• العلاج بالصدقة	د، أحمد عوف محمد عبد الرحمن	١١١
• شباب فى ثياب الحضارة الغربية	مصطفى إبراهيم خيان	١١٣
• مؤتمر حقوق الطفل والشريعة الإسلامية	محمد كامل شاهين	١١٨
■ أنباء وأخبار	منير بيومى	١٢٣
• الصبر والإصرار فى هجرة المختار (شعر)	عبد الغنى أحمد ناجى	١٢٧
■ نافذة على القراء	أحمد فاروق الهلباوى	١٢٨
■ استراحة المنبر	محمد سيد أحمد على الدين	١٣١
■ يسألونك فى الدين والحياة	د. على جمعة محمد	١٣٤
■ بريد التعارف		١٣٩
■ The Arabic Language: The Most Important Element of the Power and Identity of the Nation	Prof. Dr. Abdel Fattah Mostafa Ghoneima	١٤٣

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

خمسون عاماً من العطاء في مجال الدعوة الإسلامية

خمسون عاماً من عمر الزمان حمل خلالها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية راية الدعوة إلى دين الله إلى كل أصقاع الأرض من مشارقها إلى مغاربها، ينشر مبادئ الإسلام الوسطية السمحاء، وفى هذه المناسبة تعتزم مجلة منبر الإسلام إفراد ملف خاص يتضمن تاريخ المجلس ورسالته السامية التى أضاءت العديد من بقاع الدنيا فى مجاهل أفريقيا وآسيا وأمريكا وفى كل قارات الدنيا.

مع الإشارة إلى إنجازاته وندواته ومؤتمراته وملتقياته الفكرية الثرية التى ارتقت بالفكر الإسلامى، فضلاً عن نبذة عن مركز السيرة والسنة ودوره فى دعم قضايانا الوطنية والمصيرية وعلى رأسها القضية الفلسطينية، مع اهتمامات المجلس بكافة الأنشطة والفنون والآثار الإسلامية.

ترقبوا

من إصدارات المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

فى معرض القاهرة الدولى للكتاب

- أمهات كتب التراث الإسلامى
- سلسلة الموسوعات الإسلامية المتخصصة.
- المنتخب فى تفسير القرآن الكريم
- ترجمات معانى القرآن الكريم باللغات الأجنبية
- المنتخب فى السنة
- # الفتاوى الإسلامية مجلدة (١ - ٢٠)
- موسوعة الفقه الإسلامى (١ - ٣٣)
- سُبل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد (١٣ جزءًا)
- مختصر سيرة ابن هشام
- صفوة السيرة النبوية
- صحيح البخارى
- سلسلة قضايا إسلامية
- سلسلة دراسات إسلامية بأقلام كبار الكتاب

من إصدارات وزارة الأوقاف : سلسلة تصحيح المفاهيم